سلسلة شروحات ومؤلفات معالي الشيخ صالح الفوزان (٢٠)

شرح الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية

للشيخ العلامة الإمام
محمد بن أحمد بن سالم السفاريني النابلسي الحنبلي
رحمه الله تعالى
(١١١٤/١١٨٨هـ)

الشرح
لفضيلة الشيخ العلامة الدكتور
صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

اعتنى به وأشرف على طبعه
د. سلمان جابر عثمان المجلهم السويلم
غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته ولمشايخه

التراث الذهبي
الرياض

مكتبة الإمام الذهبي
الكويت

شرح الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية

شرح
الدُّرَّةِ المُضِيَّةِ
في عقد أهل الفرقة المرضية

ح مؤسسة التراث الذهبي للنشر والتوزيع ، ١٤٤٠ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
المجلهم ، سلمان بن جابر بن عثمان المجلهم
شرح الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية ./ سلمان بن جابر بن عثمان المجلهم .- الرياض ، ١٤٤٠ هـ
٤٨٠ ص ؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك : ٧-٣-٩١١٨٢-٦٠٣-٩٧٨
١ - التوحيد ٢ - العقيدة الإسلامية أ . العنوان
ديوي ٢٤٠ ٤٧٠٧ / ١٤٤٠

رقم الإيداع : ٤٧٠٧ / ١٤٤٠
ردمك : ٧-٣-٩١١٨٢-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى
(١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م)

مكتبة الإمام الذهبي للنشر والتوزيع
الكويت، حولي ، شارع المثنى، مجمع البدري
ت: ٢٢٦٥٧٨٠٦ فاكس: ٢٢٦١٢٠٠٤
فرع حولي: شارع المثنى: ٢٢٦١٥٠٤٦ ، فرع المباركية: ٢٢٤٩٠٦٠٤
فرع الفحيحيل: ٢٥٤٥٦٠٦٩ ، فرع المصاحف: ٢٢٦٢٩٠٧٨
ص. ب: ١٠٧٥ الرمز البريدي ٣٢٠١١ الكويت
المملكة العربية السعودية ـ الرياض: ٠٥٥٧٧٦٥١٣٨
الساخن: ت: ٩٤٤٠٥٥٥٩
E - mail: z.zahby74@yahoo.com
imamzahby

سلسلة شروحات ومؤلفات معالي الشيخ صالح الفوزان (٢٠)

شرح الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية

للشيخ العلامة الإمام
محمد بن أحمد بن سالم السفاريني النابلسي الحنبلي
رحمه الله تعالى
(١١١٤/ ١١٨٨هـ)

الشرح

لفضيلة الشيخ العلامة الدكتور
صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

اعتنى به وأشرف على طبعه
د. سلمان جابر عثمان المجلهم السويلم
غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته ولمشايخه

التراث الذهبي
الرياض

مكتبة الإمام الذهبي
الكويت

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وبعد:

فقد أذنت لابننا وتلميذنا فضيلة الشيخ الدكتور سلمان بن جابر بن عثمان المجلهم بطباعة كتابي: **شرح السفارينية**

رجاء أن ينفع الله به، ويكتب لي وله الأجر.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه: د. صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة

١٥/٨/١٤٢٩هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةُ النَّاشِرِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فهذا شرح وتعليق شيخنا العلامة صاحب الفضيلة معالي الشيخ الدكتور/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان- أثابه الله- على (منظومة الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية المعروفة) باسم (العقيدة السفارينية) فيما يزيد على المائتي بيت من هذه المنظومة المباركة، وهي عبارة عن مائتين وعشرة أبيات من تأليف العلامة محمد بن أحمد بن سليمان السفاريني النابلسي الحنبلي، الذي ولد بقرية سفارين سنة ١١١٤هـ، من قرى طولكرم في نابلس بفلسطين المغتصبة والمحتلة من مجرمي يهود المغضوب عليهم، وقد رحل الإمام محمد السفاريني إلى دمشق الطيبة بالشام المبارك، وعاد إلى نابلس، وتوفي فيها، ودفن سنة ١١٨٨هـ -رحمه الله وغفر له.

وكان هذا الشرح في دروس ألقاها فضيلة الشيخ العلامة: العلامة صاحب الفضيلة معالي الشيخ الدكتور/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان- غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين- في جامع الأمير متعب بن عبد العزيز بالرياض، وكان الفراغ منه يوم السبت الموافق ١٠/ ٢/ ١٤٢٤هـ.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن ينفع بذلك، وأن يجزي صاحب المتن خير الجزاء، إنه سميع مجيب.

ولقد قال الكتاني: (ويظهر لي أنّه لا يبعد عدّ المترجم -السفاريني- في حُفّاظ القرن الثاني عشر؛ لأنّه ممّن جمع وصنف، وحرّر وخرّج، وأُخذ عنه، واستجيز من الأقطار البعيدة، حتى من مصر والحجاز واليمن).

وقد وصفه الشيخ محمد بن عبد الله النجدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه السحب الوابلة بقوله: (وكان متين الديانة، لا تأخذه في الله لومة لائم، محبا للسلف وآثارهم، بحيث أنه إذا ذكروا عنده، لم يملك عينيه من البكاء، وتخرج له وانتفع به خلق كثير من النجديين والشاميين وغيرهم).

وقد قال الإمام السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة شرحه «لوامع الأنوار»: (قَدْ كَانَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ بَعْدَ الْمِائَةِ وَأَلْفٍ طَلَبَ مِنَّا بَعْضُ أَصْحَابِنَا النَّجْدِيِّينَ أَنْ أَنْظِمَ أُمَّهَاتِ مَسَائِلِ اعْتِقَادَاتِ أَهْلِ الْأَثَرِ فِي سِلْكٍ سَهْلٍ لَطِيفٍ مُعْتَبَرٍ، لِيَسْهُلَ عَلَى الْمُبْتَدِئِينَ حِفْظُهُ، وَتَنْفَعَهُمْ مَعَانِيهِ وَلَفْظُهُ)، ثم ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه سمى منظومته بقوله: (وَسَمَّيْتُهَا «الدُّرَّةَ الْمُضِيَّةَ فِي عِقْدِ أَهْلِ الْفِرْقَةِ الْمَرْضِيَّةِ»، وَعِدَّتُهَا مِائَتَا بَيْتٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ، وَتَكْفِي وَتَشْفِي مِنْ مُعْظَمِ الْخِلَافِ الَّذِي ذَاعَ وَانْتَشَرَ).

ولقد قال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قول السفاريني:

فَمِنْ هُنَا نَظَمْتُ لِي عَقِيدَةً ... أُرْجُوزَةً وَجِيزَةً مُفِيدَةً

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وصدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وإن كان أدخل فيها من آراء المتكلمين ما لعله لم يتفطن إليه، مما سننبه عليه -إن شاء الله تعالى-، ويقع كثيرا من غيره، يذكرون عبارات لم يتفطنوا إليها، ولو نبهوا، لتنبهوا لذلك).

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولقد ألف أهل السنة الذين سلكوا مسلك السلف كتبًا كثيرة في العقيدة مختصرة ومطولة ومتوسطة، ومن جملة ما ألف هذه المنظومة التي نظمها السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ على مذهب أهل السنة والجماعة، على أن فيها بعض الأشياء التي تحتاج إلى بيان)، وقال أيضًا: (فهذه المنظومة بين فيها المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عقيدة السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، وإن في بعضها شيء من المخالفات).

والله نسأل أن يجزي الامام محمد السفاريني -صاحب النظم- مع شيخنا العلامة/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان -الشارح لهذه المنظومة- خيرًا كثيرًا وأجرًا كبيرًا، وأن يعاملنا جميعًا بعفوه ورحمته وعافيته ومغفرته وجوده جَلَّ وَعَلَا.

وقد طبع الكتاب على نفقة الشيخ أبي عبد الرحمن: مساعد بن علي الشايجي، والشيخ أبي وائل: محمد بن أحمد الفرحان وزوجته الكريمة، غفر الله لهم، وتقبل منهم، وجزاهم خير الجزاء في الدنيا والآخرة.

ومما يشار إليه أن طباعة هذا الكتاب، وريعه، والعائد من بيعه، وكل ما بذل فيه هو وقف لله تعالى، وهو مشروع وقفي من أموال وقفية، تقبل الله من الجميع، والله أعلى وأعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

كتبه

د. سلمان جابر عثمان المجلهم السويلم

غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته ولمشايخه

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشارح

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

فلا يخفى أن العقيدة هي الأساس الذي يُبنى عليه الدين، وهي الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره. هذه أصول الإيمان وأصول العقيدة؛ كما جاءت في الحديث الصحيح في مجيء جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحضرة أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وجلوسه بين يدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ينظرون إليه، وسأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ» -بدأ بالإيمان- قَالَ: «**الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، قَالَ: «صَدَقْتَ، فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ»، قَالَ: «**الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلا**». قَالَ: «صَدَقْتَ»، فقال: «أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ»، قال: «**الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»، قال: «أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ» -يعني عن قيام الساعة متى؟- قال: «**مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**»؛ أي: أنا وأنت لانعرف ذلك؛ لأن هذا لا يعلمه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لا تعلمه الملائكة، ولا الرسل، ولا العلماء، وإنما هذا من علم الله جَلَّ وَعَلَا.

قَالَ: «فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا» -أي: علاماتها-، فقال ﷺ: «**أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**».

هذا من علامات الساعة، وعلامات الساعة كثيرة -كما ذكر العلماء-؛ منها علامات صغرى، ومنها علامات متوسطة، ومنها علامات كبرى. وكل هذا مُفصل في كتب العقائد.

فقام وخرج، فقال النبي ﷺ: «**أَتَدْرُونَ مَنِ السَّائِلُ؟**» قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. وفي رواية أنه قال: «**اطْلُبُوهُ**»، فخرجوا يطلبونه، فلم يجدوه، فقال: «**هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**»(١)؛ أي: دين الإسلام.

وهذه مراتب الدين؛ ثلاث مراتب:

مرتبة الإيمان، ومرتبة الإسلام، ومرتبة الإحسان، كل مرتبة لها أركان.

فالإسلام والإيمان إذا ذُكرا جميعًا، صار الإسلام له معنى، والإيمان له معنى؛ فالإيمان يكون هو أعمال القلب، والإسلام يكون هو أعمال الجوارح، الإسلام يكون ظاهرًا، والإيمان يكون باطنًا في القلب. ولابد من اجتماعهما؛ فلا إسلام بدون إيمان، ولا إيمان بدون إسلام.

وإذا ذُكر أحدهما، دخل فيه الآخر، ولهذا يقول العلماء: (الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا)؛ يعني: صار لكل منهما معنى خاص؛ يفترقان في المعنى والتفسير، (وإذا افترقا)؛ يعني: ذُكر أحدهما، (اجتمعا)؛ يعني: دخل فيه الآخر، فإذا ذُكر الإيمان وحدهن دخل فيه الإسلام، وإذا ذُكر الإسلام

---

(١) أخرجه مسلم (٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وحده، دخل فيه الإيمان، فدل على أنهما لابد منهما جميعًا، وأنه لايكفي إسلام بدون إيمان، ولا إيمان بدون إسلام[١].

فالإيمان يتكون من هذه الأركان الستة، وتسمى: أصول الإيمان، وأركان الإيمان، ومن هذه الأركان تتكون العقيدة.

والعقيدة: ما يعتقده القلب ويجزم به[٢]، تُسمى العقيدة، تُسمى الإيمان؛ كما كان السلف يسمونها الإيمان، وتسمى السنة -أيضًا-، ولذلك تجدون مؤلفات السلف مختلفة الأسماء؛ بعضها اسمه الإيمان أو أصول الإيمان، وبعضها اسمه السنة؛ مثل: (كتاب السنة) لعبد الله بن الإمام أحمد، و(كتاب السنة) للأثرم، وكتاب (شرح أصول أهل السنة للالكائي)، ومن العلماء من يسمي العقيدة بالإيمان، ومن العلماء من يسميها العقيدة، ومنهم من يسميها التوحيد.

وهي أسماء مختلفة اللفظ، لكنها متفقة في المعنى، وكل اسم منها مأخوذ من الأدلة، وليست اصطلاحية -كما يقول بعضهم.

ومن ثم اهتم العلماء بهذا الباب -باب العقيدة، أو باب الإيمان، أو باب السنة-، اهتموا به اهتمامًا بالغًا، واعتنوا به، وألفوا فيه المؤلفات الكثيرة في بيانه، وبيان أصوله، وبيان أدلته؛ لأنه هو الأساس الذي يُبنى عليه الدين، فألفوا فيه نثرًا ونظمًا، وجمعوا فيه الأدلة من الكتاب والسنة.

---

(١) انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز (١/ ٣٣٦)، ولوامع الأنوار البهية (١/ ٤٣٠).

(٢) انظر: مادة (عقد) في: لسان العرب (٣/ ٢٩٦)، ومختار الصحاح (ص١٨٦)، والقاموس المحيط (٣٨٣).

وتكونت من ذلك مكتبة عظيمة في العقيدة، أو في الإيمان، أو في السنة على اختلاف العصور، وكلها تسير في منهج واحد، ولكن بعضها يوضح بعضًا، بعضها مختصر، وبعضها مطول، وبعضها نثر، وبعضها نظم، هذا مما يدل على عناية العلماء بالعقيدة وأهمية العقيدة ومعرفة العقيدة، عكس الذين يُزَهِدون في هذا العلم، ويُرخِصونه على الناس، ويقولون: (يكفي اسم الإسلام، ولا داعي إلى هذه المؤلفات)، هذا ناشئ إما عن جهل، وإما عن سوء معتقد وبغض للعقيدة، وغرضهم من ذلك ألا يكون هناك فرق بين مبتدع وسني، وبين جهمي ومعتزلي، ورافضي وباطني، لا يكون هناك فرق؛ لأن كتب العقيدة الصحيحة تبين العقائد الباطلة، وهم لا يريدون هذا، يريدون أن يكون الناس على حدٍّ سواء، ويُكتفى باسم الإسلام، مع أن الإسلام لا يتحقق، ولا يصح، إلا إذا صحت العقيدة، فإذا لم تصح العقيدة، لم يصح الإسلام. والتسمي بالإسلام لا يكفي، فلا بد من تحقيق العقيدة وتحقيق الإيمان؛ حتى يصح الإسلام، ويكون التسمي به حقيقيًا، أما مجرد التسمي بالإسلام مع تضييع أصول الإسلام وتضييع العقيدة الصحيحة، فإنه لا يبقى إسلام صحيح.

فهذا الباب مهم، وممن ألفوا في هذا الباب: الإمام محمد بن أحمد السَفَّاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فإنه نظم عقيدة السلف؛ لأن النظم أخف على السمع، وأثبت في الذهن، وأسرع في الحفظ من النثر، فلذلك نظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه العقيدة المسماة بـ(لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية)، ألف أو نظم هذه المنظومة المشتملة على بيان أصول

عقيدة أهل السنة والجماعة، وإن كان لا يخلو من مؤاخذات، لكن هذه العقيدة في جملتها جيدة ومفيدة.

والسَّفَّاريني: نسبة إلى سَفَّارين، قرية من قرى نابلس في فلسطين؛ لأنه وُلد فيها، وتعلم على علماء الشام، وأخذ عنهم العلم، ثم رجع إلى بلده، وألف المؤلفات القيمة المفيدة، منها هذه العقيدة المسماة بعقيدة الإمام السفَّاريني، وشرحها بشرح مفصل، وألف -أيضًا- مؤلفات أخرى، منها: «كشف اللثام شرح عمدة الأحكام»، وهو شرح لكتاب عمدة الأحكام في الحديث، ومنها: «شرح الثلاثيات»، وهي ثلاثيات مسند الإمام أحمد، وهو مطبوع، ومن مؤلفاته -أيضًا-: «البدور السافرة في أمور الآخرة»، وله مؤلفات كثيرة في هذا الباب مفيدة، وإن كان قد لايخلو من ملاحظات، ولكن في الجملة كتبه جيدة ومفيدة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1].

---

(١) انظر في ترجمته: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر (٤/ ٣١- ٣٢).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الشَّرْح

بدأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه المنظومة أو القصيدة بـ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾؛ لأن هذا هو السنة؛ أن تُبدأ الكتب بـ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾؛ كما أُبتدئت سور القرآن بـ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾، وفي أول المصحف ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾، وكما كتبها سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في رسالته إلى ملكة اليمن بلقيس: ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ [النمل:٢٩-٣١]، وكما كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكتبها في رسائله، فيُستحب أن تُبدأ الكتب بـ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾(١).

(بِسْمِ اللهِ)، بسم: جار ومجرور؛ (الباء) حرف جر، و(اسم) مجرور بالباء، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف تقديره: استعين باسم الله، أو

---

(١) عملًا بحديث: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فهو أَقْطَعُ»، ورد هذا الحديث بألفاظ متقاربة، منها المرفوع إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومنها المرسل، وقد أخرجه أبو داود (٤٨٤٠)، والنسائي في الكبرى (٦/ ١٢٧)، وابن ماجه (١٨٩٤)، وأحمد في المسند (٢/ ٣٥٩)، وابن حبان في صحيحه (١/ ١٧٣، ١٧٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣٣٩)، والدارقطني (١/ ٢٢٩)، والبيهقي في الكبرى (٣/ ٢٠٨)، وفي شعب الإيمان (٤/ ٩٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

أتبرك باسم الله، فقوله: (بِسْمِ اللهِ) يتضمن بركة واستعانة؛ تبرَّك باسم الله جَلَّ وَعَلَا، واستعان به.

والاسم مأخوذ من السمة، وهي العلامة؛ لأن الاسم علامة على المسمى، وقيل: مأخوذ من السمو، وهو الارتفاع[١].

وكما تعلمون أن الكلام ينقسم إلى ثلاثة أقسام: اسم، وفعل، وحرف، هذه أقسام الكلام[٢].

و(بِسْمِ) مضاف، ولفظ الجلالة مضاف إليه، و(الله) علمٌ على الذات الإلهية، ومعناه: ذو الألوهية؛ أي: العبودية، من الوله وهو المحبة؛ لأنه سُبْحَانَهُ محبوب، يحبه عباده، ويتألهون له؛ يعني: يتعبدون، ومنه الإله أي: المعبود[٣]. هذا على أنه مشتق، بعض العلماء يرى أنه اسم جامد.

وهذا الاسم لا يُسمى به غير الله جَلَّ وَعَلَا (الله) لا يُسمى به غير الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فلا أحد يتسمى به، لا من الكفار، ولا من الجبابرة، ولا من الطواغيت، ما أحد سمى نفسه (الله) أبدًا، إنما هذا من أسماء الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

---

(١) انظر: العين (٧/ ٣١٨)، وتهذيب اللغة (١٣/ ٧٨)، ولسان العرب (١٤/ ٣٩٧).

(٢) قال ابن مالك رَحِمَهُ اللهُ:

كَلامُنَا لَفْظٌ مُفِيدٌ كَاسْتَقِمْ ... وَاسْمٌ وَفِعْلٌ ثُمَّ حَرْفٌ الْكَلِمْ

انظر: ألفية ابن مالك (ص ٥).

(٣) انظر: العين (٤/ ٣٢)، واشتقاق أسماء الله (١/ ٢٤)، وتهذيب اللغة (٦/ ١٢٧)، وتفسير الطبري (١/ ١٢١)، وتفسير ابن كثير (١/ ١٢٣).

و(**الرحمن**) اسم من أسمائه تضمن الرحمة، و(**الرحيم**) كذلك اسم من أسمائه يتضمن الرحمة، لكن قالوا: (الرحمن) يتضمن الرحمة العامة لجميع المخلوقات، وأما (الرحيم)، فيتضمن الرحمة الخاصة بالمؤمنين؛ كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣][(١)].

(١) انظر: تفسير الطبري (١/ ١٢٦)، وتفسير السمعاني (١/ ٣٣)، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٦٣-٦٤)، وزاد المسير (١/ ١٦)، وتفسير ابن كثير (١/ ١٢٤).

الْحَمْدُ لِلهِ الْقَدِيمِ الْبَاقِي مُسَبِّبِ الأَسْبَابِ وَالأَرْزَاقِ

الشَّرْح

(الْحَمْدُ): هو الثناء على المنعم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والألف واللام للاستغراق[١]؛ أي: جميع المحامد لله عَزَّوَجَلَّ، فهو المحمود المطلق؛ لأن النعم كلها منه ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل:٥٣]، فهو المحمود المطلق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الذي له المحامد كلها، وأما غيره فيُحمد على قدر صنيعه، لكن المحمود المطلق والذي يستحق الحمد كله هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. واللام للملك؛ أي: الحمد لله ملكًا واستحقاقًا[٢].

(الْقَدِيمِ): هذا ليس من أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لكن يصح أن يُخبر عنه أنه قديم، أما أن يُطلق عليه من باب التسمية، فهذا لم يرد في أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأيضًا ما من قديم إلا وقبله ما هو أقدم منه، فالصواب أن يقال: (الأَوَّلُ)؛ كما سمى نفسه بذلك: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾ [الحديد:٣]، فاسمه سُبْحَانَهُ: الأول، وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ**

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١/ ١٣٨)، والدر المصون (١/ ٣٧)، وتفسير ابن كثير (١/ ١٣١).

(٢) انظر: مادة (حمد) في: العين (٣/ ١٨٨)، وتهذيب اللغة (٤/ ٢٥١)، ومقاييس اللغة (٢/ ١٠٠)، ولسان العرب (٣/ ١٥٥).

وانظر الكلام على الحمد في: تفسير ابن جرير (١/ ١٣٥)، وزاد المسير (١/ ١٧)، والمفردات للراغب (ص٢٥٦)، وتفسير ابن كثير (١/ ١٠١)، وبدائع الفوائد (٢/ ٩٢-٩٦).

الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ»[(١)]، فالقديم ليس من أسماء الله، ولكن لا مانع أن يُخبر عنه سُبْحَانَهُ بأنه قديم، بمعنى الأول.

(**الْبَاقِي**): الذي لا نهاية لبقائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومثله (**الْآخِر**)، (**الْآخِر**) هذا الذي سمى الله به نفسه: ﴿**هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ**﴾ [الحديد:٣]، وقال النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ**»، فهو (أَوَّلُ) بلا بداية، و(آخِرُ) بلا نهاية سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأما الخلق، فلهم بداية ونهاية، كل المخلوقات لها بداية، ولها نهاية، أما الذي ليس له بداية ولا نهاية، فهو الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(**مُسَبِّبِ الْأَسْبَابِ**)، الأسباب: جمع سبب، وهو ما يتوصل به إلى الشيء؛ كالحبل -مثلًا- الذي يتوصل به إلى الماء من البئر، يسمى سببًا: ﴿**فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ**﴾ [الحج:١٥]، فالسبب: ما يتوصل به إلى الشيء[(٢)].

والله جَلَّ وَعَلَا هو مسبب الأسباب، الأسباب مخلوقة لله عَزَّ وَجَلَّ، والعبد مأمور باتخاذ الأسباب مع التوكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فلا يأخذ بالتوكل، ويترك الأسباب، ولا يأخذ الأسباب، ويترك التوكل، بل لابد من الجمع بين اتخاذ الأسباب مع التوكل على الله؛ فإنه إن شاء، نفعت الأسباب، وإن شاء، لم تنفع، فهو مسبب الأسباب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولكن مع هذا أُمرنا باتخاذ الأسباب، ولا نقتصر على التوكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧١٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: العين (٧/ ٢٠٣)، وتهذيب اللغة (١٢/ ٢١٩)، والصحاح (١/ ١٤٤)، ولسان العرب (١/ ٤٥٥).

هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، أمرنا الله جَلَّوَعَلَا باتخاذ الأسباب، فقال: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:١٩٥]، وقال: ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء:٧١]، وقال: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ [الأعراف:٣١]، هذا من اتخاذ الأسباب مع التوكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فالاعتماد على السبب شرك -كما قال العلماء-، ونفي السبب قدح في الشرع، فلابد من الجمع بين الأمرين، وأن تعتقد أن الأسباب وحدها لاتكفي، وأن تعتقد أنه لا بد من اتخاذ الأسباب لأي شيء تريده؛ تريد الولد والذرية، لابد من الزواج، هذا من أسباب الذرية والإنجاب، تريد الرزق، اطلب الرزق بالبيع والشراء والحرف، أما أن تجلس، وتقول: (المقدر يجيئني)!! فالله نهى عن ذلك، وأمرنا بطلب الرزق، فقال: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة:١٠]، وقال: ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ﴾ [العنكبوت:١٧]، إذا أردت أي شيء في الدنيا أو الآخرة، لابد من اتخاذ الأسباب، الجنة لابد من اتخاذ السبب لدخولها بالعمل الصالح، فالأسباب لابد منها في الدنيا والآخرة.

(**وَالْأَرْزَاقِ**)، هو جَلَّوَعَلَا الذي يسبب الأرزاق، ﴿هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٨]، ﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾ [الملك:٢١]، فالرزق من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هو الرزَّاق، وهو الرازق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فيُطلب الرزق من الله جَلَّوَعَلَا.

والأرزاق: جمع رزق، وهو ما ينتفع به الإنسان في حياته من المآكل والمشارب والملابس والمراكب وغير ذلك[1]، هذا من الأرزاق التي خلقها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لعباده: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية:١٣].

(١) انظر: العين (٥/ ٨٩)، وتهذيب اللغة (٨/ ٣٢٥)، والصحاح (٤/ ١٤٨١)، ولسان العرب (١٠/ ١١٥).

حَـــيٌّ عَـلِـيـمٌ قَـــادِرٌ مَــوْجُــودُ   قَـامَـتْ بِـهِ الأَشْـيَـاءُ وَالْـوُجُـودُ

الشَّرح

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (حَـيٌّ عَليمٌ قـادِرٌ مَوجودُ)، وهذه أربع صفات له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(حَيٌّ): موصوف بالحياة الكاملة جَلَّ وَعَلَا التي لا يعتريها نوم، ولا موت، ولا زوال، (الحي) قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، الله جَلَّ وَعَلَا لا يعتريه نوم؛ لأن النوم نقص وموت، ولا سِنة، وهي النوم الخفيف؛ لأن هذا نقص في الحياة، النوم وفاة: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ﴾ [الأنعام:٦٠]، فالنوم وفاة، والله منزه عن النوم، ومنزه عن السِنة، وهي النوم الخفيف، ومنزه عن الموت: ﴿ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان:٥٨] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وحياته ذاتية، أما حياة المخلوقين، فإنها حياة ممنوحة لهم من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ليست حياة ذاتية، إنما هي حياة ممنوحة لهم من الله، هو الذي أحياهم، وهو الذي أعطاهم الحياة، وهو الذي يأخذها منهم، أما حياته سُبْحَانَهُ، فهي حياة كاملة، حياة أبدية، لا بداية لها، ولا نهاية، ولا نقص فيها، ولذلك قال: (حَيٌّ).

(عَلِيمٌ): (العليم) هذا من أسمائه سُبْحَانَهُ العليم، ويتضمن العلم، فالله جَلَّ وَعَلَا عليم وعالم، ويعلم كل شيء؛ يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن

لو كان كيف يكون: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [آل عمران:٥]، موصوف بالعلم المحيط بكل شيء.

(قادِرٌ): هذا من وصفه سُبْحَانَهُ؛ إنه على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، فهو قادر على كل شيء: ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة:٢٨٤]، القدير من أسمائه، والقدرة من صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهي قدرة شاملة كل ما أراده، ولا يقال: (وهو على ما يشاء قدير)؛ كما يقوله بعض الغالطين، بل يقال: (على كل شيء قدير)؛ كما وصف نفسه بذلك.

وأما قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى:٢٩]، فهذا خاص بالحشر وجمع الخلائق يوم القيامة[١]، وهو نوع من أنواع القدرة، والقدرة أعم من ذلك؛ إنه على كل شيء قدير.

(مَوْجُودُ): لا شك في هذا؛ أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ موجود، والدليل على وجوده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذه المخلوقات؛ إذ هذه الموجودات لابد لها من موجد، والمفعول لابد له من فاعل، والمخلوق لابد له من خالق، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ موجود وجودًا دائمًا وأبدًا، لكن ليس من أسمائه الموجود، لكن يُخبر عنه بأنه موجود، ووجوده واجب؛ لأن الأشياء ثلاثة أقسام:

الأول: واجب الوجود.

الثاني: ممتنع الوجود.

الثالث: جائز الوجود.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٥١٢)، والقرطبي (١٦/ ٢٩)، وتفسير ابن كثير (٧/ ٢٠٧).

الله جَلَّ وَعَلَا له الوجود الواجب، والدليل على وجوده هذه المخلوقات وهذه المصنوعات، تدل على وجوده سُبْحَانَهُ.

ففي هذا رد على الطبيعيين والملاحدة الذين لا يؤمنون بوجوده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وينسبون هذه الأشياء إلى الطبيعة، وهذه مغالطة للعقول؛ لأن كل عاقل يعلم إن هذه الموجودات لابد لها من موجد، وهذه المخلوقات لابد لها من خالق؛ كما قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور:٣٥-٣٦]، هذه الموجودات لم توجد نفسها، وإنما أوجدها الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قامَتْ بِهِ)**: أي بقدرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ومشيئته، فهو القائم بنفسه المقيم لغيره، وهذا معنى القيوم، القيوم: هو القائم بنفسه، فليس بحاجة إلى غيره، والمقيم لغيره، فغيره محتاج إليه، فهو الذي يقيم السماوات والأرض، وهو الذي يقيم المخلوقات بخلقه ورزقه وإمداده وإيجاده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهو غني عن خلقه، وخلقه محتاجون إليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر:٤١]، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو الذي يقيم هذه الأشياء، ويوجدها، ويمدها بما يبقيها وما يكملها وينميها، وهي محتاجة إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا معنى القيوم، هو القائم بنفسه المقيم لغيره(١)، وفي قراءة: (القيَّام)(٢)، القيوم والقيام من صيغ المبالغة.

---

(١) انظر: تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة (٢/ ٥٣)، وبيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٧/ ٥٥٧)، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري (٧/ ١٦٦).

(٢) قراءة عمر وابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا. انظر: تفسير الطبري (٥/ ١٧٥)، والقرطبي (٣/ ٢٧٢، ٤/ ١- ٢)، واللباب في علوم الكتاب (٤/ ٣١٥).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قَامَتْ بِهِ الْأَشْيَاءُ وَالْوُجُودُ)**؛ يعني: قامت به كل المخلوقات -أي: بخلقه وإيجاده ومشيئته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولم تقم بنفسها، ولم توجد بنفسها، الوجود كله الكون كله هو الذي أوجده وأقامه، السماوات والأرض وما فيهن كل ذلك هو الذي أوجده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو الموجد لهذه الأشياء وحده لا شريك له. وهذا لا يُنكره أحد، حتى المشركين الذين يعبدون الأصنام إذا سُئلوا: من خلق السماوات والأرض؟ من الذي يرزقكم؟ من الذي يحييكم ويميتكم؟ فإنهم يعترفون بذلك؛ سلهم لمن السماوات والأرض؟ سيقولون لله؛ فهم معترفون بهذا.

❊❊❊

دَلَّـتْ عَلَـى وُجُـودِهِ الْحَـوَادِثُ سُبْحَانَهُ فَهْوَ الْحَكِيمُ الْوَارِثُ

الشَّرْح

لما قال في البيت الأول (مَوْجُودُ)، ذكر الدليل على وجوده، وهو هذه الحوادث التي تحدث بعد أن لم تكن، المخلوقات ليست قديمة الأعيان، كلها محدثة، كلها موجودة بعد أن لم تكن، فمن الذي أوجدها؟ ومن الذي أحدثها؟ إنه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فكل موجود لابد له من موجد، وكل مخلوق لابد له من خالق، وكل مُحْدَثٍ لابد له من مُحْدِث، هذا دليل عقلي وبرهان عقلي، لا يماري فيه أحد.

وليس الدليل على وجوده مجرد الحوادث وحدها، لكن هذا من جملة الأدلة، وإلا فإن البراهين على وجوده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وعلى ربوبيته كثيرة -براهين عقلية ونقلية-، لكن من جملة هذه البراهين وجود هذه المخلوقات؛ فإنها تدل على أن لها موجدًا وخالقًا ومدبرًا، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(سُبْحَانَهُ)**: هذا تنزيه له، التسبيح معناه التنزيه، فسُبْحَانَهُ: تنزيهًا له من النقائص والعيوب.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَهْوَ الحَكِيمُ)**: من أسمائه الحكيم، ومن صفاته الحكمة؛ لأن كل اسم من أسماء الله يدل على صفة من صفاته، فالحكيم من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ يتضمن الحكمة، والحكمة: وضع الشيء في موضعه[1]، فهو الحكيم

(١) انظر: جامع المسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١/ ٣٩٠)، ومدارج السالكين (٢/ ٤٤٨)، والحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة (١/ ٧٣).

الذي يضع الشيء في موضعه(١)، والحكيم بمعنى المتقن للأشياء: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك:٣]، تجد هذه الأشياء محكمة متقنة، كل شيء في موضعه، هذا يدل على حكمة الله جَلَّ وَعَلَا.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الْوَارِثُ)**: يعني الباقي بعد فناء المخلوقين، والوارث: الذي تؤول إليه الأملاك بعد فناء المُلاك: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم:٤٠]، فمن أسمائه الوارث؛ أي: الباقي بعد المخلوقات(٢)، والذي تؤول إليه الأملاك بعد فناء المُلاك، وليس الوارث الذي يتملك الأشياء بعد أصحابها -مثل المواريث والفرائض-، لكن الوارث معناه: الباقي، والذي تؤول إليه الأملاك؛ لأنه المالك: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته:

وَهُوَ الحَكِيمُ وَذَاكَ مِن أوصَافِهِ ... نَوعَانِ أيضًا مَا هُمَا عَدمَانِ
حُكمٌ وَإحكَامٌ فَكُلٌّ مِنهُمَا ... نَوعَانِ أيضًا ثَابِتَا البُرهَانِ
وَالحُكمُ شَرعِيٌّ وَكَونِيٌّ وَلا ... يَتَلازَمَانِ وَمَا هُمَا سِيَّانِ

إلى أن قال:

هَذَا البَيَانُ يُزِيلُ لَبسًا طَالَمَا ... هَلَكَت عَلَيهِ النَّاسُ كُلَّ زَمَانِ

انظر النونية مع شرحها لابن عيسى (٢/ ٢١٨).

(٢) قال الأزهري في تهذيب اللغة (١٥/ ٨٥): (وَالْوَارِث: صفة مِن صِفَات الله عَزَّوَجَلَّ، وَهُوَ البَاقِي الدّائم).

وقال ابن منظور في لسان العرب (٢/ ١٩٩): (الْوَارِثُ: صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَهُوَ الْبَاقِي الدَّائِمُ الَّذِي يَرِثُ الخلائقَ، وَيَبْقَى بَعْدَ فِنَائِهِمْ، وَاللهُ عَزَّوَجَلَّ، يَرِثُ الأَرض ومَن عَلَيْهَا، وَهُوَ خَيْرُ الْوارِثِينَ أَي يَبْقَى بَعْدَ فَنَاءِ الْكُلِّ، ويَفْنى مَن سِوَاهُ فَيَرْجِعُ مَا كَانَ مِلْكَ العِبادِ إِليه وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ).

وانظر: القاموس المحيط (١/ ١٧٧)، وتاج العروس (٥/ ٣٨١).

ٱلْقَهَّارِ ﴾ [غافر:١٦]، فهو المالك الذي يبقى ملكه، ولا يبيد، بخلاف المخلوقين؛ فإنهم يملكون، ولكن ملكهم مؤقت في هذه الدنيا، وفي الآخرة يكون الملك لله جَلَّ وَعَلَا، ليس في الآخرة ملوك، مالك الملك واحد، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [غافر:١٦].

ثُـمَّ الـصَّـلَاةُ وَالـسَّـلَامُ سَـرْمَـدًا   عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى كَنْزِ الْهُدَى

الشَّرْح

لما فرغ من حمد الله والثناء عليه، صلى على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الله ومن الملائكة ومن المخلوقين، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٦]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ ﴾ الله جَلَّ وَعَلَا يصلي على نبيه، والملائكة تصلي على النبي، وأمر الخلق أن يصلوا، ويسلموا على نبيهم.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ثُمَّ الصَّلَاةُ)**: والصلاة من الله: ثناؤه على عبده ورسوله، ثناؤه عليه في الملأ الأعلى[(١)]، والصلاة من الملائكة: هي الاستغفار؛ يستغفرون له[(٢)]، والصلاة من الخلق: هي الدعاء؛ يدعون له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(٣)]؛ لأنه هو الذي أخرجهم الله به من الظلمات إلى النور، وهو الذي هداهم الله به إلى الحق، فهم يدعون له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالصلاة من الله الثناء، والصلاة

(١) ذكره البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلقًا بصيغة الجزم عن أبي العَالِيَةِ قال: «صَلَاةُ اللهِ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ، وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ الدُّعَاءُ». انظر: صحيح البخاري (٦/ ١٢٠). وانظر: كتاب (جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام): (ص٢٥٣- ٢٧٦)، و(بدائع الفوائد): (١/ ٤٤ - ٤٧) لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) كما في المسند عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ**». أخرجه أحمد في مسنده (١/ ١٤٤)، وأخرجه من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ البخاري (٦٥٩)، ومسلم (٦٤٩).

(٣) انظر في معنى الصلاة: تهذيب اللغة (١٢/ ١٦٥)، والمحكم والمحيط الأعظم (٨/ ٣٧٢)، ومختار الصحاح (١/ ١٥٤).

من الملائكة الاستغفار، ومن الآدميين الدعاء، ومنه الصلاة على الجنازة؛ يعني: الدعاء لها: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:١٠٣]؛ أي: ادع لهم، فالصلاة من المخلوق دعاء، فمشروع لنا أن نصلي ونسلم عليه؛ كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦]، فتقول: اللهم، صل وسلم على محمد. هذا هو المطلوب.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والسَّلامُ)**: معناه السلامة من الآفات والمحاذير، فمعنى سلامنا عليه: أن ندعو الله أن يسلمه من كل مكروه ومن كل محذور، فهذا معنى السلام، وكذلك السلام بمعنى التحية[(١)]، ومن حقوقه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الأمة أن يصلوا ويسلموا عليه عند ذكره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويصلوا ويسلموا عليه في الخطب، ويصلوا ويسلموا عليه في الصلاة في التشهد الأخير، فيقولوا: «**اللهُمَّ صَل عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آل مُحَمَّدٍ، كَمَا صَليْتَ عَلى إبْرَاهِيمَ**». والصلاة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التشهد الأخير ركن من أركان الصلاة، وقد علم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأمة كيف تصلي عليه في الصلاة، فقال: «**قُولُوا: اللهُمَّ صَل عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آل مُحَمَّدٍ، كَمَا صَليْتَ عَلى إبْرَاهِيمَ إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبَارِكْ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آل مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلى إبْرَاهِيمَ إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»[(٢)]. فلابد أن تأتي بهذا اللفظ الذي علمه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته في الصلاة، وأما في غير الصلاة فيكفي أن تقول: صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. امتثالًا لقوله

---

(١) انظر في معنى السلام: العين (٧/ ٢٦٥)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٦٥)، وتهذيب اللغة (١٢/ ٣٠٩)، والمحكم والمحيط الأعظم (٨/ ٥١٢)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣٩٢- ٣٩٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٥٧)، ومسلم (٤٠٦)، من حديث كعب بن عجرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

تعالى: ﴿صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦]، والفائدة من صلاتك وتسليمك على الرسول ﷺ ترجع إليك، قال ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»[(١)]، فالفائدة راجعة إليك، فلا تحرم نفسك من ذلك، فهذا من حقوقه ﷺ علينا، والإكثار من الصلاة عليه فيه الثواب الجزيل؛ حيث قال ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»، في أي مكان، فلا يُشترط أن تذهب إلى القبر وتصلي وتسلم عليه هناك، بل صل وسلم عليه في أي مكان، قال ﷺ: «صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»[(٢)]، فتصلي وتسلم عليه في أي مكان.

وقول الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(سَرْمَدًا)** يعني: دائمًا وأبدًا؛ أي: صلاة وسلامًا دائمين لا ينقطعان.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى)**، النبي: يهمز، ولا يهمز، فمن جعله مأخوذًا من النبأ -وهو الخبر-، همزه، فقال: (النبيء)؛ لأنه ينبئ الناس عن الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو (نبيء) بالهمز، بمعنى مخبر، ويجوز أن يكون النبي من النبوة، وهي الارتفاع؛ لرفعة شأنه ﷺ، وعلى هذا يكون بدون همزة، (النبي) بالياء، على أنه من النبوة، وهي الارتفاع؛ لرفعة شأنه ومنزلته[(٣)]، وقد

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٣٨٤): عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا...**».

(٢) أخرجه أبو داود (٢٠٤٢)، وأحمد في مسنده (١٤/ ٤٠٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) لابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ شرح ماتع لهذا الموضوع، انظر: تفسير الطبري (٢/ ٣٠- ٣١)، وانظر -أيضا-: تهذيب اللغة (١٥/ ٣٤٩)، وإعراب القرآن للأصبهاني (١/ ٤٤٩)، والمحرر الوجيز (١/ ١٥٥)، ولسان العرب (١/ ١٦٢- ١٦٤).

قرئ بالهمز وبدونه، وهما قراءتان سبعيتان[١].

والنبي: هو من أوحي إليه بشرع، هو رجل حر أوحي إليه بشرع، فإن أُمر بتبليغه، فهو رسول، هذا فرق ما بين النبي والرسول[٢]، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ [الحج:٥٢]، فدل على الفرق بين النبي والرسول؛ لأنه عطف النبي على الرسول، والعطف للمغايرة. فالرسول يوحى إليه، أو يُبعث بشريعة مستقلة؛ كشريعة التوراة لموسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وشريعة الإنجيل لعيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وشريعة الإسلام لمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، أما النبي، فهو يُبعث بشرع من قبله، ولا يُبعث بشريعة مستقلة، وقد يوحى إليه وحي خاص، لكن هو تابع لمن قبله من الرسل؛ مثل: أنبياء بني إسرائيل، فإنهم تابعون لموسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وأُمروا باتباع التوراة، ولم يُنزل عليهم كتب، بل كتابهم هو التوراة المنزلة على رسول الله وكليمه موسى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ. فهذا فرق ما بين الرسول[٣] والنبي[٤].

---

(١) انظر: الحجة في القراءات السبع (١/ ٨٠)، والحجة للقراء السبعة (٢/ ٨٧)، وحجة القراءات (١/ ٩٨).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «النبوات» (ص٢٨١): (فالنبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبئ بما أنبأ الله به، فإن أُرْسِلَ مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالةً من الله إليه فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله ولم يُرْسَلْ هو إلى أحدٍ يبلغه عن الله رسالةً فهو نبي وليس برسول) ا.هـ. وانظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٤٢٨)، وتفسير القرطبي (٧/ ٢٩٨).

(٣) انظر: التعاريف للمناوي (ص٣٦٣)، والقاموس المحيط (٤/ ٣٨٥) مادة (رسل)، ولسان العرب (١١/ ٢٨٤).

(٤) انظر: التعاريف للمناوي (ص٣٠٧)، والقاموس المحيط (٣/ ٣٧٢) مادة (نبا)، ولسان العرب (١/ ١٦٣).

فبين النبي والرسول عموم وخصوص. يقولون: كل رسول فهو نبي، وليس كل نبي رسولا، بينهما عموم وخصوص.

(**المُصْطَفَى**) يعني: المختار والمستخلص، مأخوذ من الصفوة؛ لأن الله اختاره من معدن طيب من أشرف المعادن من بني هاشم، وفي الحديث الصحيح، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**»(١)، فهو صفوة الصفوة، ومعنى اصطفاء كنانة وقريش وبني هاشم هو أن الله أعطاهم الهمم العالية والصفات الفاضلة بين الناس؛ كالكرم والشجاعة ونحو ذلك، وليس المراد الاصطفاء بالدين، وأما اصطفاؤه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فبكل وجه من وجوه الاصطفاء، فهو المصطفى المختار، وهو خير البشر، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج:٧٥]؛ أي: يختار.

فالرسالة اصطفاء من الله عَزَّ وَجَلَّ، وهو الذي يختار لها من يصلح لها، وهو أعلم سُبْحَانَهُ بمن يصلح؛ ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:١٢٤]، فليست النبوة اكتسابًا يكتسبه الإنسان يتعبد وتعلم، وإنما هي اختيار من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولهذا لما قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:١٢٤]، يقولون: نحن مثله؛ نحن بشر، وهو بشر، فلماذا يكون هو رسولًا، ونحن لا نكون رسلًا؟! وهذا من المغالطة والاعتراض على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٧٦)، من حديث وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولم يكن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلم أنه سيكون رسولًا ولا نبيًا، ولم يكن يعلم، ولا تطلَّع إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى:٥٢]، حتى اختاره الله عَزَّوَجَلَّ.

وقول الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كَنْزِ الهُدَى)**، الكنز في الأصل: هو الشيء الثمين المدفون في الأرض[١]، فهو كنز، وليس المقصود هنا الذهب والفضة، وإنما هو كنز الهدى، الهدى أعز شيء، أعز من الذهب والفضة، أعز من كل شيء، والهدى: هو الدلالة والإرشاد والبيان؛ لأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يهدي، بمعنى: يبين ويرشد؛ لأن الهداية على قسمين[٢]:

القسم الأول: هداية بيان وإرشاد.

القسم الثاني: وهداية توفيق وإلهام.

فهداية البيان والإرشاد هذه يملكها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢]، وأما هداية التوفيق والإلهام والقبول، فإنها بيد الله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص:٥٦]، نفى عنه الهداية، بينما أثبتها له في آية أخرى، فنقول: يوجد فرق بين الهدايتين؛ الهداية المثبتة للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي هداية الدلالة والإرشاد، وأما الهداية المنفية عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) انظر: العين (٥/ ٣٢١)، وتهذيب اللغة (١٠/ ٥٨)، والصحاح (٣/ ٨٩٣)، ولسان العرب (٥/ ٤٠١).

(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (ص ٥٣٨)، وبدائع الفوائد (٢/ ٣٥-٣٧)، ومدارج السالكين (١/ ٣٢-٣٣)، وتفسير الطبري (١/ ١٦٧-١٦٩)، وتفسير ابن كثير (١/ ١٣٧).

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾، فهي هداية التوفيق والقبول؛ لأن هداية القلب بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ومعنى (**كَنْزِ الهُدَى**) أي: معدن الهدى هو صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمصدر الهدى كله من رسالته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيها الهداية للبشر، فمن ابتغى الهدى من غير رسالة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو ضال، وذلك بعد بعثته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ليس هناك هداية إلا باتباع رسالته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمن زعم أنه يهتدي، ولا يحتاج إلى الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -كما يقوله غلاة الصوفية-، فهذا ضلال مبين، وكفر ورِدَّة عن دين الإسلام، لاهداية إلا بما جاء به الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما الذي يقول: (أنا استغني عن الرسول، وأنا أعرف الحق، ولست بحاجة إلى الرسول)، فهذا كافر بالله عَزَّ وَجَلَّ.

وَآلِــهِ وَصَـحْـبِـهِ الأَبْـــرَارِ   مَـعَـادِنِ الـتَّـقْـوَى مَـعَ الأَسْــرَارِ

الشَّرح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَآلِهِ)**: (الآل) أصله الأهل، سُهلت الهمزة، وصارت (آل)، و(آل الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يراد بهم قرابته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويراد بهم أتباعه[(١)]، والمراد هنا أتباع الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سواء كانوا من قرابته أو من غيرهم، يقال لهم: (آل الرسول)؛ كما قال تعالى: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦]، آل فرعون: يعني أتباع فرعون، فـ(الآل) يُطلق على الأتباع، ويُطلق على القرابة. ففي باب الزكاة يراد بـ(آل محمد) قرابته، الذين لا تحل لهم الزكاة: «**إِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ، وَلَا لِآلِ مُحَمَّدٍ**»[(٢)]؛ يعني: قرابة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما في باب الدعاء والصلاة، فـ(الآل) يعم أتباعه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولهذا يقول الشاعر[(٣)]:

آلُ الـنَّـبِـيِّ هُـمُ أَتْـبَـاعُ مِـلَّـتِـهِ   مِنَ الأَعَاجِمِ والسُّودَانِ والعَرَبِ
لَـوْ لَمْ يَـكُـنْ آلُـهُ إِلَّا أَقَـارِبَـهُ   صَلَّى المُصَلِّي عَلَى الغَاوِي أَبِي لَهَبِ

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَصَحْبِهِ)**: جمع صاحب، والمراد به الصحابي، والصحابي: (هو من لقي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد النبوة مؤمنًا به، ومات على ذلك، ولو لم

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٥/ ٣١٥)، والمصباح المنير (١/ ٢٩)، والكليات (١/ ١٧١).
(٢) أخرجه مسلم (١٠٧٢).
(٣) البيتان لنَشْوَانِ الحِمْيَرِيِّ إِمَامِ اللُّغَةِ. انظر: شمس العلوم (١/ ٣٧٧)، ونيل الأوطار (٢/ ٣٣٦).

يره)[١]؛ كالأعمى مثلاً، فابن أم مكتوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أعمى، لقيه ولم يره، فليس من شرط لقياه الرؤية، ولذلك لم يقولوا: من رأى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن المراد اللقاء، ولو لم يره كالأعمى.

(من لقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمنًا به)، هذا شرط، أما من لقيه وهو غير مؤمن به، فليس صحابيًّا؛ لأن المشركين لقوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكن لم يؤمنوا به، فليسوا صحابة، (من لقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمنًا به، ومات على ذلك)؛ أي: لو لقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمنًا به، لكنه ارتد ومات على الردة، لا يكون صحابيًّا، فلا بد من هذه الشروط: أن يكون لقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مؤمنًا به، ومات على ذلك.

يخرج بذلك من آمن بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وقته، ولم يلقه؛ كالنجاشي رَحِمَهُ اللَّهُ، فالنجاشي عاصر النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وآمن به، لكنه لم يلقه، فليس صحابيًّا، وإنما هو تابعيّ.

وكذلك يكون مع لقياه للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمنًا به، فلو لم يؤمن به، لم يكن صحابيًّا؛ كالمشركين والكفار.

وكذلك لو لقيه مؤمنًا به، لكن ارتد عن دين الإسلام، ومات على الردة، فإنه لا يكون صحابيًّا، بل تبطل الصحبة بالردة؛ كما تبطل الأعمال كلها بالردة: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر:٦٥].

---

(١) انظر في تعريف الصحابي: شرح التبصرة والتذكرة = ألفية العراقي (٢/ ١٢٠)، والإصابة لابن حجر (١/ ٤، ٥، ١٥٨)، ونخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر (٤/ ٧٢٤)، وتدريب الراوي للسيوطي (ص٢٨٨، ٢٨٩)، وفتح المغيث للعراقي (ص٣٤٢)، وفتح المغيث للسخاوي (٣/ ٧٨، ٧٩).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الْأَبْـرَارِ)**: جمع بَرّ، والْبَرُّ مأخوذ من البِرِّ، والبِرُّ كلمة جامعة لكل خصال الخير، الأبرار: يعني المتصفين بالبر؛ لأن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ اتصفوا بالبر، وهو جميع الأعمال الصالحة والخير[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مَعَادِنِ التَّقْوَى مَعَ الْأَسْرَارِ)**، المعادن جمع معدن، وهو منبع الشيء وأصل الشيء، فالمعدن مأخوذ من العَدْن، وهو الإقامة، يقال: عَدَنَ بالمكان، إذا أقام به، فالمعدن هو الموضع الذي توجد فيه الأشياء النفيسة[2]، منها الذهب والفضة والحديد والرصاص والماء، وغير ذلك، وجعل الله المعادن مقيمة في الأرض، فالصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ معادن التقوى مع الأسرار؛ يعني: معادن الخير ومنبع الخير، وهم أفضل هذه الأمة، وهم مستقر التقوى، وهم من أشد الناس اتقاء لله وطاعة له، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ولا شك أن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كانوا أعمق الناس أسرارًا، وأبرهم قلوبًا.

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٥/ ١٣٨)، ولسان العرب (٤/ ٥٢)، والمصباح المنير (١/ ٤٣).

(٢) انظر: العين (٢/ ٤٢)، وتهذيب اللغة (٢/ ١٢٩)، والصحاح (٦/ ٢١٦٢)، ومقاييس اللغة (٤/ ٢٤٨)، ولسان العرب (١٣/ ٢٧٩).

وَبَـعْـدُ فَـاعْـلَـمْ أَنَّ كُـلَّ الْعِلْمِ   كَالْفَرْعِ لِلتَّوْحِيدِ فَاسْمَعْ نَظْمِي

الشَّرْح

ولما فرغ الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من المقدمة المشتملة على حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه، دخل في الموضوع الذي من أجله نظم هذه الأرجوزة، فقال: (وَبَعْدُ)، بعد: هذه كلمة مقطوعة عن الإضافة، وأصلها: بعد ذلك؛ أي: بعد ما تقدم، فحُذف المضاف إليه، وبُني المضاف على الضم من غير تنوين، على لغة من ينتظر[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَاعْلَمْ)** كلمة (فاعلم): هذه كلمة يؤتى بها للاهتمام بما سيُلقى، قال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [محمد:١٩]، ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المائدة:٩٨]، ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [المائدة:٩٢]، ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا﴾ [الحديد:١٧]، فهذه الكلمة (اعلم)، و(اعلموا) يؤتى بها للتنبيه على أهمية ما سيقال.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أَنَّ كُلَّ الْعِلْمِ كَالْفَرْعِ لِلتَّوْحِيدِ)**: نعم، علم التوحيد هو الأصل، وهو الأساس، وما بعده من العلم الشرعي فإنه مبني عليه وفرع عليه، فالتوحيد هو الأصل، وغيره من العلوم الشرعية فرع عليه، والأصل:

---

(١) «لغة من ينتظر» هي لغة من ينوي المحذوف، وتستعمل في الترخيم. انظر: اللمع في العربية لابن جني (١/ ١١٤)، وارتشاف الضرب من لسان العرب (٥/ ٢٢٣٦)، وشرح قطر الندى وبل الصدى (١/ ٢١٤)، وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك (٣/ ٧٤).

ما يبنى عليه غيره[١]، ولذلك جاء الركن الأول من أركان الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله؛ لأنه هو الأصل، وقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦]، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ [الإسراء:٢٣]، أول ما يذكر حقه تعالى، وهو عبادته وحده لا شريك له.

والتوحيد: مأخوذ من وحَّد، إذا جعل الشيء واحدًا[٢]، ومعنى وحَّدتُ الله: عبدته وحده، وتركت عبادة ما سواه، ولهذا لما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمشركين: «**قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَا اللهُ**»[٣]، قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص:٥]، فالتوحيد إيمان بالله وحده، والمراد به هنا: إفراد الله جَلَّ وَعَلَا بالعبادة، وهو ثلاثة أنواع:

---

(١) قال ابن فارس في مقاييس اللغة (١/ ١٠٩): «(أَصَلَ) الْهَمْزَةُ وَالصَّادُ وَاللَّامُ، ثَلَاثَةُ أُصُولٍ مُتَبَاعِدٍ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، أَحَدُهَا: أَسَاسُ الشَّيْءِ،... فَأَمَّا الْأَوَّلُ فَالْأَصْلُ أَصْلُ الشَّيْءِ، قَالَ الْكِسَائِيُّ فِي قَوْلِهِمْ: (لَا أَصْلَ لَهُ وَلَا فَصْلَ لَهُ): إِنَّ الْأَصْلَ الْحَسَبُ، وَالْفَصْلَ اللِّسَانُ». وانظر مادة (أصل) في: الصحاح (٤/ ١٦٢٣)، ولسان العرب (١١/ ١٦).
وقال الحموي في المصباح المنير (١/ ١٦): (أَصْلُ الشَّيْءِ أَسْفَلُهُ وَأَسَاسُ الْحَائِطِ أَصْلُهُ وَاسْتَأْصَلَ الشَّيْءَ ثَبَتَ أَصْلُهُ وَقَوِيَ ثُمَّ كَثُرَ حَتَّى قِيلَ أَصْلُ كُلِّ شَيْءٍ مَا يَسْتَنِدُ وُجُودُ ذَلِكَ الشَّيْءِ إِلَيْهِ فَالْأَبُ أَصْلٌ لِلْوَلَدِ وَالنَّهْرُ أَصْلٌ لِلْجَدْوَلِ وَالْجَمْعُ: أُصُولٌ، وَأَصُلَ النَّسَبُ بِالضَّمِّ: أَصَالَةً شَرُفَ فَهُوَ أَصِيلٌ مِثْلُ: كَرِيم وَأَصَّلْته تَأْصِيلًا جَعَلْت لَهُ أَصْلًا ثَابِتًا يُبْنَى عَلَيْهِ).
(٢) **التوحيد**: مصدر وحَّدَ يوحِّد توحيدًا، فوَحَّد يعني: جعله واحدًا. انظر: القاموس المحيط (ص٤١٤)، والمعجم الوسيط (٢/ ١٠١٦)، ومعجم مقاييس اللغة (٦/ ٩٠).
(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢٧/ ١٤٨، ٣٨/ ٢٢٤)، والطبراني في الكبير (٨/ ٣١٤)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٨٦)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٥/ ٢٦١٩)، من حديث شيخ من كنانة.

النوع الأول: توحيد الربوبية، وهو إفراد الله تعالى بأفعاله، كخلق السماوات والأرض وتدبير الكون، وسائر أفعاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإفراده بذلك يسمى توحيد الربوبية.

النوع الثاني: توحيد الألوهية، وهو إفراده تعالى بأفعال العباد التي شرعها لهم من أنواع القربات والطاعات، فيجب أن تُصرف جميع أنواع العبادة له سُبْحَانَهُ خاصة له دون غيره، ولا يُجعل منها شيء لغير الله عَزَّوَجَلَّ، جميع العبادة لله؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة:٥]، ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [آل عمران:٦٤]، ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء:٣٦]، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣]. هذا توحيد الألوهية؛ إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة التي شرعها، سواء كانت عبادة قولية أو فعلية، أو كانت قلبية؛ لأن العبادات تكون على اللسان بالذكر والتسبيح والتهليل والدعاء وغير ذلك، وتكون بالقلب كالخوف والخشية والرغبة والرهبة، وتكون بالأفعال كالصلاة والصيام والحج والجهاد وصلة الأرحام وغير ذلك.

والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله، ويتقرب به إلى الله من الأعمال والأقوال الظاهرة على اللسان والجوارح، والباطنة في القلب، كلها لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ(١). هذا هو توحيد الألوهية.

---

(١) انظر: (رسالة العبودية) ضمن مجموع الفتاوي (١٠/ ١٤٩).

والنوع الثالث: توحيد الأسماء والصفات، وذلك بأن يُثبت له ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات، أو أثبته له رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأسماء والصفات، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

هذه أنواع التوحيد الثلاثة، كلها يجب إفراد الله وتوحيده بها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وهذه الأنواع الثلاثة مأخوذة بالاستقراء من الكتاب والسنة، لم يقل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أنواع التوحيد ثلاثة)، ولا جاء في القرآن أن أنواع التوحيد ثلاثة، وإنما هذا مأخوذ من كلام الله وكلام رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالاستقراء، فكل الآيات والأحاديث التي تتحدث عن أفعال الله جَلَّ وَعَلَا تدل على توحيد الربوبية، وكل الآيات والأحاديث التي تتحدث عن العبادة وإفراد الله جَلَّ وَعَلَا بها وعدم الإشراك به تدل على توحيد الألوهية، وكل الآيات والأحاديث التي تتحدث عن أسماء الله وصفاته وتنزيهه سُبْحَانَهُ عن ما لا يليق به تدل على توحيد الأسماء والصفات.

هذا التقسيم مأخوذ من الكتاب والسنة، من كلام الله وكلام رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليس هو أمرًا اصطلاحيًّا أو أمرًا مبتدعًا -كما يقوله أهل الضلال، وإنما هو أمر مأخوذ من الكتاب والسنة بالاستقراء والتتبع.

فالتوحيد هو الأصل، وما عداه من العبادات فإنها فرع عليه، فإذا صح الأصل، صح الفرع، أما إذا فسد الأصل، فلا فائدة من الفرع؛ فإنه يفسد، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ

عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الزمر:٦٥]، فالشرك فساد للتوحيد، ويحبط العمل، ويفسد كل الأعمال، أعمال المشرك لا تُقبل، ولا فائدة فيها: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان:٢٣] ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾ [إبراهيم:١٨] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا ﴾ [النور:٣٩]، دل على أن لهم أعمالًا كثيرة، لكن لما كان يشركون بالله، ولا يخلصون العبادة لله، صارت أعمالهم هباءً منثورًا، وسرابًا ورمادًا لا فائدة منه.

هذا دليل على أن التوحيد هو الأصل، وأن ما عداه من أمور الدين فرع عليه، ولهذا كان الرسل -عليهم الصلاة والسلام- أول ما يبدؤون في دعوة الأمم بالدعوة بالتوحيد ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [النساء:٣٦]، والنبي ﷺ أول ما بدأ بالتوحيد والنهي عن عبادة غير الله عَزَّوَجَلَّ، ثم بعد ذلك تنزلت عليه الشرائع والأوامر والنواهي، ولما بعث معاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى اليمن، قال: «**إِنَّك سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِك، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَك بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ، فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ**»(١)، فلا يطالبهم بالصلاة والزكاة إلا بعد أن يعترفوا بتوحيد

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٥، ١٤٩٦، ٢٤٤٨، ٤٣٤٧، ٧٣٧١، ٧٣٧٢)، ومسلم (٢٩) (١٩).

الله وبرسالة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا هو الأصل، فصدق الناظم في قوله: (إن التوحيد هو الأصل، وما عداه من العلوم فهو فرع عليه).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فَاسْمَعْ نَظْمِي)**، والنظم: معروف، وهو نوع من الكلام مقفى موزون؛ لأن الكلام ينقسم إلى قسمين: نثر، ونظم. فالنظم: هو الكلام الموزون المقفى، والنثر: هو الكلام المرسل، الذي ليس له قافية، وليس له وزن.

وكان العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ ينظمون المتون، والمتون هي المختصرات في العلوم، كانوا ينظمونها من أجل أن يسهل حفظها، ويثبت في الذهن؛ لأن النظم أخف من النثر وأعلق بالذهن، فله ميزة على النثر. وقوله: (فَاسْمَعْ نَظْمِي) يعني: اهتم به، واحفظه، وافهم معانيه.

لِأَنَّــهُ الْعِلْـمُ الَّــذِي لَا يَنْبَغِي ... لِـعَـاقِـلٍ لِـفَـهْـمِـهِ لَمْ يَـبْـتَـغِ

الشَّـرْح

لا ينبغي لعاقل ألَّا يطلب فهم التوحيد، بل التوحيد هو أول ما يتعلمه الإنسان من أمور دينه، هذا هو الأصل، وهو الأساس، فعلم العقيدة يجب أن يكون في مقدمة العلوم، وفي مقدمة اهتمام طلبة العلم والمعلمين؛ يبدؤون به، ويقدمونه على غيره، عكس ما يقوله أهل الضلال وأهل الجهل اليوم، الذين يُزَهِّدون في التوحيد، ويقولون: (كيف تعلمون المسلمين التوحيد؟ هم مسلمون!)، نقول: لا يكونون مسلمين إلا إذا قاموا بالتوحيد، ولا يقومون بالتوحيد، إلا إذا عرفوه وفهموه، أما إذا جهلوه، فإنهم لا يحققونه، ولا يقومون به.

فَيَعْلَمُ الْوَاجِبَ وَالْمُحَالا كَجَائِزٍ فِي حَقِّهِ تَعَالى

الشَّرْح

هذا هو علم التوحيد؛ أن يعرف الواجب في حق الله تعالى؛ من إثبات صفات الكمال له جَلَّ وَعَلَا، ونعوت الجلال، وإفراده بالعبادة، هذا هو الواجب له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومعرفة المستحيل في حقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ كوجود الشريك لله عَزَّ وَجَلَّ والشبيه والمثيل، هذا مستحيل أن يكون لله شبيه أو مثيل جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:٤]، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل:٧٤]؛ أي: الشبهاء والنظراء، هذا محال أن يكون لله شبيه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومحال أن يكون له شريك في خلقه، وشريك في عبادته، وشريك في أمره ونهيه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والجائز: ما أمكن وجوده وعدمه(١)، وذلك كأفعال الله جَلَّ وَعَلَا؛ فإن الله يفعل بمشيئته وإرادته، يخلق ويرزق، ويرسل الرسل، ويُنزل الكتب، ويُنزِل الغيث، ويُعز ويُذل، كل هذه من أفعاله، وهذا من الأمور الجائزة، التي قد تقع، وقد لا تقع؛ بحسب مشيئته سُبْحَانَهُ، وحكمته وإرادته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

إذًا الأمور في حق الله على ثلاثة أقسام:

أولًا: الواجب له سُبْحَانَهُ: من إثبات كماله سُبْحَانَهُ، ونعوت جلاله، وعبادته وحده لا شريك له. هذا هو الواجب في حقه.

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٣/ ٢٦٨)، ومنهاج السنة النبوية (٢/ ٢٨٠).

ثانيًا: والممتنع في حقه: وهو الشرك به، وضرب الأمثال والشبهاء لله عَزَّوَجَلَّ.

ثالثًا: الجائز في حق الله: وهو أفعال الله جَلَّوَعَلَا، التي يفعلها بمشيئته وإرادته، يفعل ما يشاء ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص:٦٨]، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة:٢٥٣]، ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج:١٦]، سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ!

وَصَــارَ مِــنْ عَــادَةِ أَهْــلِ الْعِلْمِ　　أَنْ يَـعْـتَـنُـوا فِي سَـبْرِ ذَا بِالنَّظْمِ

الشَّرْح

لما كان من عادة أهل العلم أنهم ينظمون المتون -ولاسيما متون التوحيد-، فإن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أراد أن يسهم في هذا المجال، ويشارك أهل العلم، فنظم هذه العقيدة؛ ليسهل حفظها وفهمها، وهذا من وسائل التعليم، ومن التسهيل على طلبة العلم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أَنْ يَعْتَنُوا فِي سَبْرِ ذَا بِالنَّظْمِ)**، من عادتهم أنهم ينظمون هذه المختصرات؛ مختصرات العقيدة، ومختصرات الفقه، ومختصرات مصطلح الحديث، ومختصرات علم النحو، وفي كل علم وفي كل فن تجدون نظمًا لمختصراته، وهذا من تسهيل طلب العلم على الناس، ولهم في ذلك الأجر العظيم؛ لأنهم بذلوا استطاعتهم في تسهيل العلم للناس، وقربوه لهم تقريبًا.

ولقد اهتم العلماء في تتبع مسائل علم التوحيد، وصاغوها بنظم مقفى موزون.

❁❁❁

لِأَنَّـــهُ يَـسْـهُـلُ لِـلْـحِـفْـظِ كَـمَا يَـرُوقُ لِلسَّمْعِ وَيَشْفِي مِـنْ ظَمَا

الشَّـرْح

لأن النظم يسهل للحفظ، هذا بلا شك أن حفظ النظم أسهل من حفظ النثر، وأيضًا يعلق بالذاكرة ويبقى، أنت لو حفظت النثر، سرعان ما تنساه، لكن إذا حفظت النظم، فإنه يبقى في ذاكرتك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**لِأَنَّهُ يَسْهُلُ لِلْحِفْظِ كَمَا**)، هذه فائدة أنه يسهل حفظه، ويطبع في الذاكرة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**يَرُوقُ لِلْسَّمعِ**)، الأمر الثاني من مسوغات النظم: أنه يروق للسمع، فالإنسان يستمع إلى النظم أكثر مما يستمع للنثر؛ لخفته على السمع، بل ويتلذذ الإنسان بسماعه، ويطرب له.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَيَشفِي منْ ظَمَا**)؛ أي: يروي من شدة العطش، والمقصود أنه يروي العطشان إلى العلم، وهذا عطش معنوي، العطشان إلى العلم النظم يسقيه من ظمئه، ويقرب له العلم، ويسهله عليه، والمراد هنا الري من معرفة أصول علم التوحيد ومهمات مسائله. وكل شيء يسهل العلم ويعين على تناوله فهو مشروع، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ**»(١)، ومن الطرق التي تُسلك للعلم نظمه للناس وحفظه والعناية به.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فَمِنْ هُنَا نَظَمْتُ لِي عَقِيدَةً أُرْجُوزَةً وَجِيزَةً مُفِيدَةً

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَمِنْ هُنَا**)؛ يعني: لما كان النظم بهذه الأهمية، ولما كان العلماء ينظمون متون العلم، نظمت هذه العقيدة.

والنظم: هو ضم الكلام بعضه إلى بعض مع تنسيقه، شبهه بالخيط الذي تُنظم فيه حبات اللؤلؤ، فالمنظومة تُشبه نظم اللؤلؤ الذي يكون العقد ونحوه، فالنظم هو: إقامة الأشياء على نظام واحد؛ أي: نهج غير مختلف[1].

والعقيدة: ما يعتقده القلب، ويجزم به، بخلاف الظن والشك، هذا ليس عقيدة، إنما العقيدة هي الأشياء التي يجزم بها القلب ويقتنع بها[2]، فإن كان هذا الاعتقاد موافقًا للحق، فالعقيدة صحيحة، وإن كان هذا الاعتقاد مخالفًا للحق، فهذه العقيدة باطلة.

كل الناس يعتقدون، لكن منهم من يعتقد الحق، ومنهم من يعتقد الباطل. وعقيدة أهل السنة والجماعة -ولله الحمد- من النوع الأول عقيدة صحيحة؛ لأنها موافقة للكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة، أما ما عداها من العقائد، فإنها عقائد باطلة؛ لأنها مخالفة للحق.

---

(١) انظر مادة (نظم) في: العين (٨/ ١٦٥)، وتهذيب اللغة (١٤/ ٢٨٠)، والصحاح (٥/ ٢٠٤١)، ومقاييس اللغة (٥/ ٤٤٣)، ولسان العرب (١٢/ ٥٧٨).

(٢) سبق (ص ١١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أُرْجُوزَةً)**، الأرجوزة مأخوذة من الرَّجَز، وهو بحر من بحور الشعر الستة عشر، أولها بحر الطويل، وآخرها المتدارك، وهي بحور لايخرج النظم عنها، وهذه القصيدة موافقة لبحر الرجز.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَجِيزَةً)**؛ يعني: مختصرة، وهذه ميزة النظم أنه يكون مختصرًا، والاختصار هو جمع المعاني الكثيرة تحت اللفظ القليل، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوتي جوامع الكلم(١)، فكان يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكلمات المعدودة، وتشتمل على معان عظيمة كثيرة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مُفِيدَةً)**؛ مفيدة لمن قرأها؛ لأنه جمع فيها مسائل العقيدة، وسهلها عليه، وقربها له، وجعلها دانية في متناول يده، فهي مفيدة بحق لمن قرأها، وليس هذا من مدح الإنسان لعمله، وإنما هو الواقع؛ لأنك إذا قرأتها، وجدتها كما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٥٢٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ**».

وأخرج أحمد (١١/ ١٧٩) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وفيه: «... أُوتِيتُ فَوَاتِحَ الْكَلِمِ وَخَوَاتِمَهُ وَجَوَامِعَهُ...».

نَظَمْتُهَا فِي سِلْكِهَا مُقَدِّمَهْ وَسِتُّ أَبْوَابٍ كَذَاكَ خَاتِمَهْ

الشَّرْح

ذكر ما تشتمل عليه هذه القصيدة في بيت واحد: مقدمة، وستة أبواب، وخاتمة، هذه محتوياتها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مُقَدِّمَةْ)** بكسر الدال، ويجوز فتحها (مقدَّمة)، وهي ما يكون بين يدي الشيء؛ المقدِّمة أو المقدَّمة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَسِتُّ أبوابٍ)**، جمع باب، وهو المدخل، ويراد به هنا المدخل إلى مسائل العلم.

وجعلوا العلم على أبواب وفصول ومسائل لأجل تسهيله على طالب العلم؛ لأنه لو كان مرسلًا من أوله إلى آخره -ليس فيه أبواب ولافيه فصول-، فإن هذا يشق على القارئ، أما إذا فُصل، وجُعل أبوابًا، وجُعل فصولًا، وجُعل مسائل، فهذا يُسهل على طالب العلم؛ مثل المسافر إذا كان يسير في الطريق، وكان الطريق فيه علامات؛ فإن هذا يُسهل عليك، أما لم يكن عليه شيء، ولا تدري ما الذي قطعته وما الباقي، فإنك تسأم، أما إذا جُعل في الطريق محطات، وجُعل عليه علامات، وجُعل عليه أرقام -كما هو الحال في هذه الأيام-، فإن هذا مما يُسهل على المسافر.

كذلك العلم، إذا جُعل أبوابًا وفصولًا ومسائل وتفريعات، فإن هذا يسهله على طالب العلم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كَذاكَ خاتِمَةْ**)، الخاتمة: هي ما يكون في نهاية الكلام من بيان النتائج التي توصل إليها الباحث، فيها خلاصة ما تضمنه مؤلفه من فوائد أو من مسائل وأحكام.

وَسَمْـتُـهَـا بِـالـدُّرَةِ الْمُـضِـيَّـةِ ... فِي عِقْدِ أَهْلِ الْفِرْقَةِ الْمَرْضِيَّةِ

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَسَمْتُهَا)**؛ من السمة وهي العلامة؛ يعني: سميتها، فالوسم هنا هو الاسم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بِالدُّرَّةِ)**، وهي اللؤلؤة العظيمة، شبهها باللؤلؤة التي هي من الجواهر النفيسة، وهي كذلك نفيسة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(المُضِيَّةِ)**، من الإضاءة، وهي النور الذي يضيء للناس الطريق، وهذه الأرجوزة فيها نور؛ لأنها مأخوذة من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. تقول: (المضية) بالتخفيف، وتقول: (المضيئة) بالهمز.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فِي عِقْدِ)**؛ أي: في عقيدة، والعقد معناه: العقيدة، وقلنا: إن العقيدة ما يعتقده القلب، ويجزم به، سواء كان حقًا أو باطلًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أَهْلِ الْفِرْقَةِ)**؛ أي: الطائفة (الْمَرْضِيَّةِ) في اعتقادها؛ لأنها أخذته من الكتاب والسنة، والمقصود أهل السنة والجماعة، بخلاف الطوائف غير المرضية، وهم أهل الضلال، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً**»[١]، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ

---

(١) هذا حديث الافتراق المشهور، وهو حديث حسن، وله طرق، وورد عن عدد من الصحابة بنحو هذا اللفظ، منهم: معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند أبي داود في السنن (٤٥٩٧)، والطبراني في الكبير (١٩/ ٣٧٧). وعوف بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند ابن ماجه (٣٩٩٢)، والطبراني في الكبير (١٨/ ٧٠). وأنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند ابن ماجه (٣٩٩٣)، وأحمد في المسند (٣/ ١٤٥)، وأبي يعلى في مسنده (٧/ ١٥٥). وانظر تمام تخريجه في السلسلة الصحيحة (ح ٢٠٤).

يَا رَسُول اللهِ؟ قال: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»(١)، هذه هي الطائفة المرضية التي تتبع ما كان عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، فهذه الطائفة المرضية، وأما الطوائف الأخرى، فهي مبغضة وممقوتة وضالة.

وتسمى الفرقة الناجية؛ يعني: من النار؛ لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً**»، فهي الفرقة الناجية من النار، وهي الطائفة المنصورة؛ كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ**»(٢)، فهي الطائفة المرضية، وهي الطائفة المنصورة، وهي الفرقة الناجية، وهم أهل السنة والجماعة؛ أهل السنة لأنهم متمسكون بسنة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والجماعة لأنهم لم يتفرقوا كما تفرقت الفرق الأخرى، فتجد أهل السنة -ولله الحمد- غير متفرقين، بل هم أمة واحدة من أولهم إلى آخرهم؛ لأن من ساروا على نهج السلف، فإنه لا يدخلهم الافتراق، والله جَلَّ وَعَلَا، يقول: ﴿**وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا**

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٢١٨)، وكلاهما من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وأخرجه الطبراني في الأوسط (٥/ ١٣٧)، والصغير (٢/ ٢٩) من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
وروي نحوه من حديث أبي هريرة، وسعد بن أبي وقاص، ومعاوية، وعمرو بن عوف المزني، وعوف بن مالك، وأبي أمامة، وجابر بن عبد الله، رضي الله عنهم أجمعين.
وصححه البغوي في شرح السنة (١/ ٢١٣)، والحديث فيه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقي، قال الحافظ في التقريب: (ضعيف في حفظه، وكان رجلًا صالحًا). وانظر: تهذيب التهذيب (٦/ ١٧٣)، والميزان (٢/ ٥٦١)، والكامل (٤/ ٥٩٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٤١)، ومسلم (١٩٢٠) من حديث معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقد أخرجاه من حديث جابر وثوبان والمغيرة بن شعبة وسعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ بألفاظ متقاربة.

وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران:١٠٣]، فلا يعصم من التفرق إلا التمسك بحبل الله، وهو القرآن والسنة، فمن تمسك بالقرآن والسنة، سلم من الافتراق، ومن خالف الكتاب والسنة، فإنه يقع في الافتراق: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٣٧].

فمن صفات أهل السنة والجماعة أنهم لم يتفرقوا، ولم يختلفوا؛ لأن دليلهم كتاب الله وسنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإذا حصل بينهم اختلاف، رجعوا إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فانحسم النزاع: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء:٥٩]، فإذا حصل بينهم اختلاف، فإنهم يحكّمون الكتاب والسنة، ويتبين الصواب، فيتبعونه، ويتركون الاختلاف، هذه صفة أهل السنة والجماعة؛ أنهم إخوان، أنهم متآلفون متحابون، أنهم متفقون، لا يحصل بينهم اختلاف، وإن حصل بينهم اختلاف، رجعوا إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فذهب النزاع الذي بينهم، والمخطئ يرجع إلى الصواب؛ لأنه يريد الحق، ولا يريد الهوى، هذه صفتهم.

أما أهل الأهواء، فإنهم لا يريدون الكتاب والسنة، وإنما كلٌّ ينتصر لمذهبه وحزبه وطائفته وإمامه: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون:٥٣]، هذا هو المشكل؛ أنه يفرح بما هو عليه، وقد يكون ما هو عليه ضلالًا، وخطأً، فيفرح به، أما لو كان لا يزكي نفسه،

ولا يزكي مذهبه، ولا يزكي إمامه، ولا يزكي طائفته، بل يقول: (يحتمل أنهم على صواب، ويحتمل أنهم على خطأ)، فيراجع الصواب، هذا يُهدى إلى الحق، أما إذا كان فرحًا بما هو عليه ولا يبالي، فهذا هو الضلال -والعياذ بالله-: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾.

عَلَى اعْتِقَادِ ذِي السَّدَادِ الْحَنْبَلِي إِمَامِ أَهْلِ الْحَقِّ ذِي الْقَدْرِ الْعَلِي

الشَّرْح

هذه العقيدة على اعتقاد الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، إمام أهل السنة، ولماذا خص الإمام أحمد مع أن هذه العقيدة هي عقيدة الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وعقيدة التابعين وعقيدة الأئمة الأربعة؟ خص الإمام أحمد بذلك؛ لأنه هو الذي دافع عنها، وثبت عليها يوم المحنة، لما جاء الجهمية(١)، والمعتزلة(٢)،

(١) هم أتباع الجهم بن صفوان أبي محرز الراسبي، مولاهم السمرقندي، الضال المبتدع رأس الجهمية هلك في زمان صغار التابعين، وقد زرع شرًّا عظيمًا، وهو رأس في التعطيل، قُتل سنة ١٢٨هـ، قتله سَلْم بن أحوز. انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٨٦)، والفرق بين الفرق (ص١٩٩)، وميزان الاعتدال للذهبي (٢/ ١٥٩)، والتعريفات للجرجاني (ص١٠٨)، وفتح الباري (١٣/ ٣٤٥)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٥٣٩).

(٢) هي إحدى الفرق الضالة المخالفة لأهل السنة والجماعة، ورأس هذه الفرقة واصل بن عطاء الغزال، كان تلميذًا في مجلس الحسن البصري، فأظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين وأن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن ولا بكافر، فطرده الحسن من مجلسه، وانضم إليه عمرو بن عبيد، واعتزلا مجلس الحسن، فسموا بالمعتزلة لذلك، ويلقبون بالقدرية لإسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم وإنكارهم القدر فيها.

وقد افترقت المعتزلة إلى فرق شتى يجمعهم القول بنفي الصفات، والقول بخلق القرآن، وأن العبد يخلق فعل نفسه، ولهم أصول خمسة جعلوها بمنزلة أركان الإيمان عند أهل السنة، وهي: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وإنما أرادوا بهذه المسميات معاني باطلة.

انظر: الملل والنحل (١/ ٣٠ - ٣٢)، والفرق بين الفرق (ص١٨، ٩٣، ٩٤)، والبدء والتاريخ (٥/ ١٤٢)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٤٦٤)، ووفيات الأعيان (٦/ ٨). وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص ٧٩١-٧٩٢).

وتمكنوا من المأمون العباسي[١]، واستغلوه، وأراد أن يجُبر الناس على القول بخلق القرآن، والقرآن هو أساس العقيدة، وهو أساس الدين كله، وهم يريدون أن يفلتوا أيدي الناس من القرآن، ويقولون: (القرآن ليس كلام الله، القرآن مخلوق، خلقه الله كسائر الخلق)، فأقنعوا المأمون بن هارون الرشيد، الخليفة في وقته، فأراد أن يجبر الناس بسلطانه، وعذب الناس، وسجنهم، وقتل من قتل منهم، ولكن الإمام أحمد ثبت، وصبر على السجن، وصبر على الضرب، ولم يساوم على دينه، حتى نصر الله به هذه الملة في وقت المحنة، ولهذا يقولون: (نصر الله هذا الدين برجلين: أبي بكر الصديق يوم الردة، والإمام أحمد بن حنبل يوم الشدة)[٢]، ويقال له: (الصديق الثاني)؛ فهو الذي ثبت رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وصبر على الضرب، وصبر على السجن في أيام المأمون وأيام المعتصم[٣]

---

(١) هو الخَلِيْفَةُ، أَبُو العَبَّاسِ، عَبْدُ اللهِ بنُ هَارُوْنَ الرَّشِيْدِ بنِ مُحَمَّدٍ المَهْدِيِّ ابْنِ أَبِي جَعْفَرٍ المَنْصُوْرِ العَبَّاسِيُّ. وُلِدَ: سَنَةَ سَبْعِيْنَ وَمائَةٍ. وَقَرَأَ العِلْمَ، وَالأَدَبَ، وَالأَخْبَارَ، وَالعَقْلِيَّاتِ، وَعُلُوْمَ الأَوَائِلِ، وَأَمَرَ بِتَعْرِيْبِ كُتُبِهِم، وَبَالَغَ، وَعَمِلَ الرَّصَدَ فَوْقَ جَبَلِ دِمَشْقَ، وَدَعَا إِلَى القَوْلِ بِخَلْقِ القُرْآنِ وَبَالَغَ، وَصَمَّمَ عَلَى امْتِحَانِ العُلَمَاءِ فِي سَنَةِ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ، وَشَدَّدَ عَلَيْهِم، فَأَخَذَهُ اللهُ، في عام ثمانية عشر ومائتين من الهجرة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٧٢)، والأعلام للزركلي (٤/ ١٤٢).

(٢) قال المزني: (أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ يَوْمَ المِحنَةِ، أَبُو بَكْرٍ يوم الرِّدَّةِ، وَعُمَرُ يَوْمَ السَّقِيفَةِ، وَعُثْمَانُ يَوْمَ الدَّارِ، وَعَلِيٌّ يَوْمَ صِفِّينَ). انظر: سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٠١)، وطبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٢٧)، وغذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (١/ ٣٠٢).

(٣) هو الخَلِيْفَةُ، أَبُو إِسْحَاقَ مُحَمَّدُ ابْنُ الرَّشِيْدِ هَارُوْنَ بنِ مُحَمَّدٍ المَهْدِيِّ بنِ المَنْصُوْرِ العَبَّاسِيُّ. وُلِدَ: سَنَةَ ثَمَانِيْنَ وَمائَةٍ، امْتَحَنَ النَّاسَ بِخَلْقِ القُرْآنِ، وَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى الأَمْصَارِ، وَأَخَذَ بِذَلِكَ المُؤَذِّنِيْنَ، وَفُقَهَاءَ المَكَاتِبِ، وَدَامَ ذَلِكَ حَتَّى أَزَالَهُ المُتَوَكِّلُ بَعْدَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ عَامًا. توفي في عام ٢٢٧ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٩٠)، والأعلام للزركلي (٧/ ١٢٧).

وأيام الواثق[١]، صبر على ذلك، وأبى أن يقول بخلق القرآن، وأبى أن يتأول؛ لأن بعض الأئمة تأولوا من باب الإكراه؛ ليسلموا من العذاب، لكن هو أبى، وكان يقول: (هاتوا لي شيئًا من كتاب الله أو من سنة رسول الله)، وكلما قالوا له، قال: (هاتوا لي شيئًا من كتاب الله ومن سنة رسول الله)، حتى نصر الله به الدين، وفضح به أهل البدع أهل التجهم والاعتزال، وجاء وقت المتوكل بن هارون الرشيد[٢] فأفرج عن الإمام أحمد ونصر أهل السنة وزالت الشدة، لكن بعد ماذا؟ بعد الثبات والصبر والاحتساب، لما ثبت الإمام أحمد على هذه العقيدة، ولم يساوم عليها، صار له الفضل في حمايتها، وصارت تُنسب إليه؛ لأنه هو الذي نصرها، وهو الذي ثبت عليها، وهو الذي دافع عنها، وهو الذي أخزى الله به الجهمية والمعتزلة، فلذلك صارت تُنسب إليه، وإلا فهي في الواقع عقيدة السلف الصالح[٣].

---

(١) هو الخَلِيْفَةُ، هارون الواثق بالله أَبُو جَعْفَر، وقيل: أَبُو القاسم. قَالَ الخطيب: كَانَ أَحْمَد بْن أَبِي دُؤاد قد استولى عَلَى الواثق وحمله عَلَى التشدُّد فِي المحنة. ودعا النّاس إلى القول بِخلْق القرآن. ويُقال: إنّ الواثق رجع عن ذلك القول قبل موته. توفي في عام ٢٣٢ هـ. انظر: تاريخ الإسلام (٥/ ٩٥٠)، والأعلام للزركلي (٨/ ٦٢).

(٢) هو الخَلِيْفَةُ، أَبُو الفَضْلِ جَعْفَرُ ابنُ المُعْتَصِمِ بِاللهِ مُحَمَّدِ ابنِ الرَّشِيْدِ هَارُوْنَ بنِ المَهْدِيِّ بنِ المَنْصُوْرِ القُرَشِيُّ، العَبَّاسِيُّ، البَغْدَادِيُّ. وُلِدَ: سَنَةَ خَمْسٍ وَمائَتَيْنِ. وَبُوْيِعَ عِنْدَ مَوْتِ أَخِيْهِ الوَاثِقِ فِي ذِي الحِجَّةِ، سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِيْنَ. قَالَ خَلِيْفَةُ بنُ خَيَّاطٍ: اسْتُخْلِفَ المُتَوَكِّلُ، فَأَظْهَرَ السُّنَّةَ، وَتَكَلَّمَ بِهَا فِي مَجْلِسِهِ، وَكَتَبَ إِلَى الآفَاقِ بِرَفْعِ المِحْنَةِ، وَبَسْطِ السُّنَّةِ، وَنَصْرِ أَهْلِهَا. توفي سنة ٢٤٧ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٠)، والأعلام للزركلي (٢/ ١٢٧).

(٣) انظر ترجمة الإمام أحمد وقصة محنته في: البداية والنهاية (١٠/ ٣٣١-٣٣٥)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٧-٣٥٨)، وطبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٢٧).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ذِي السَّدَادِ)** يعني: صاحب الصواب والاستقامة في العقيدة، والقصد في الدين والسبيل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الحَنْبَلِي)**؛ نسبة إلى حنبل جد الإمام أحمد، فهو الإمام أحمد ابن محمد بن حنبل، فحنبل جده، ولذلك يُنسب إليه، ويقال: (الشيباني)؛ نسبة إلى شيبان أحد أجداده، ويقال: (أحمد بن حنبل الشيباني)، وكانت وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ في السنة الحادية والأربعين بعد المائتين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إِمَامِ أَهْلِ الحَقِّ)**؛ أي: إمام أهل السنة، كلٌ يُلقبه بذلك، وكان المبتدع يُعرف بعداوته للإمام أحمد، والسني يُعرف بمحبته للإمام أحمد ابن حنبل، فإذا رأيت الرجل يحب الإمام أحمد بن حنبل، فاعلم أنه سني، وإذا رأيت الرجل يكره الإمام أحمد، ويتكلم فيه، فاعلم أنه مبتدع.

حَبْرِ الْمَلَا فَرْدِ الْعُلَا الرَّبَّانِي رَبِّ الْحِجَى مَاحِي الدُّجَى الشَّيْبَانِي

الشَّرح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(حَبْرِ)**، الحَبر والحِبر هو العالم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(المَلَا)** الملأ: المراد بهم: أشراف الناس ومقدموهم: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾ [الأعراف:٦٠] فالملأ: هم أصحاب المال، وأصحاب الثروة، وأصحاب الجاه، والمراد هنا: الخلق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَردِ الْعُلَا)**؛ يعني: الوحيد في صفات المعاني.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الرَّبَّانِي)**، هو العالم العامل المُعلم، يقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران:٧٩]، ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة:٤٤]، فالرباني: هو العالم الذي يعمل بعلمه، ويربي الناس عليه، ويعلمهم إياه؛ نسبة إلى التربية، أو نسبة إلى الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ[(١)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(رَبِّ الْحِجَى)**؛ رب: بمعنى صاحب، الحجا: يعني العقل الراجح، يسمى حجا، ويسمى عقلًا، ويسمى حجرًا: ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٥٣٠-٥٣١)، والقرطبي (٤/ ١٢٢)، وتهذيب اللغة (١٥/ ١٢٩-١٣٠)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ١٨١)، ولسان العرب (١/ ٤٠٣-٤٠٧).

حِجۡرٍ﴾ [الفجر:٥]؛ أي: لذي عقل؛ لأنه يحجر صاحبه عما لايليق، ويعقله عما لا يليق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مَاحِي الدُّجَى)**؛ أي: الظلام، والمراد به هنا ظلام البدعة، الذي محا البدعة، وهي القول بخلق القرآن، فبثباته وتمسكه بالكتاب والسنة كان يمحو ظلمة البدع، ويدعو إلى نبذها والعودة إلى الكتاب والسنة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الشَّيْبَانِي)**؛ نسبة إلى جده شيبان.

فَـإِنَّـهُ إِمَـامُ أَهْـلِ الْأَثَـرِ   فَمَنْ نَحَا مَنْحَاهُ فَهْوَ الْأَثَرِي
سَقَى ضَرِيحًا حَلَّهُ صَوْبُ الرِّضَا   وَالْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ مَا نَجْمٌ أَضَا

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَإِنَّهُ إِمَامُ أَهْلِ الْأَثَرِ)**؛ أي: إمام أهل الحديث، وهو المتضلع في علم الحديث ورجاله وتاريخه، وأُخذ الحديث عنه، ومن تلاميذه الإمام البخاري، والإمام مسلم، والإمام أبو داود، والترمذي، كل هؤلاء من تلاميذ الإمام أحمد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إِمَامُ)**؛ يعني: قدوة المحدثين، الذين يأخذون عقيدتهم من كتاب الله وسنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما ثبت عن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَمَنْ نَحَا مَنْحَاهُ)**؛ يعني: ذهب مذهبه، واعتقد عقيدته.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَهْوَ الْأَثَرِي)** أي صاحب السنة، والأثر لغة: البقية من الشيء، واصطلاحًا: هو المروى عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو عن صحابي، أو تابعي ومن بعده من السلف، ومن يشتغل بعلم السلف يقال: له الأثري.

هذا دعاء له، لما ذكر مناقبه دعا له.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(سَقَى ضَرِيحًا)**؛ يعني: قبره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(حَلَّهُ صَوْبُ الرِّضَا)** من الله عَزَّ وَجَلَّ، **(صَوْبُ)** يعني: صيِّبًا، وهو المطر؛ يعني: أمطره الله جَلَّ وَعَلَا، وسقاه بالرضا والرضوان من الله في قبره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَالْعَفْوِ)** عنه، **(وَالْغُفْرَانِ)** له.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مَا نَجْمٌ أَضَا)**؛ يعني: نوَّر الظلمة؛ لأنه هو الذي نوَّر المسلمين بعلمه بالله جَلَّ وَعَلَا، ندعوه تعالى أن يرضى عنه، ويعفو عنه، ويغفر له دائمًا وأبدًا، ما بقيت النجوم في السماء؛ لأنه هو من النجوم التي يُهتدى بها.

وَحَلَّهُ وَسَائِرَ الْأَئِمَّةِ مَنَازِلَ الرِّضْوَانِ أَعْلَى الْجَنَّةِ

الشَّرح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَحَلَّهُ)**؛ أي: أحله، يعني: أنزله **(وَسَائِرَ الْأَئِمَّةِ)**؛ أي: بقية الأئمة من أهل السنة والجماعة، ومنهم الأئمة الأربعة وغيرهم من أئمة أهل السنة والجماعة، لما دعا له خاصة، دعا لأئمة المسلمين عامة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مَنَازِلَ الرِّضْوَانِ أَعْلَى الجَنَّةِ)**؛ أي: الفردوس الأعلى، وهو أعلى منازل الرضوان في جنة الخلد؛ كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهَا أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ**»[(١)]، وهذا من الدعاء للعلماء، وهو سنة أن ندعو لعلمائنا، وأن نترحم عليهم، وأن نثني عليهم؛ لأنهم هم الذين دلونا على الطريق الصحيح، وهم الذين علمونا هذا العلم، وجمعوه لنا، وتعبوا فيه، وحرسوه من الزيادة والنقصان، فلهم الفضل على من جاء بعدهم؛ بخلاف الذين يتنقصون العلماء، ويقللون من شأنهم، ويرفعون أنفسهم عليهم، ويزعمون أنهم ينافسونهم، أو أنهم أحسن منهم، فهذا من الجهل بحق العلماء، ومن الغرور؛ لأن الإنسان مهما بلغ من العلم، فإنه لا يزهد في العلماء، ولا يحتقر العلماء الذين سبقوه أو علموه، لا يحتقرهم، بل يثني عليهم، ويدعو لهم، ولو قُدر أنه صدر من بعضهم خطأ من غير قصد، فإن هذا لا يُنقِص من قدرهم، ولا يُسوغ الوقيعة فيهم، وعلينا ألَّا نتلمس عثراتهم، بل نسترهم، و ندعو لهم، ولا نعتقد أنهم معصومون، وأنهم لا يخطئون أبدًا، العصمة لا تكون

(١) أخرجه البخاري (٢٧٩٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

إلا للرسل -عليهم الصلاة والسلام-، أما هم، فيخطئون، لكن كفاهم فضلًا أن صوابهم أكثر من خطئهم، يقول بشار بن بُرد(١):

وَمَنْ ذَا الَّذِي تُرْضَى سَجَايَاهُ كُلُّهَا كَفَى الْمَرْءُ نُبْلًا أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهْ

فهم وإن قُدر أن لهم بعض الأخطاء الاجتهادية التي ما قصدوها، فهم مأجورون على الاجتهاد، إن أصابوا، فلهم أجران، وإن أخطؤوا، فلهم أجر واحد(٢)، فنحن لا نتلمس عثراتهم، ولا نقلل من شأنهم، ولا نرفع أنفسنا فوقه؛ لسنا بشيء بالنسبة إليهم، نحن -واللهِ- لسنا بشيء بالنسبة إليهم، يخجل الإنسان إذا قرأ تاريخهم، وقرأ تراجمهم وعلمهم، يخجل الإنسان أن يدعي أنه طالب علم، فضلًا عن أن يدعي أنه عالم.

فالإنسان يخجل، ولا يسيء الأدب مع العلماء، يقول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠]، هذه صفة المؤمنين مع سلفهم ومع من سبقهم؛ يترحمون عليهم، ويدعون لهم، ويستغفرون لهم، ويحبونهم، ولا يبغضون أحدًا منهم، ولسنا بالنسبة لهم شيئًا يذكر؛ كما قال الشاعر(٣):

لَا تَعْرِضَنَّ بِذِكْرِنَا فِي ذِكْرِهِمْ لَيْسَ الصَّحِيحُ إِذَا مَشَى كَالْمُقْعَدِ

---

(١) انظر: غرر الخصائص الواضحة (١/ ٥٤٦).

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦)، من حديث عمرو ابن العاص وأبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ، فَاجْتَهَدَ، ثُمَّ أَصَابَ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ، فَاجْتَهَدَ، ثُمَّ أَخْطَأَ، فَلَهُ أَجْرٌ».

(٣) البيت لَمَخْلَدِ بْنِ الْحُسَيْنِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. انظر: حلية الأولياء (٨/ ٢٦٦)، وصفة الصفوة (٢/ ٤١٠).

مُقدِّمَةٌ فِي تَرْجِيحِ مَذْهَبِ السَّلَفِ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ سَائِرِ الْمَذَاهِبِ

الشَّرْح

هذه المقدمة عقدها الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ لبيان فضل مذهب السلف على غيره من سائر المذاهب، والمراد بالسلف: الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، والتابعون، والقرون المفضلة، ومن سار على نهجهم، فهم السلف؛ يعني: هم المتقدمون، يقال: سلف الشيء إذا تقدم. والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠]، هؤلاء هم السلف، وهم: المهاجرون والأنصار، ومن تبعهم، وجاء بعدهم، واقتفى أثرهم، وأما غيرهم، فيقال لهم: الخلف، وهم: من جاء بعد القرون المفضلة، ونهج غير منهج السلف، وهم طوائف كثيرة متنوعة؛ كما أخبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، هي التي في الجنة، واثنتان وسبعون في النار، فسأل الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من هي هذه الفرقة الناجية من النار؟ فقال: «**مَنْ كَانَ عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي**»[(١)]، هؤلاء هم السلف وأتباعهم. وكما في الحديث الآخر: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ**

(١) سبق تخريجه (ص٥٥).

عَلَى الْحَقِّ، لَايَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»(١)، هذه هي الفرقة الناجية، وهي الطائفة المنصورة، وهم السلف وأتباعهم، وأما من عداهم، ففرق كثيرة، لا حصر لها، لكن هذه أصولها.

مثلًا: القدرية(٢) -من جبرية(٣) ونفاة-، والجهمية وما تفرع عنهم، والشيعة(٤) وما تفرع عنهم، والمرجئة(٥) وما تفرع عنهم، والخوارج(٦) وما

---

(١) سبق تخريجه (ص٥٥).

(٢) القدرية هم نفاة القدر القائلون بأن العبد يخلق فعل نفسه، وليس لله فيه إرادة ولاخلق ولا مشيئة، فأنكروا عموم المشيئة والخلق. قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (ص٤٩٣): (والقدرية نفاة القدر جعلوا خالقين مع الله تعالى؛ ولهذا كانوا مجوس هذه الأمة، بل أردأ من المجوس...) ا.هـ. ويُطلق اسم القدرية على الغلاة في القدر. انظر: الفرق بين الفرق (ص١١٢، ٢٤١)، ومجموع الفتاوى (٨/ ٧- ٥٨)، والصفدية (١/ ٥٠)، ودرء التعارض (١/ ٣٧١-٣٧٤).

(٣) الجبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى، والجبرية أصناف: فالجبرية الخالصة هي التي لا تثبت للعبد فعلًا ولا قدرة على الفعل أصلًا، والجبرية المتوسطة هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلًا. انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص٦٨)، والملل والنحل (١/ ٨٥)، والتعريفات (ص١٠١).

(٤) هم الذين شايعوا عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصًّا ووصية، إما جليًّا وإما خفيًّا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده، وهم ثلاث طوائف: الغالية، والروافض، والزيدية.
انظر: مقالات الإسلاميين (ص٥ وما بعدها)، والملل والنحل (ص١٤٦)، والتعريفات (ص١٧١).

(٥) **المرجئة**: قيل من الإرجاء أي: من التأخير لأنهم أخروا العمل عن مسمى الإيمان، وقيل من الرجاء لأنهم يقولون لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة. وهم فرق شتى. انظر: مقالات الإسلاميين (ص ١٣٢)، والفرق بين الفِرق (ص ١٩٠).

(٦) هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين جرى أمر المحكمين، واجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة، وفيهم قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَحْقِرُ أحدكم صَلَاتَهُ مع** =

تفرع عنهم، كل هذه طوائف ضالة منحرفة، وتتشعب، وتنقسم إلى أقسام كثيرة؛ لأن من ترك الحق، يُبتلى بالباطل وبالاختلاف؛ لأنهم لم يبنوا على أصل؛ حتى يجتمعوا عليه، بل كلٌ يجعل له أصلًا يؤصله، لا يوافقه الآخر عليه، فيحصل بينهم الخلاف.

أما أهل السنة، فأصلهم واحد، وهو الكتاب والسنة، ولذلك لم يختلفوا -والحمد لله- في أمور العقيدة، عقيدتهم واحدة؛ لأنهم يبنون على أصل ثابت، لم يخترعوه هم، وإنما الذي وضعه هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣]، من ترك هذا الصراط، فإنه يتبع سبلًا متفرقة، لاحصر لها، ولا نهاية لها، وإذا أردت معرفة هذه الانقسامات، فطالع في كتب الفرق التي أُلفت فيها؛ مثل: كتاب (المقالات) للأشعري، ذكر فيه الفرق وانقساماتها، ومثل: (الفرق بين الفرق) للبغدادي، ومثل: (الملل والنحل) للشهرستاني، و(الفصل في الملل والأهواء والنحل) لابن حزم، هذه الكتب تبين لك فرق أهل الضلال وكثرتها، وأن بعضهم يُكفر بعضًا، ويُضلل بعضهم بعضًا، والسبب أنهم ليس لهم أصل ثابت يبنون عليه، وإنما كل طائفة تُؤصل لها أصلًا، لا توافقها الطائفة الأخرى عليه.

=صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مع صِيَامِهِمْ، يَمْرُقُونَ من الدِّينِ، كما يَمْرُقُ السَّهْمُ من الرَّمِيَّةِ». أخرجه البخاري (٦١٠ ٢)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيًّا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان. انظر: مقالات الإسلاميين (ص٤، ٨٦)، والفرق بين الفرق (ص٥٤)، والملل والنحل (١/ ١١٤).

أما أهل السنة والجماعة، فالله هو الذي وضع لهم المنهج الذي يسيرون عليه، فقال لهم: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام:١٥٣]، ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران:١٠٣]، لم يحصل بينهم -ولله الحمد- اختلاف في أمر العقيدة وأصول الإيمان، لم يحصل بينهم نزاع واختلاف، ولم يضلل بعضهم بعضًا، ولم يُكفر بعضهم بعضًا -كما حصل عند الفرق الأخرى-، وهم يبنون عقيدتهم على الكتاب والسنة، لا يحيدون عن ذلك، فلذلك سلموا مما وقعت فيه الفرق الضالة.

اعْلَمْ هُدِيتَ أَنَّهُ جَاءَ الْخَبَرْ عَنِ النَّبِيِّ الْمُقْتَفَى خَيْرِ الْبَشَرْ

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (اعْلَمْ هُدِيتَ)، اعلم: هذه كلمة للاهتمام؛ أي: تعلم وتنبه، هُديت: هذا دعاء، يدعو لك بالهداية، والهداية معناها: التوفيق، الهداية من الله: التوفيق؛ توفيق القلب لمعرفة الحق والعمل به، فهو يسأل الله لك الهداية؛ أن يهديك الله إلى الحق، وأن يثبتك عليه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أَنَّهُ جَاءَ الخَبَرْ)؛ يعني: الحديث عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فما ورد عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسمى خبرًا، ويسمى أثرًا، ويسمى حديثًا، المعنى واحد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (عَنِ النَّبِيِّ)، عرفنا معنى النبي فيما سبق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (المُقْتَفَى)، من الاقتفاء، وهو الاتباع؛ أي: المُتَّبع الذي يجب على الناس اقتفاؤه والاهتداء والاقتداء به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾؛ يعني: قدوة ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ [الأحزاب:٢١]، فالمقتفى: يعني المتبوع والمهتدى به والمُتَّبع.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (خَيْرِ الْبَشَرْ)، لاشك أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو خير البشر على الإطلاق؛ كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَلَا فَخْرَ»(١)، ومما يدل على أنه خير البشر أن الله اختاره لرسالته العامة لجميع الخلق، للثقلين

(١) أخرجه مسلم (٣) (٢٢٧٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الجن والإنس؛ بشيرًا ونذيرًا، بينما كان من قبله من الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- كلٌّ يُبعث إلى قومه خاصة، أما الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه بُعث إلى الناس كافة: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ:٢٨]، ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف:١٥٨]؛ كما أن القرآن الذي جاء به الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عام للعالم: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان:١].

❁❁❁

بِـأَنَّ ذِي الْأُمَّـــةَ سَـوْفَ تَـفْـتَرِقْ   بِضْعًا وَسَبْعِينَ اعْتِقَادًا وَالْمُحِقْ

الشَّـرْح

جاء الخبر عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي رواه أهل السنن أن هذه الأمة سوف تفترق، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَسَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً**»(١)، وفي رواية: «**وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً**»(٢)، فلابد أن يقع ما أخبر به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه لا ينطق عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٤]، وهذا خبر معناه التحذير من الاغترار بهذه الفرق أو الالتفاف معها، والحث على لزوم ما كان عليه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ...**»(٣) الحديث، فهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر بذلك من باب التحذير، والحث على التمسك بالحق، وعدم الالتفات إلى من خالف من المخالفين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(تَفْتَرِقْ بِضْعًا وَسَبْعِينَ)**، البضع: هو ما بين الثلاثة إلى

---

(١) سبق تخريجه (ص٥٥).

(٢) سبق تخريجه (ص٥٥).

(٣) رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٤٢، ٤٣)، وأحمد (٤/١٢٦، ١٢٧)، والدارمي (٩٥-البغا)، وابن حبان: (٥-الإحسان) من حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

التسعة، والذي في الحديث ثلاث وسبعون، هذا هو البضع، والمُحِق منها فرقة واحدة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَالْمُحِقْ)** من كان على سنة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ كَانَ عَلَى مَا أَنَا عَلَيهِ الْيَومَ وَأَصْحَابِي»**[(١)].

---

(١) سبق تخريجه (ص٥٥).

مَا كَانَ فِي نَهْجِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَصَحْبِهِ مِنْ غَيْرِ زَيْغٍ وَجَفَا

وَلَيْسَ هَذَا النَّصُّ جَزْمًا يُعْتَبَرْ فِي فِرْقَةٍ إِلَّا عَلَى أَهْلِ الأَثَرْ

الشَّرح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مِنْ غَيْرِ زَيْغٍ)؛ أي: انحراف عن الحق، واستبدال لغيره، ومن غير جفا، وهو الإعراض وعدم الالتفات لما جاء به الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا هو الجفا، الجفا: هو الترك والإعراض، وعدم الاهتمام بما جاء به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا مما يُحذر طالب العلم من أن يغفل عن سنة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو يتساهل في تعلمها ومعرفتها؛ لأن بعض الناس من أهل الضلال اليوم يقولون: (اتركوا مسألة العقائد، يكفي اسم المسلمين، والعقيدة كلٌ حر في عقيدته، يكفي أنه مسلم)، ونقول: من خالف منهج الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لايكون مسلمًا؛ لأن المسلم من استسلم لله، وانقاد لما جاء به الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتبرأ من الشرك وأهله، هذا هو المسلم، أما من تسمى بالإسلام، ولم يلتزم به، فليس بمسلم، فلا يكفي اسم الإسلام لمن عنده إلحاد وزيغ -والعياذ بالله-، من قال ذلك، فهو من الذين يزهدون في دراسة العقيدة الصحيحة، ومعرفة العقائد الباطلة، يزهدون في هذا، ويقولون: (هذه فرَّقت الناس)، نعم الأمة ستفترق؛ لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر أنها ستفترق، ونحن لا نريد تفريق الناس، بل نريد جمع الناس على الحق، أما من خالف الحق، فسيفترق، قال الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران:١٠٣].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَلَيْسَ هَذَا النَّصُّ)** وهو قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِلَّا وَاحِدَةً**» لا ينطبق هذا إلا على أهل الأثر؛ يعني: أهل الحديث -والمراد بالأثر: الحديث-، فهم الذين ينطبق عليهم هذا الاستثناء في قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِلَّا وَاحِدَةً**»؛ «**مَنْ كَانَ عَلَى مَا أَنَا عَلَيهِ الْيَومَ وَأَصْحَابِي**»[١]، هذا ينطبق على أهل الحديث وأتباع الأثر.

❁❁❁

(١) سبق تخريجه (ص٥٥).

فَأَثْبَتُوا النُّصُوصَ بِالتَّنْزِيهِ   مِنْ غَيْرِ تَعْطِيلٍ وَلَا تَشْبِيهِ

الشَّرْح

أثبت أهل السنة والجماعة والسلف الصالح النصوص الواردة في أسماء الله وصفاته، أثبتوها كما جاءت من غير تعطيل ومن غير تشبيه، لم يعطلوها، ويجحدوا مدلولها؛ كالجهمية والمعتزلة، والأشاعرة[1] ومن نحا نحوهم، فإنهم لم يعتقدوا ما دلت عليه هذه النصوص، بل عطلوا مدلولها، وأوّلوها، وحرفوها عن ما جاءت به، هذا هو التعطيل، ومن غير تشبيه، والتشبيه هو التمثيل، فلا تُشبه صفات الله بصفات المخلوقين، بل يُنزه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن التشبيه والتمثيل؛ لأن الله نزه نفسه عنه، فقال سُبْحَانَهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:٤]، الكفو هو الشبيه والمثيل، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٧٤]، فالله

(١) نسبة إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم الأشعري، ولد سنة ستين ومائتين، نشأ على مذهب المعتزلة، وتتلمذ على يد أبي علي الجبائي ثم ترك مذهبهم وتبرأ منه، وسلك طريقة ابن كلاب وانتشر مذهبه ثم رجع عنه إلى مذهب أهل الحديث وانتسب للإمام أحمد، وألف في مذهب أهل السنة والجماعة: الإبانة، والموجز، ورسائل الثغر، إلا أنه بقيت عليه بقايا من مذهب ابن كلاب، وتوفي ببغداد سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، قال الذهبي: ويقال بقي إلى سنة ثلاثين وثلاثمائة. اهـ.
انظر: تاريخ بغداد (١١/ ٣٤٦)، ووفيات الأعيان (٣/ ٢٨٤)، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٨٥)، وشذرات الذهب (٢/ ٣٠٣)، والبداية والنهاية (١١/ ١٨٧).

لا مثيل له، ولا شبيه له، ولا كفء له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لا في ذاته، ولا في أفعاله، ولا في أسمائه وصفاته.

فالواجب إثبات النصوص الواردة في أسماء الله وصفاته على ما دلت عليه من غير تحريف وتأويل لها، ومن غير تشبيه لصفات الله بصفات خلقه، وهذا كما في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، هذا رد على المشبهة الممثلة، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، هذا رد على المعطلة.

ودل ذلك على أن إثبات الأسماء والصفات لا يقتضي التشبيه -كما يقولون-؛ لأن لله جَلَّ وَعَلَا أسماء وصفات تليق به، وللمخلوقين أسماء وصفات تليق بهم، وإن توافقت أسماء الله وأسماء المخلوقين في الألفاظ والمعنى، إلا أنها تختلف في الكيفية والحقيقة؛ فلله أسماء تخصه، وللمخلوق أسماء تخصه، لا تشابه بينها في الحقيقة، وإن تشابهت في الألفاظ والمعنى. فالله جَلَّ وَعَلَا سميع بصير، والمخلوق سميع بصير: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان:٢]، فالمخلوق سميع بصير، والله جَلَّ وَعَلَا أخبر عن نفسه أنه سميع بصير، لكن لا تشابه بينهما، وإن اتفق اللفظ، فالحقيقة مختلفة، والكيفية مختلفة.

قال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، فالله جَلَّ وَعَلَا له يدان، والمخلوق له يدان، لا تشابه بين يد الله ويد المخلوق، الله جَلَّ وَعَلَا له وجه، والمخلوق له وجه، نُثبت هذا، لكن ننفي التشابه والتماثل بين صفات الخالق وصفات المخلوق، وهذا هو المنهج السليم؛ أن تُثبت الأسماء والصفات لله

جَلَّوَعَلَا كما جاءت، من غير تعطيل لمعناها، ومن غير تكييف لحقيقتها وتمثيل لحقيقتها، هذا المذهب الوسط والاعتدال.

لقد غلا قوم في التنزيه، حتى عطلوا الله من أسمائه وصفاته، وغلا آخرون في الإثبات، حتى شبهوا الله بخلقه، وتوسط أهل السنة، فنزهوا الله عن مشابهة المخلوقين، نزهوه وسبحوه، لكنه تنزيه بلا تعطيل، وأثبتوا ما أثبته لنفسه، من غير تشبيه ولا تمثيل. هذا مذهب أهل السنة الجماعة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَأَثْبَتُوا النُّصُوصَ بِالتَّنْزِيهِ)**، أثبتوا النصوص الواردة في الأسماء والصفات، مع تنزيه الله جَلَّوَعَلَا عن مشابهة المخلوقين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مِنْ غَيْرِ تَعْطِيلٍ وَلَا تَشْبِيهِ)**، من غير تعطيل؛ كما عليه الجهمية والمعتزلة والذين نفوا صفات الله عَزَّوَجَلَّ، ومن غير تشبيه؛ كما عليه المشبهة.

ويعني الناظم بالتشبيه التمثيل، ولو قال: (من غير تمثيل)، لكان أحسن؛ لأن الذي جاء في القرآن هو نفي المثل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، فلو عبَّر بما عبَّر به القرآن، واختار لفظًا يقارب هذا المعنى، لكان أحسن، لكن المعنى الذي ذكره صحيح؛ لأن التشبيه فيه احتمال، وفيه اشتباه، لكن التمثيل ليس فيه ذلك، وهو الذي جاء في القرآن: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، نفى عن نفسه المثل.

فَـكُـلُّ مَـا جَـاءَ مِـنَ الْآيَـاتِ أَوْ صَحَّ فِي الْأَخْبَارِ عَنْ ثِقَاتِ

الشَّرْح

كل ما جاء في الآيات القرآنية من أسماء الله وصفاته، (**أَوْ صَحَّ فِي الْأَخْبَارِ**)؛ يعني: الأحاديث (**عَنْ ثِقَاتِ**) الرواة، فإنه يجب اعتقاده وإثبات ما دل عليه، من غير ما فرق بين القرآن وبين السنة؛ لأن الكل من عند الله عَزَّوَجَلَّ، وسواء كانت الأحاديث آحادًا أو متواترة؛ لأنه يوجد من أهل الضلال من يقول: (أخبار الآحاد لا يُستدل بها في العقيدة؛ لأنها تفيد الظن)، هذا اصطلاح من عندهم، وهو باطل؛ فإن الحديث الصحيح يفيد اليقين، سواء كان آحادًا أو متواترًا.

كان الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يرسل رسله آحادًا، ولم يكن يرسل جماعات، يرسل الشخص الواحد إلى قبيلة أو إلى جماعة، فيعملون بخبر هذا الواحد، لم يقولوا له: (أنت واحد، وخبرك يفيد الظن).

فخبر الواحد إذا صح، فإنه يفيد العلم، ويفيد اليقين بلا شك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**صَحَّ**)؛ يعني: سواء كان متواترًا أو آحادًا، المدار على الصحة صحة السند.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**عَنْ ثِقَاتِ**): عن رواة ثقات.

مِـنَ الْأَحَـادِيـثِ نُمِـرُّهُ كَمَا قَدْ جَاءَ فَاسْمَعْ مِنْ نِظَامِي وَاعْلَمَا

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(نُمِرُّهُ كَمَا قَدْ جَاءَ)**؛ يعني: بلفظه ومعناه كما جاء، ولا نمره بلفظه فقط، ونكل معناه إلى الله؛ كما يقوله المفوضة، يقولون: (نُمر ألفاظها، ونكل معانيها إلى الله، وهي من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله).

هذه طائفة من أهل الضلال، يسمون بالمفوضة، بينما أهل السنة يمرونها بلفظها ومعناها كما جاءت، ويعتقدون ما دلت عليه، ويعرفون معانيها، والله جَلَّوَعَلَا لم يخاطبنا بشيء لا نعرف معناه، والصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ فسروا القرآن كله، ولم يتركوا شيئًا منه لم يفسروه، فدل على أنهم يعرفون معاني القرآن؛ كما قال مجاهد: «عَرَضْتُ الْقُرْآنَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ، أَقِفُهُ عَلَى كُلِّ آيَةٍ أَسْأَلُهُ فِيمَا نَزَلَتْ وَكَيْفَ كَانَتْ؟»(١)، يفسرها له، ولم يتوقف عند شيء من الآيات. والله جَلَّوَعَلَا قال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص:٢٩]، فلو كان فيه آيات لا يُفهم معناها، لاستثنى الله، وقال: (يدبروا بعضه، أو يدبروا بعض الآيات)، لكن الله قال: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾، عمم، فدل على أنه كله تعرف معانيه، وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢]، لام الله الذين لا يتدبرون القرآن، ولم يستثن منه شيئًا، بل إن ما جاء في الأسماء والصفات

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٥٤)، والخلال في السنة (١/ ٢٢٣)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٧٩- ٢٨٠)، والطبري في تفسيره (١/ ٨٥، ٣/ ٧٥٥).

هو أهم شيء جاء في القرآن، وأهم شيء يجب أن يُتدبر ويُفسر؛ حتى يُعرف معناه.

فقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(نُمِرُّهُ كَمَا قَدْ جَاءَ)**؛ يعني: بلفظه ومعناه معتقدين ما دل عليه، وهذا فيه رد على الذين يحرفون معناه، ويؤولونه، وعلى الذين يفوضونه؛ لأنهم قسمان: قسمٌ حرَّف وأوَّل الألفاظ عن معانيها، وقسم فوَّض معانيها إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وصار يردد ألفاظها فقط.

فهذا رد على الطائفتين؛ أننا نمرها كما جاءت، وكما قال الإمام أحمد: (أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ بِلَا تَفْسِيرٍ)[1]؛ يعني: من غير تكييف، فقوله: (بِلاَ تَفْسِيرٍ) لا يعني من غير بيان معناها، بل يعني من غير تكييف، أو (بِلَا تَفْسِيرٍ)؛ يعني: كتفسير المؤولة، الذين يفسرون اللفظ بغير معناه، بل بمعنى آخر لم يرد اللفظ به، ولا يدل عليه.

---

(١) هذا قول أئمة السلف جميعا، فقد رواه أبو داود في المراسيل (١/ ١١٢) عن سفيان بن عيينة.
ورواه الآجري في الشريعة (٣/ ١١٤٦)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٧/ ٢٤١)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/ ٥٨٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٧٧)، والاعتقاد (١/ ١١٨)، والسنن الكبرى (٣/ ٣)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٤٣)، والبغوي في شرح السنة (١/ ١٧١) عن الْأَوْزَاعِيِّ، وَالثَّوْرِيِّ، وَمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، وَاللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ.
ورواه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤/ ١٨٦) عَنْ مَالِكٍ وَالْأَوْزَاعِي وَسُفْيَانَ؛ وَاللَّيْثِ وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ.

وَلا نَـــرُدُّ ذَاكَ بِـالْـعُـقُـولِ لِـقَـوْلِ مُـفْـتَرٍ بِـهِ جَـهُـولِ

الشَّرْح

أهل الباطل يُحكمون العقول وقواعد المنطق وعلم الكلام، يسمونها البراهين العقلية، وما خالفها من القرآن أولوه على غير معناه، وما خالفها من السنة قالوا: (هذا خبر آحاد، ولا يفيد العلم)، ويرفضون الاستدلال به في العقيدة، ويقدمون الأدلة العقلية؛ لأنها عندهم لا تخطئ، فيقدمونها.

أما أهل السنة وأهل الحق، فعلى العكس يقدمون القرآن والسنة على العقول؛ لأن العقول لا يُبنى عليها عقيدة، والعقول قاصرة، لا تدرك كل شيء، فهي لا تُتخذ مصدرًا للعقيدة؛ لأن عقول البشر قاصرة، وأيضًا العقول مختلفة، فأي عقل نتبع؟ والعقلانيون مختلفون، فمن نتبع منهم؟ بينما القرآن والسنة لا يحصل فيهما اختلاف: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لِقَوْلِ مُفْتَرٍ بِهِ)**؛ يعني: كذاب، الافتراء هو الكذب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(جَهُولِ)** بكلام الله وكلام رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا ينطبق على علماء الكلام وعلماء الجدل؛ لأنهم عندهم جهل، وعندهم افتراء وكذب؛ لينصروا مذهبهم، ولو بالكذب، صفة أهل الضلال أنهم يريدون نصر مذهبهم ولو بالكذب، لا يتحاشون عن الكذب، بخلاف أهل الحق؛ فإنهم لا يكذبون على الله جَلَّ وَعَلَا؛ لأن الله قال: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى

ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ [الأعراف:٣٧]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٦٩]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء:٣٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النحل:١١٦-١١٧].

أهل الباطل لا يتحاشون عن الكذب لأجل نصرة مذهبهم، ويردون الأحاديث الصحيحة، ويكذبون، ففي الحقيقة هم الذين يأخذون بالكذب، ويبنون مذهبهم على الكذب.

❁❁❁

فَعِقْدُنَا الْإِثْبَاتُ يَا خَلِيلِي   مِنْ غَيْرِ تَعْطِيلٍ وَلَا تَمْثِيلِ

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَعَقدُنَا الْإِثْبَاتُ)**؛ أي: اعتقادنا ومذهبنا إثبات ما جاء في الكتاب والسنة من أسماء الله وصفاته، **(مِنْ غَيرِ تَعْطِيلٍ)**؛ كما عليه المعطلة، الذين ينفون ما تدل عليه نصوص الأسماء والصفات، ويؤولونها، ويحرفونها، ومن غير تمثيل كما عليه المشبهة، الذين يغلون في الإثبات، حتى شبهوا الله بخلقه -تعالى الله عما يقولون-، فهم على طرفي نقيض؛ هؤلاء معطلة، وهؤلاء ممثلة، هؤلاء غلوا في التنزيه، وهؤلاء غلوا في الإثبات، والوسط: هو ما عليه أهل السنة والجماعة؛ إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل، هذا هو الذي عليه أهل السنة والجماعة.

وأهل السنة والجماعة يقولون: هناك فرق عظيم بين أسماء وصفات الخالق وأسماء وصفات المخلوقين.

كُـلُّ مَـنْ أَوَّلَ فِي الـصِّـفَـاتِ　　　كَـذَاتِـهِ مِـنْ غَـيْرِ مَـا إِثْـبَـاتِ

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَكُلُّ مَنْ أَوَّلَ فِي الصِّفَاتِ)**، والتأويل يُطلق على معان، منها ما هو حق، ومنها ما هو باطل، يُطلق ويراد به: ما يؤول إليه الشيء، وما ينتهي إليه الشيء في المستقبل(١)، وذلك كقول يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ﴾ [يوسف:١٠٠]، لما دخلوا على يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، آوى إليه أبويه، ورفع أبويه على العرش -على سريره-، وخروا له سجدًا، فكان من عادتهم أنهم يسجدون للشخص سجود تحية، وما هو بسجود عبادة، وكان هذا جائزًا في شريعتهم، أما نحن، فقد نهانا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن السجود لمخلوق -لا سجود عبادة، ولا سجود تحية-(٢)؛ كما أن سجود الملائكة لآدم ليس هو بسجود عبادة؛ لأن العبادة لله، فهم سجدوا عبادة لله؛ لأن الله أمرهم، وهو تكريم لآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ومثله ما حصل مع يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ،

---

(١) انظر: مادة: (أ و ل) في لسان العرب (١١/ ٣٢)، ومختار الصحاح (ص٢٠)، والقاموس المحيط (١٢٤٤).

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه ابن ماجه (١٨٥٣)، وأحمد في مسنده (٣٢/ ١٤٥): عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ مُعَاذٌ مِنَ الشَّامِ سَجَدَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«مَا هَذَا يَا مُعَاذُ؟»** قَالَ: أَتَيْتُ الشَّامَ فَوَافَقْتُهُمْ يَسْجُدُونَ لِأَسَاقِفَتِهِمْ وَبَطَارِقَتِهِمْ، فَوَدِدْتُ فِي نَفْسِي أَنْ نَفْعَلَ ذَلِكَ بِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«فَلَا تَفْعَلُوا، فَإِنِّي لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِغَيْرِ اللهِ، لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ رَبِّهَا حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا، وَلَوْ سَأَلَهَا نَفْسَهَا وَهِيَ عَلَى قَتَبٍ لَمْ تَمْنَعْهُ»**.

وانظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٤١٢).

كلهم سجدوا له الأبوان والأخوة، فعند ذلك قال يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ﴾؛ لأنه رأى في الأول قبل أن تحصل عليه المحن والشدائد، قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف:٤]، تحققت هذه الرؤية بعد مدة، لما سجد له الأبوان والإخوة الأحد عشر، قال: ﴿هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ﴾.

فالتأويل يُطلق، ويراد به: ما يؤول إليه الشيء في المستقبل، وكما في قوله سُبْحَانَهُ: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ [الأعراف:٥٣]، أخبر الرسل عن يوم القيامة، والمشركون نفوا هذا، وكذبوا، وجحدوا البعث والنشور، فإذا بُعثوا يوم القيامة، ورأوا ما أخبر به الرسل من الجنة والنار والحساب، ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ﴾؛ ظهر لهم تأويله وحقيقته.

فالتأويل يُطلق، ويراد به: ما يؤول إليه الخبر في المستقبل. وهذا تأويل مقبول وصحيح، وجاء في القرآن.

ويُطلق التأويل، ويراد به تفسير المعنى، يقال: أوَّله؛ يعني: فسره، وأوَّل الرؤيا يعني: فسرها، وأوَّل الآية أو الحديث يعني: فسره، وهذا في تفسير ابن جرير[1] رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: (القول في تأويل قوله تعالى).

---

(١) محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري، الإمام العلم المجتهد، أحد أئمة العلماء يحكم بقوله ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان ثقة صادقًا حافظًا رأسًا في التفسير إمامًا في الفقه والإجماع والاختلاف علامة في التاريخ وأيام الناس عارفًا بالقراءات وباللغة وغير ذلك، توفي سنة ٣١٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٦٧)، وطبقات الشافعية (٢/ ١٠٠)، وطبقات السبكي (٣/ ١٢٠).

المعنى الثالث: ما أحدثه المتأخرون من صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر، ويسمونه التأويل. كما هو في كتب البلاغة، وكتب البيان، أن التأويل: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يدل على ذلك[1]. هذا ما أحدثه المتأخرون، وأجروه على أسماء الله وصفاته، فأولوها؛ يعني: صرفوها عن ظاهرها ومدلولها إلى معان أخرى، لم يدل عليها دليل، بل إنما هو الهوى والكذب. هذا هو المعنى الثالث للتأويل، وهو الذي عليه المتأخرون، وهذا الذي يقصده الناظم، من غير تأويل يعني: من غير صرف للنصوص عن ظاهرها الذي دلت عليه، إلى معنى آخر لم تدل عليه؛ مثل قولهم: (المراد باليد القدرة، والمراد بالرحمة النعمة، والمراد بالوجه الذات)، ومثل قولهم: (﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر:٢٢]؛ يعني: وجاء أمر ربك؛ مثل قوله: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا** تَبَارَكَ وَتَعَالَى **كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ**»[2])، هذا تأويل باطل وتأويل فاسد، لا دليل عليه، هذا هو التأويل المذموم، وهو الذي يقصده الناظم هنا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَكُلُّ مَنْ أَوَّلَ فِي الصِّفَاتِ)**؛ يعني: صرفها عن ظاهرها إلى معنى آخر لا تدل عليه.

---

(١) انظر معاني التأويل في: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣/ ٥٥-٥٦، ٥/ ٣٥-٣٧)، ودرء التعارض له (٥/ ٢٣٤-٢٣٥)، والصفدية (١/ ٢٨٩).

(٢) أخرجه البخاري (١١٤٥، ٦٣٢١، ٧٤٩٤)، ومسلم (٧٥٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كَذَاتِهِ)**؛ كذات الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، فالصفات تتبع الذات، فكما أن ذات الله جَلَّ وَعَلَا لا تُؤوَّل، فكذلك صفاته لا تُؤوَّل، فالأسماء والصفات تتبع الذات تمامًا، فكما لا تُؤوَّل ذات الله جَلَّ وَعَلَا بغيره، فكذلك أسماؤه وصفاته لا تُؤوَّل بغير معانيها التي تدل عليها(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مِنْ غَيْرِ مَا إِثْبَاتِ)**؛ من غير ما دليل، أما إذا دل دليل على التأويل، فهذا صحيح، لكن تأويلهم لا دليل عليه.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٦٧، ١٩٦، ٢٠٧).

فَقَدْ تَعَدَّى وَاسْتَطَالَ وَاجْتَرَى وَخَاضَ فِي بَحْرِ الْهَلَاكِ وَافْتَرَى

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(تَعَدَّى)**؛ تعدى على حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وتجرأ على ما لم يأذن به الله ورسوله، وتعدى الحق إلى الباطل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَاسْتَطَالَ)**؛ استطال في الباطل؛ يعني: تمادى، واستطال على السلف، وأنكر آراءهم، واستدرك عليهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَاجْتَرَا)**؛ اجترأ على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، في أنه حمَل كلام الله جَلَّ وَعَلَا على غير محمله، وعَطَّل الله جَلَّ وَعَلَا عن أسمائه وصفاته وكماله جَلَّ وَعَلَا، هذه جرأة على الله عَزَّ وَجَلَّ وعدم خوف من الله، فالمؤمن يخاف من الله، ولا يجترئ على كلامه، ولا يفسره بغير تفسيره، ولا يقول على الله بغير علم؛ فإن هذا من أعظم الكذب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَخَاضَ فِي بَحْرِ الهَلَاكِ وَافْتَرَى)**؛ يعني: مشى ودخل طريق الضلال، وترك طريق النجاة، وافترى على الله عَزَّ وَجَلَّ، وحمل كلامه على غير معناه.

أَلَمْ تَرَ اخْتِلَافَ أَصْحَابِ النَّظَرْ فِيهِ وَحُسْنَ مَا نَحَاهُ ذُو الأَثَرْ

الشَّرح

قارن بين ما عليه أهل الأثر وما عليه أهل النظر، والمراد بأهل النظر: أصحاب الأدلة العقلية، يسمونهم النُظَّار، وهم الذين يستدلون بالقواعد المنطقية وقواعد الجدل. قارن بين ما عليه النُظَّار من الاختلاف والتنازع بينهم، وتضليل بعضهم لبعض، وما عليه أهل الأثر من السلامة وصفاء القلوب فيما بينهم، والمودة والتآخي فيما بينهم، قارن بين هذا وذاك؛ لتعلم أن الحق ما عليه أهل الأثر، وأن الباطل ما عليه أهل النظر. وهذه سنة الله عَزَّوَجَلَّ؛ أن من ترك الكتاب والسنة، فإنه يُبتلى بالاختلاف، ويُبتلى بالضلال، ويُبتلى بالقلق وعدم الاستقرار، تجدهم مضطربين في عقائدهم وفي أقوالهم، تجدهم يحشون الكتاب من كتبهم من أوله إلى آخره بالجدليات، لا تجد فيه آية من كتاب الله، ولا حديثًا من سنة رسول الله، وإنما هو «قالوا وقلنا، فإن قالوا كذا، قلنا كذا»، وهكذا جدل كله من أوله إلى آخره، تجد الاختلاف بينهم مستشريًا.

أما أهل السنة، فكتبهم -ولله الحمد- سالمة من هذا؛ لأنها تتمشى مع الكتاب والسنة، وتجدهم في عقيدتهم متفقين عليها، اقرأ أي كتاب عقيدة من كتب أهل السنة، تجد المجرى واحدًا، والأصول واحدة، لا تختلف أبدًا، اقرأ في الواسطية، واقرأ في غيرها من كتب العقائد السلفية، تجد مجراها واحدًا، لا تختلف في شيءٍ أبدًا، تجد أبوابها وفصولها ومسائلها واحدة، قد يكون بعضها

أبسط من بعض، وبعضها مختصر، وبعضها مطول، وقد يكون بعضها أوضح من بعض، لكن لا تجد بينها اختلافًا في المعنى أبدًا؛ الأبواب هي الأبواب، والمسائل هي المسائل، إنما الاختلاف في نوع التصنيف والأسلوب فقط، فكتب أهل السنة -ولله الحمد- متفقة في العقيدة، لا تختلف أبدًا. أما كتب أهل الضلال، فتجد فيها من الجدليات، وتجد فيها من الاختلاف، وتجد فيها من التضارب الشيء الكثير، ولا تخرج منها بنتيجة، تقرأ الكتاب من أوله إلى آخره، ويصاب رأسك بالصداع، ولا تخرج بنتيجة، إلا قالوا وقلنا، وهذا يرد على هذا، وهذا يُبطل قول هذا، وهذا يمدح، وهذا يذم، بينما لا تجد هذا في كتب أهل السنة -ولله الحمد-، بل يُثني بعضهم على بعض، ويترحم بعضهم على بعض، وتجد بينهم الألفة والمحبة، هذا شيء واضح في كتب أهل السنة، وتخرج بنتيجة واضحة إذا قرأتها، وحصيلة علمية واضحة سليمة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ذُو الْأَثَرْ)**؛ يعني: أهل السنة والجماعة، تجد أقوالهم حسنة متقنة متفقة فيما بينها، منحاها واحد، وأدلتهم واحدة، وعقيدتهم واحدة، لا يختلفون فيها، كل من كتب في هذا المجال فإنه لا يختلف عمن قبله، إلا إن كان في زيادة توضيح، أو زيادة تبسيط للمعلومات فقط، وتجد متأخرهم يبني على قول أولهم، ويوضحه، ويزيد عليه، وتجد بينهم الاتفاق والمحبة من خلال دعاء بعضهم لبعض، وثناء بعضهم على بعض.

فَإِنَّهُمْ قَدِ اقْتَدَوْا بِالْمُصْطَفَى ... وَصَحْبِهِ فَاقْنَعْ بِهَذَا وَكَفَى

الشَّرْح

هذا هو السبب في كون ما عليه أهل الأثر هو الحسن، السبب في هذا أنهم اقتفوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واتخذوه قدوة، ما اتخذوا غير الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قدوة من الأئمة والرجال، وكل واحد ينتمي إلى شيخ؛ هذا أشعري، وهذا معتزلي[١]، وهذا ماتريدي[٢]، وهذا، وهذا..، لا تجد هذا في كتب أهل السنة

(١) هي إحدى الفرق الضالة المخالفة لأهل السنة والجماعة، ورأس هذه الفرقة واصل بن عطاء الغزال، كان تلميذًا في مجلس الحسن البصري، فأظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين وأن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن ولا بكافر، فطرده الحسن من مجلسه، وانضم إليه عمرو بن عبيد، واعتزلا مجلس الحسن، فسموا بالمعتزلة لذلك، ويلقبون بالقدرية لإسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم وإنكارهم القدر فيها.
وقد افترقت المعتزلة إلى فرق شتى يجمعهم القول بنفي الصفات، والقول بخلق القرآن، وأن العبد يخلق فعل نفسه، ولهم أصول خمسة جعلوها بمنزلة أركان الإيمان عند أهل السنة، وهي: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وإنما أرادوا بهذه المسميات معاني باطلة.
انظر: الملل والنحل (١/ ٣٠-٣٢)، والفرق بين الفرق (ص١٨، ٩٣، ٩٤)، والبدء والتاريخ (٥/ ١٤٢)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٤٦٤)، ووفيات الأعيان (٦/ ٨). وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص٧٩١-٧٩٢).

(٢) هم أصحاب محمد بن محمد بن محمود، أبي منصور الماتريدي، المتكلم، وماتريد قرية من قرى سمرقند، له كتاب التوحيد، وكتاب المقالات، وكتاب تأويلات القرآن، توفي سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة بسمرقند، ومن المسائل التي اشتهر الماتريدية بالخلاف فيها: مسألة الاستثناء في الإيمان، والاستثناء في الكفر، ومسألة القرآن هل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يتكلم بمشيئته وقدرته أم القرآن لازم لذاته، وغير ذلك من مسائل الصفات. انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٤٣١-٤٣٤)، وفتح الباري (١٣/ ٤٥٥)، والجواهر المضية في =

والجماعة، كلهم على نمط واحد، هذا في العقيدة، أما اختلافهم في مسائل الفقه والاجتهاد، فهذا لا يُفرق بينهم، تجد الحنفي والحنبلي والشافعي والمالكي إخوة، يحب بعضهم بعضًا، ويصلي بعضهم خلف بعض، ويتزاوجون فيما بينهم، لا تجد بينهم اختلافًا، وإذا حكم واحد منهم في مسألة، لم يخالف فيها دليلًا، ارتفع الخلاف، وتبعوه، لا تجد بينهم نزاعًا ولا اختلافًا، إنما هذا تجده عند المخالفين للكتاب والسنة؛ فهم الذين تكون بينهم فتن، وتكون بينهم شحناء وخصومة، ويكون بينهم تراشق وتكفير وتفسيق وتبديع، إلى غير ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَإِنَّهُمْ قَدِ اقْتَدَوْا بِالْمُصْطَفَى وَصَحْبِهِ)**، هذا مطابق لقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ كَانَ عَلَى مَا أَنَا عَلَيهِ الْيَومَ وَأَصْحَابِي**»(١)، الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بعد الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم القدوة؛ لأنهم تلاميذ الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبعدهم التابعون؛ لأنهم تلاميذ الصحابة، وكلما قرب الزمان من الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كانت الحجة في أهله أقوى؛ لأنهم يأخذون عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو عمن أخذ عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولذلك قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»(٢)؛ يعني: الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين وأتباع التابعين.

=طبقات الحنفية (٣/ ٣٦٠)، ومجموع الفتاوى (٧/ ٤٣١ - ٤٣٤)، ومنهاج السنة (٢/ ٣٦٢)، وانظر: رسالة الماتريدية للشيخ شمس الدين الأفغاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(١) سبق تخريجه (ص٥٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٥٢، ٣٦٥١، ٦٤٢٩، ٦٦٥٨)، ومسلم (٢٥٣٣) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَاقْنَعْ بِهَذَا وَكَفَى)**، اقنع بما عليه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، يكفيك هذا، ولاتتبع الأقوال المخالفة، وماذا قال فلان، وماذا قال فلان؛ لأنك تتيه مع أصحابها، إلا أن تقرأ في هذه الكتب لأجل أن تعرف ما فيها من الباطل، ولأجل أن تُحذر منها، وترد عليها، لكن هذا لا يكون إلا للمتمكن الذي يعرف الصحيح من غير الصحيح، أما المبتدئ، فلا يسعه أن يقرأ في كتب أهل الضلال؛ لئلا يتأثر بشيء منها عن غير علم، لاسيما وأنهم أُعطوا حسن جدل، وحسن تعبير، وفي زخرفِ القولِ تزيينٌ لباطلهِ[١]، فقد يغتر بأسلوبهم وتقسيماتهم، لكنها في الحقيقة حجج مثل الزجاج.

حُجَجٌ تَهَافَتُ كَالزُّجَاجِ تَخَالُهَا ... حَقًّا وَكُلٌّ كَاسِرٌ مَكْسُورُ[٢]

وبعد هذه المقدمة يدخل في الموضوع، ويبدأ الباب الأول فيقول:

---

(١) شطر بيت من نظم ابن الرومي، علي بن العباس بن جريج أبو الحسن، الشاعر المشهور، في ديوانه (ص٢٢٦٩). وانظر: الإيضاح في علوم البلاغة (ص٢٢٥)، والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لأبي الفتح الموصلي (١/ ٣٧٩).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٢٨)، وبيان تلبيس الجهمية (٢/ ٢٥٣)، والصواعق المرسلة (٤/ ١٢٧٧).

البَابُ الأَوَّلُ

فِي مَعْرِفَةِ اللهِ تَعَالَى وتَعْدَادِ الصِّفَاتِ

الشَّرْح

لما فرغ الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من المقدمة التي ذكر فيها قواعد وضوابط في باب العقيدة، شرع في المقصود من هذه المنظومة، وهو بيان معرفة الله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه وصفاته، وهذا باب عظيم، ومعرفة الله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه وصفاته مطلوب من كل مسلم.

وقد تعرف الله جَلَّ وَعَلَا لعباده بأسمائه وصفاته في القرآن وعلى لسان رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠]، فأثبت لنفسه الأسماء، وهي كثيرة، لا يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، تدل على عظمته، وأخبر أنها حسنى، ليست مجرد أسماء، وإنما هي أسماء حسنى، تدل على صفات عظيمة، كل اسم منها يدل على صفة من صفات الله جَلَّ وَعَلَا، فالرحمن الرحيم اسمان يدلان على الرحمة، والسميع البصير اسمان يدلان على ثبوت السمع والبصر له سُبْحَانَهُ، والقدير يدل على القدرة، والحي يدل على الحياة الكاملة، والقيوم يدل على كمال قيوميته سُبْحَانَهُ، بمعنى أنه قائم بذاته ومقيم لخلقه؛ فهو قائم بذاته لايحتاج إلى أحد، ومقيم لخلقه، فكل خلقه محتاجون إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وهكذا كل اسم من أسمائه يدل على صفة عظيمة، وليست مجرد أسماء بدون معان. وبها يُعرف سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويُدعى، ويُتوسل إليه بأسمائه وصفاته، ويُخاف، ويُرجى، هكذا باب الأسماء والصفات لله عَزَّوَجَلَّ.

وهذا المقام زلت فيه أقدام، وضلت فيه أفهام، وثبَّت الله أهل السنة والجماعة في هذا الباب وفي غيره، لكن هذا الباب هو الأصل، ففي هذا الباب أثبتوا ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته له رسوله من الأسماء والصفات، على ما جاءت، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، على حد قوله سُبْحَانَهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

وتخبطت الطوائف الضالة المنحرفة في هذا الباب:

فالجهمية نفوا الأسماء والصفات.

والمعتزلة أثبتوا أسماء مجردة، لا تدل على معان، ونفوا الصفات كلها، وأولوها، وحرفوها.

والأشاعرة أثبتوا الأسماء، وأثبتوا سبع صفات، وبعضهم أثبت أربع عشرة صفة، ونفوا الباقي. ويقابلهم طائفة يقال لهم: «المشبهة»، غلوا في الإثبات؛ فشبهوا أسماء الله وصفاته بأسماء وصفات خلقه، ولم ينزهوا الله جَلَّوَعَلَا عما نزه عنه نفسه من التمثيل والتشبيه.

هذا حاصل الخلاف في هذا الباب، كله يدور على هذا.

أَوَّلُ وَاجِـبٍ عَلَى الْعَبِيدِ مَعْرِفَةُ الإِلَهِ بِالتَّسْدِيدِ

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَى الْعَبِيدِ)** الواجب: هو ما يثاب فاعله ويعاقب تاركه(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(عَلَى الْعَبِيدِ)** جمع عبد؛ من العبودية، وهي الذل والخضوع(٢)؛ لأن كل الخلق عباد الله جَلَّ وَعَلَا، قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم:٩٣-٩٥]، هذه عبودية عامة في جميع الخلق، لا أحد يخرج عنها؛ لا الملائكة، ولا الجن، ولا الإنس، كل الخلق عباد لله جَلَّ وَعَلَا العبودية العامة. وهناك العبودية الخاصة لأهل الإيمان،

---

(١) انظر في تعريف الواجب: العدة في أصول الفقه (١/ ١٥٩)، والفقيه والمتفقه (١/ ١٩١)، والبرهان في أصول الفقه (١/ ١٠٦)، المستصفى (ص ٥٣)، وروضة الناظر وجنة المناظر (١/ ١٠٢)، وشرح مختصر الروضة (١/ ٢٦٥)، والبحر المحيط في أصول الفقه (١/ ٢٣٣)، وشرح الكوكب المنير (١/ ٣٤٥).

(٢) انظر مادة (عبد) في: العين (٢/ ٤٨)، وتهذيب اللغة (٢/ ١٣٦)، والصحاح (٢/ ٥٠٢)، ومقاييس اللغة (٤/ ٢٠٥)، ولسان العرب (٣/ ٢٧٠).

قال ابن القيم: (وَالْعِبَادَةُ تَجْمَعُ أَصْلَيْنِ: غَايَةُ الْحُبِّ بِغَايَةِ الذُّلِّ وَالْخُضُوعِ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: طَرِيقٌ مُعَبَّدٌ أَيْ مُذَلَّلٌ، وَالتَّعَبُّدُ: التَّذَلُّلُ وَالْخُضُوعُ، فَمَنْ أَحْبَبْتَهُ وَلَمْ تَكُنْ خَاضِعًا لَهُ، لَمْ تَكُنْ عَابِدًا لَهُ، وَمَنْ خَضَعْتَ لَهُ بِلَا مَحَبَّةٍ لَمْ تَكُنْ عَابِدًا لَهُ حَتَّى تَكُونَ مُحِبًّا خَاضِعًا). انظر: التفسير القيم (١/ ٦٩)، ومدارج السالكين (١/ ٩٥- ٩٦)، وتفسير القرطبي (١/ ٢٢٥، ١٧/ ٥٦).

وهم الذين عبدوه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حق عبادته؛ كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ [الإسراء:٦٥]، لما قال إبليس: ﴿ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص:٨٢-٨٣]، قال: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾، هذه عبودية خاصة، ومثل قوله في الملائكة: ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٦]، هذه عبودية خاصة، وقوله في نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا ﴾ [القمر:٩]، هذه عبودية خاصة، عبودية تشريف وتكريم، ومثل قوله في محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾ [الإسراء:١]، ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾ [الفرقان:١]؛ يعني: محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذه عبودية خاصة، تقتضي التشريف والتكريم.

فأول ما يجب على العبيد كلهم، الناظم يقول: (**أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَى الْعَبِيدِ... مَعْرِفَةُ الْإِلَهِ بِالتَّسْدِيدِ**)، والصواب: أول واجب على العبيد عبادة الله، أما معرفته، فإنهم يعرفونه بالفطرة، والعقول، والأدلة الكونية، والأدلة القرآنية، فهم يعرفونه، لكن أول ما يجب عليهم عبادته، ولهذا أول ما يؤمر به الصغير الصلاة، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مُرُوا أَوْلَادَكُم بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ**»[(١)]، ولم يقل: (عرفوهم بالله)؛ لأنهم يعرفون ذلك بفطرتهم؛ لأن معرفة الله عَزَّ وَجَلَّ معلومة بالفطرة، فأول واجب على العبيد عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. والكافر حينما يُسلم يؤمر بالشهادتين: «شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله»، ولا يؤمر

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٥)، وأحمد (١١/ ٢٨٤)، والحاكم (١/ ٣١١)، والدارقطني (١/ ٤٣٠).

بأن ينظر في الكون ويستدل على وجود الله -كما يقولون-؛ هذا شيء معروف في الفطرة، لا أحد يُنكره، ولهذا كل رسول يقول لقومه: (اعبدوا الله)، أول ما يبدؤهم يقول: (اعبدوا الله)؛ لأنهم يعرفون الله بفطرهم، لا يقول لهم: (اعرفوا الله)؛ لأنهم يعرفون أن لهم ربًا، فهم عرفوه، ولكنهم لم يعبدوه، فيأمرهم بعبادة الله عَزَّوَجَلَّ، هذا هو الصواب.

أما علماء الكلام، فيقولون: (أول واجب على العبد هو النظر)؛ ينظر في الأدلة لإثبات الرب سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، ثم بعد ذلك إذا نظر في الأدلة، وعرف الرب ووجوده، يعبده. نقول: هذا تحصيل حاصل، الخلق يعرفون الله بالفطرة وبالأدلة الكونية والأدلة القرآنية.

بِـأَنَّـهُ وَاحِـدٌ لَا نَـظِـيرَ لَـهُ وَلَا شِـبْـهَ وَلَا وَزِيـرَ

الشَّرْح

الله جَلَّوَعَلَا واحد في ربوبيته، لا شريك له في خلقه وتدبيره، وواحد في ألوهيته، فلا شريك له في عبادته، وواحد في أسمائه وصفاته، فلا مثيل له ولا شبيه له في أسمائه وصفاته، وليس له نظير، والنظير هو الشبيه والمماثل؛ كما قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥]؛ أي: هل تعلم أن أحدًا يشابه الله جَلَّوَعَلَا ويساميه؟! ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:٤]، وهذا نفي أن يكون له كفو، والكفو: هو الشبيه والمماثل ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة:٢٢]، والند هو الشبيه والنظير ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: تعلمون أنه لا ند له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَلَا وَزِيرَ)** الوزير هو المعين، ومن عادة الملوك في الدنيا أنهم يتخذون الأعوان والوزراء؛ يعينونهم على تدبير الملك، ويبلغونهم حوائج الناس؛ لأنهم بشر عاجزون، لا يعلمون حوائج الناس، أما الله جَلَّوَعَلَا، فإنه ليس بحاجة إلى وزير، ولا إلى ظهير، ولا إلى ولي من الذل؛ لأنه يعلم كل شيء، ويقدر على كل شيء، فليس بحاجة إلى وزير أو إلى ظهير أو إلى معين -كعادة ملوك الدنيا-، ولهذا نزه نفسه سُبْحَانَهُ عن الشبيه والنظير والمثيل والمعين والظهير: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء:١١١].

(١) قال ابن منظور في لسان العرب (٣/ ٤٢٠): (النِّدُّ، بِالْكَسْرِ: الْمِثْلُ وَالنَّظِيرُ، وَالْجَمْعُ أَندادٌ). وانظر: العين (٨/ ١٠)، والصحاح (٢/ ٥٤٣)، والمصباح المنير (٢/ ٥٩٧).

صِفَاتُهُ كَذَاتِهِ قَدِيمَةٌ أَسْمَاؤُهُ ثَابِتَةٌ عَظِيمَةٌ

الشَّرْح

أما ذاته سُبْحَانَهُ، فهي قديمة أزلية، لا بداية لها، وأما صفاته، فهي على قسمين:

القسم الأول: صفات قديمة مثل ذاته، وهي صفات الذات -كالسمع والبصر والعلم والقدرة والإرادة-، والصفات الذاتية -كالوجه واليدين- مما ثبت لله عَزَّوَجَلَّ، كل صفاته الذاتية قديمة بقدم ذاته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

القسم الثاني: صفات الأفعال: مثل: الخلق والرزق، والكلام والنزول إلى السماء الدنيا، والاستواء على العرش، فهذه قديمة النوع حادثة الآحاد، بمعنى أنه متصف بنوعها في الأزل، فهو عَزَّوَجَلَّ متصف أنه يتكلم، وأنه يخلق، وأنه يرزق، وأنه يحيي ويميت، هذا ما له بداية، لكن آحاد هذه الأفعال تتجدد؛ فهو يتكلم إذا شاء، ويأمر وينهى، ويشرع سُبْحَانَهُ، وينزل إلى سماء الدنيا كل ليلة، ويخلق ويرزق من يشاء سُبْحَانَهُ، فلا بد من هذا التفصيل. أما قول الناظم: (إن صفاته قديمة) بالإطلاق، فهذا محل نظر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أَسْمَاؤُهُ ثَابِتَةٌ عَظِيمَةٌ)** أسماؤه ثابتة؛ كما في القرآن جملة وتفصيلًا؛ جملة في قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠]، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه:٨]، ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحشر:٢٤].

ومفصلة في الآيات مثل: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٨٤].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(عَظِيمَةٌ)** لا أعظم من أسماء الله جَلَّ وَعَلَا، ولايشبهها شيء من أسماء المخلوقين، وإن اشتركت في اللفظ مع أسماء المخلوقين، فهي تختلف في الكيفية، واللفظ واحد؛ الله سميع بصير والمخلوق سميع بصير، الله عنده علم والمخلوق عنده علم، ولكن صفات الله جَلَّ وَعَلَا لائقة به وبعظمته، وصفات المخلوقين لائقة بهم على قدرهم، لا تشابه بينها في الحقيقة والكيفية، بل بينها فرق عظيم كالفرق بين الخالق والمخلوق، ينبغي أن يُعرف أنها وإن تشابهت في اللفظ والمعنى العام، فإنها لا تتشابه في الكيفية والحقيقة، فسمع الله لا يُشبه سمع المخلوق، وكذلك بقية صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وعلم الله لايشبه علم المخلوق، الله وصف المخلوق بأنه عليم؛ كما قال تعالى: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات:٢٨]؛ يعني: إسحاق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، والله وصف نفسه بأنه بكل شيء عليم، فلا مشابهة بين العليم والعليم، وسمى عبده بالحليم، قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات:١٠١]؛ يعني: إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وسمى نفسه حليمًا، ولا تشابه بين حلم الله وحلم العبد، ولا بين الحليم والحليم، وإن كانت مشتركة في اللفظ وفي المعنى العام، لكن تفترق في الحقيقة والكيفية.

لَكِنَّهَا فِي الْحَقِّ تَوْقِيفِيَّهْ لَنَا بِذَا أَدِلَّةٌ وَفِيَّهْ

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لَكِنَّهَا)** أي أسماء الله وصفاته **(تَوْقِيفِيَّهْ)** بمعنى أنه يُقتصر في إثباتها على ما جاء في الكتاب والسنة، فلا نُحدث لله أسماء وصفات من عندنا، ولا نصفه بصفات لم ترد في الكتاب والسنة، أو نسميه باسم ليس في الكتاب والسنة، هذا معنى أنها توقيفية؛ فما جاء في كتاب الله وسنة رسوله من أسماء الله وصفاته، أثبتناه، ولا نزيد عليه من عندنا أبدًا، لا يجوز هذا؛ لأن الله أعلم بنفسه وما يليق به، والرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أعلم الخلق بربه، ونحن لا نعلم إلا ما علمنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلا نقول على الله بغير علم، ونصفه بشيء لم يصف به نفسه، أو نسميه باسم لم يسم به نفسه، هذا من الإلحاد في أسماء الله.

فالذي يزيد في أسماء الله شيئًا ليس منها ملحد في أسماء الله، قال تعالى: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠]. فمن الإلحاد فيها زيادة الأسماء أو الصفات التي لم ترد في الكتاب والسنة.

وهذا باب عظيم، يجب التنبه له؛ لأن بعض المبتدئين في طلب العلم أحيانًا يثبتون لله أشياء لم يثبتها لنفسه ولا وردت في الكتاب والسنة، فيجب

عليهم التوقف والامتناع، ولا ينسبون إلى الله جَلَّوَعَلَا إلا ما أثبته لنفسه، أو أثبته أعلم الخلق به، وهو محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ. حسبنا التوقف على ما جاء في الكتاب والسنة.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: **(لَنَا بِذَا أَدِلَّةٌ وَفِيَّهْ)** لنا على أنها توقيفية أدلة (وَفِيَّهْ)؛ كافية بالمقصود من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

لَـهُ الْحَـيَـاةُ وَالْـكَـلَامُ وَالْبَصَرْ سَمْـعٌ إِرَادَةٌ وَعِـلْـمٌ وَاقْـتَـدَرْ

الشَّرْح

لما ذكر القاعدة في أسماء الله وصفاته، أراد أن يُمثل بما ورد في كتاب الله وسنة رسوله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لَهُ الحَيَاةُ)**؛ يعني: أن الله جَلَّجَلَالُهُ موصوف بالحياة، قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقال: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان:٥٨]، فسمى نفسه بالحي، وهذا يدل على ثبوت الحياة الكاملة، وليست كحياة المخلوقين؛ لأن حياته حياة لا بداية لها ولا نهاية، بخلاف حياة المخلوقين؛ فإنها حياة ناقصة، ولها بداية، ولها نهاية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَالْكَلَامُ)**، من صفاته سُبْحَانَهُ أنه يتكلم؛ كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦]، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح:١٥]، ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف:١٤٣]، ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤]؛ كما أثبت لنفسه النداء والمناجاة: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم:٥٢]، والمناداة هي الصوت المرتفع(١)، والمناجاة هي الصوت الخفي(٢)، فجمع الله لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بينهما.

---

(١) انظر: العين (٨/ ٧٨) والصحاح (٦/ ٢٥٠٥)، ومختار الصحاح (ص ٣٧٥)، وتاج العروس (٤٠/ ٥٨).

(٢) انظر: الصحاح (٦/ ٢٥٠٣)، وتهذيب اللغة (١١/ ١٣٥)، ومقاييس اللغة (٥/ ٣٩٧).

وجاء في الأحاديث أن الله جَلَّ وَعَلَا كلَّم آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ[(١)]، وجاء في القرآن أن الله كلَّم آدم وحواء: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [الأعراف:٢٢]، ناداهما، وقال: ﴿أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا﴾ ﴿وَأَقُل لَّكُمَآ﴾، هذا فيه إثبات الكلام والقول لله عَزَّ وَجَلَّ.

ويكلم عباده يوم القيامة في المحشر، ويسمعون كلامه[(٢)]، ويكلم أهل الجنة، ويتلذذون بكلامه ومناجاته لهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ[(٣)]، فكلامه صفة من

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٦٢٢٧)، ومسلم (١١٥) (٢٦١٢)، واللفظ للبخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا خَلَقَهُ، قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ، النَّفَرِ مِنَ المَلَائِكَةِ، جُلُوسٌ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ، فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ، فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللهِ، فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ، فَلَمْ يَزَلِ الخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدُ حَتَّى الآنَ**».

(٢) كما في الحديث الذي رواه البخاري معلقًا في صحيحه عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن عَبْد اللهِ بْنُ أُنَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**يَحْشُرُ اللهُ الخَلَائِقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُرَاةً حُفَاةً غُرْلاً بُهْمًا، فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ، كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ**»، الفتح (١٣/ ٤٦١)، وأخرجه أحمد في مسنده مطولًا (٣/ ٤٩٥)، والبخاري في خلق أفعال العباد (ص٩٢)، وابن أبي عاصم في السنة (ح٥١٤)، والطبراني في مسند الشاميين (١/ ١٠٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٣٨)، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. وقال الحافظ في الفتح (١/ ٢٠٩): وإسناده صالح. وقال موضع آخر (١/ ٢١٠): وإسناده حسن وقد اعتُضِد. وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٥٤): رواه أحمد والطبراني في الأوسط بإسناد حسن.

(٣) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٢٩٧) (١٨١) من حديث صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولفظه: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ**».

صفاته الفعلية قديمة النوع حادثة الآحاد، بمعنى أنه يتكلم إذا شاء، وهو لا يزال متصفًا بالكلام في الأزل والأبد، ويكلم -إذا شاء سُبْحَانَهُ- من يشاء من عباده في الدنيا والآخرة: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ [الشورى:٥١]؛ يعني: لا أحد يكلمه الله على سبيل أنه يرى الله؛ لأن الله لا يُرى في هذه الدنيا، ما رآه لا جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإنما يكلمهم من وراء حجاب، وحجابه النور سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى[(١)]؛ لأن الخلق لا يُطيقون رؤيته في هذه الدنيا، أما في الآخرة والجنة، فإن الله يعطيهم قوة يستطيعون بها رؤيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فيرونه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عيانًا بأبصارهم؛ كما يرون القمر ليلة البدر، كما يرون الشمس صحوًا ليس دونها سحاب؛ كما ثبت وتواتر في الأحاديث[(٢)].

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٢٩٣) (١٧٩) عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَال: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ** عَزَّ وَجَلَّ **لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**».

(٢) كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه البخاري (٨٠٦، ٦٥٧٣)، ومسلم (٢٩٩) (١٨٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ أُنَاسٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ**»، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ**»، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَذَلِكَ**...».

وحديث جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٢١١) (٦٣٣) عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةً -يَعْنِي البَدْرَ- فَقَالَ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**، =

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَالْبَصَرْ)**؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج:٧٥]، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:١]، ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء:١٣٤]، فسمى نفسه بالسميع والبصير، ويؤخذ من هذين الاسمين وصف الله بالسمع والبصر، وأنه يسمع ويرى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قال لموسى وهارون: ﴿لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:٤٦]، وكما أخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنه سمع قول اليهود لما قال: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران:١٨١]، وسمع قول المرأة التي تجادل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في زوجها لما ظاهر منها: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة:١] ووصف نفسه بالسمع، وسمى نفسه بالسميع، يسمع الأصوات كلها، يسمع السر وأخفى، لا يخفى على سمعه شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(سَمْعٌ إِرَادَةٌ وَعِلْمٌ وَاقْتَدَرْ)**، وله إرادة كما أثبت الله لنفسه ذلك؛ أن له إرادة، وأنه يريد: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج:١٦]، ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ [الإسراء:١٦]، ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى السَّمَآءِ﴾ [الأنعام:١٢٥]، ﴿أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ [المائدة:٤١]، فالله جَلَّ وَعَلَا يريد؛ له إرادة، والإرادة على نوعين:

=فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق:٣٩]».

النوع الأول: إرادة كونية: يخلق بها سُبْحَانَهُ، ويُدبر بها: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]، إذا أراد، فهذه إرادة كونية ترادفها المشيئة، ترادفها مشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان:٣٠]، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٠]، ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ [محمد:٣٠]، هذه إرادة كونية، وهي التي ينشأ عنها الخلق والتدبير.

والنوع الثاني: إرادة شرعية دينية؛ كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٢٧]، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٢٨]، ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة:٦]، هذه إرادة شرعية.

والفرق بين الإرادة الشرعية والإرادة الكونية: أن الإرادة الكونية لابد أن تقع، فإذا أراد الله أن يخلق شيئًا، أو أن يوجد شيئًا، أو أن يفعل شيئًا، فلابد أن يقع، وأما الإرادة الشرعية، فقد تقع، وقد لا تقع، الله أراد من عباده الإيمان، ولكن منهم من آمن، ومنهم من كفر، فالإرادة الشرعية قد تقع، وقد لا تقع. وكذلك الإرادة الكونية قد يحبها الله ويرضاها، مثل: إيمان المؤمن، وطاعة المطيع. وقد لا يحبها، ولا يرضاها، مثل: كفر الكافر، ومعصية العاصي، أرادهما الله كونًا وقدرًا، ولكنه لم يردهما شرعًا، ولم يرضهما دينًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَعِلْمٌ)** من أسمائه أنه عليم، ومن صفاته العلم المحيط بكل شيء، العلم الذي هو موصوف به أزلًا وأبدًا، يعلم كل شيء، يعلم

ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، يعلم كل شيء: ﴿ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [البقرة:٢٣١]، لا يخفى على علمه شيء سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، هذه صفة العلم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَاقْتَدَرْ)** على الإيجاد والخلق، والقدرة، من صفاته: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال:٤١] قال: على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، فقدرته لا يستعصي عليها شيء، خلاف المخلوق؛ فالمخلوق عنده قدرة، ولكنه يعجز عن كثير من الأشياء، إنه لا يقدر على كل شيء، يقدر على شيء، ويعجز عن شيء، أو يعجز عن أكثر مما يقدر عليه، أما الله جَلَّ وَعَلَا، فإنه على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.

❁❁❁

بِــقُـــدْرَةٍ تَـعَـلَّـقَـتْ بِـمُـمْـكِـنْ كَــذَا إِرَادَةٌ فَــعِ وَاسْــتَــبِنْ

الشَّرْح

القدرة تتعلق بالممكنات، وكل ممكن فالله قادر عليه، أما المستحيلات، فهذه ليست بشيء، الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، والمستحيل هذا ليس بشيء، لا يدخل في قوله: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، فقدرته تتعلق بالممكنات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**بِقُدْرَةٍ تَعَلَّقَتْ بِمُمْكِنْ**)، بممكن أي: أن الأشياء الممكن وجودها أو عدم وجودها، الله قادر على إيجادها، وهذا يشمله قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾؛ على كل شيء من الممكنات، أما المستحيلات، فهذه ليست بشيء، فلا تدخل في عموم قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٠].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كَذَا إِرَادَةٌ**) الإرادة أيضًا تتعلق بالممكن؛ ما أراده الله، كان، أما المستحيل، فهذا ليس بشيء، ولا يدخل في العموم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَعِ وَاسْتَبِنْ**): فعل أمر من وعى، من الوعي، وهو التنبه، والحفظ والتدبر، واستبن: يعني تبين، واعلم هذا الشيء وتيقنه.

وَالْعِلْمُ وَالْكَلَامُ قَدْ تَعَلَّقَا ... بِكُلِّ شَيْءٍ يَا خَلِيلِي مُطْلَقَا
وَسَمْعُهُ سُبْحَانَهُ كَالْبَصَرِ ... بِكُلِّ مَسْمُوعٍ وَكُلِّ مُبْصَرْ

الشَّرح

الفرق بين القدرة والعلم: القدرة تتعلق بالممكنات، لا بالمستحيلات، وأما العلم، فهو عام لكل شيء، لا يُقيد، يقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٩] من الممكنات الواجبات، وحتى المستحيلات يعلم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كل شيء، ولهذا قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام:٢٨]، رجوعهم إلى الدنيا مستحيل، علم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن هذا المستحيل لو وقع، وردوا إلى الدنيا؛ أنهم لا يؤمنون ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام:٢٨]، فعلم الله أنهم لو ردوا -مع أن هذا مستحيل-، لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والشرك بالله عَزَّ وَجَلَّ، وإنهم لكاذبون في قولهم: ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام:٢٧]، هذا كذب منهم.

فقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَالْعِلْمُ وَالْكَلَامُ قَدْ تَعَلَّقَا بِكُلِّ شَيْءٍ)** هذا صحيح كما سبق، وأما أن الكلام قد تعلق بكل شيء، فالكلام من أفعاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، صفة من صفات الأفعال، لا تتعلق بكل شيء، وإنما هي تابعة للمشيئة والإرادة كسائر أفعاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يفعلها إذا شاء، ويتكلم إذا شاء سُبْحَانَهُ.

سمعه وبصره عامان لكل مسموع وكل مبصر،كل مسموع فإن الله يسمعه، وكل مبصر فإن الله جَلَّ وَعَلَا يبصره: ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران:٥]، وأما غير المسموع وغير المبصَر، فهذا ليس شيئًا.

فَصْلٌ فِي مَبْحَثِ الْقُرْآنِ الْعَظِيم

وَإِنَّ مَـا جَــاءَ مَـعَ جِـبْرِيـلَ ... مِـنْ مُحْكَمِ الْـقُـرْآنِ وَالتَّنْزِيلْ

الشَّرْح

لما أثبت لله الكلام العام، ذكر الكلام الخاص، وهو القرآن، القرآن من أفراد كلام الله عَزَّوَجَلَّ، يقول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف:١٠٩]، ليس لكلام الله حصر ولا نهاية، لا بداية له ولا نهاية؛ يعني: جنس الكلام ليس له بداية ولا نهاية، ما زال الله يتكلم، ويأمر، وينهى، من الأزل إلى الأبد وهو يتكلم ويأمر وينهى، إذا شاء سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ولا يحصي كلامه شيء: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى﴾، كل ما في هذا الكون مما كان وما يكون كله وجد بكلام الله، بقول الله له: (كن)؛ فيكون: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان:٢٧]، هذه مثل آية الكهف؛ أن كلام الله لاحصر له، هو ما زال سُبْحَانَهُ يتكلم إذا شاء، وتكلم فيما مضى، ويتكلم في المستقبل، ويتكلم كلما شاء سُبْحَانَهُ، وكل مخلوقاته وكل تدبيراته فهي بكلامه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، يقول للشيء: (كن)؛ فيكون، ويأمر وينهى، ويحلل ويحرم.

ومن كلام الله عَزَّوَجَلَّ القرآن الذي جاء به جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو كلام الله منزل من الله، تكلم الله به حقيقة، وسمعه جبريل

عَلَيْهِ السَّلَامُ، كلمه الله جَلَّ وَعَلَا من وحيه بما شاء، ونزل به إلى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكذلك على من قبله من الرسل، فإن الله يكلم جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ من وراء حجاب، ويسمع جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ كلامه؛ لأن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ هو أمين الوحي، ثم ينزل به ويبلغه إلى الرسول البشري: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴾ [الحج:٧٥](١).

فالقرآن كلام الله عَزَّوَجَلَّ حقيقة، لا أنه مخلوق كما تقوله الجهمية، فالجهمية يقولون: (الله لا يتكلم، ولا يجوز في حقه أن يتكلم -تعالى الله عما يقولون-، وإنما كلام الله مخلوق؛ لأن الله خلقه كسائر المخلوقات، خلقه في جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، أو خلقه في الهواء، وسمعه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، أو أنه خلقه في اللوح المحفوظ، وأخذه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ من اللوح المحفوظ، ونزل به على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، هذا قول الجهمية.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٢٧)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/ ٢٣٦)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٣٤٨)، والآجُري في الشريعة (٣٠٧)، والطبري في تفسيره (١٩/ ٢٧٨)، وابن أبي حاتم كما ذكر ابن كثير في تفسيره، وساقه بإسناده (٦/ ٥١٦)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ١٥٢)، والطبراني في مسند الشاميين (١/ ٣٦٦)، والبغوي في تفسيره (٣/ ٥٥٧) من حديث النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يُوحِي بالأمرِ تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ، أَخَذَتْ السَّمَاوَات مِنْهُ رَجْفَةٌ -أَوْ قَالَ رَعْدَةٌ- شَدِيدَةٌ، خَوْفًا مِنْ اللهِ** عَزَّوَجَلَّ، **فَإِذَا سَمِعَ بِذَلِكَ أَهْل السَّمَاوَات صُعِقُوا وَخَرُّوا للهِ سُجَّدًا، فَيَكُون أَوَّل مَنْ يَرْفَع رَأْسَهُ جِبْرِيلُ، فَيُكَلِّمهُ اللهُ مِنْ وَحْيه بِمَا أَرَادَ، ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرِيلُ عَلَى الْمَلَائِكَة، كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلَهُ مَلَائِكَتُهَا: مَاذَا قَالَ رَبّنَا يَا جِبْرِيلُ؟ فَيَقُول جِبْرِيلُ: قَالَ:** ﴿ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [سبأ:٢٣]. **قَالَ: فَيَقُولُونَ كُلّهمْ مِثْل مَا قَالَ جِبْرِيلُ. فَيَنْتَهِي جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ إلى حَيْثُ أَمَرَهُ الله** عَزَّوَجَلَّ».

وكذلك المعتزلة أخذوا بقول الجهمية، وقالوا: (الله جَلَّ وَعَلَا لايتكلم، ولا يليق به أن يتكلم، وإنما خلق الكلام في غيره).

والأشاعرة أخذوا بعض قول الجهمية، وتركوا بعضه، فاثبتوا لله الكلام النفساني، وهو المعنى القائم بنفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأما الحروف والأصوات، فهذه من قول المخلوق، عبر بها عنه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، أو حكى بها عنه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، أو عبر بها عنه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو حكى بها عنه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالمعنى غير مخلوق، وأما اللفظ عند الأشاعرة، فهو مخلوق، اللفظ مخلوق، وأما المعاني، فهي من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. هذا عند الأشاعرة.

وهذا خلط بين مذهب أهل السنة ومذهب الجهمية، لا هم صاروا مع الجهمية، وقالوا: (القرآن مخلوق)، ولا هم صاروا مع أهل السنة، وقالوا: (القرآن منزل من عند الله لفظه ومعناه)، وإنما خلطوا بين الأمرين، وجعلوا القرآن بعضه من الله وبعضه من غيره -تعالى الله عما يقولون!

أما أهل السنة والجماعة، فيقولون: (القرآن كلام الله لفظه ومعناه، ليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف، بل كله لفظه ومعناه وحروفه كله من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، تكلم الله به حقيقة؛ كما يليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وسمعه منه أمين الوحي جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبلغه إلى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ يعني: القرآن ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾، وهو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾، الخطاب لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٥]، تكلم الله به باللسان العربي، فلفظه ومعناه وحروفه كله من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ليس بعضه مخلوق -كما تقوله الأشاعرة-، وليس كله مخلوق -كما تقوله الجهمية والمعتزلة-، بل كله ليس بمخلوق، لا لفظه ولا معناه ولا حروفه).

كَـلاَمُـهُ سُبْـحَـانَـهُ قَـدِيـمْ   أَعْـيَـا الْـوَرَى بِـالـنَّـصِّ يَـا عَلِيمُ
وَلَيْسَ فِي طَوْقِ الْـوَرَى مِنْ أَصْلِهِ   أَنْ يَسْتَطِيعُوا سُـورَةً مِـنْ مِثْلِهِ

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كَلَامُهُ سُبْحَانَهُ قَدِيمْ)** كلمة قديم فيها تفصيل؛ كما ذكرنا ه فيما سبق: أن صفات الأفعال لا يقال: (إنها قديمة مطلقًا، ولا حادثة مطلقًا)، وإنما يقال: (قديمة النوع حادثة الآحاد)، فالقرآن ليس قديمًا، بل هو محدث من كلام الله جَلَّ وَعَلَا، قال تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء:٢]؛ أي: حادث التكلم من الله جَلَّ وَعَلَا، فهو من أفراد كلامه التي تتجدد حسب مشيئته وإرادته.

وهل يقال: إن قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ﴾ [المجادلة:١] أن هذا قديم؟ بل إنه سُبْحَانَهُ سمعه وقت الكلام وقت المحاورة، حين كانت تجادلك. أنزل فيه القرآن، أنزل فيه سورة المجادلة، فكلام الله قديم النوع والجنس، لكنه حادث الآحاد، يتكلم إذا شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فقوله: (قديم) ليس على إطلاقه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أَعْيَا الْوَرَى بِالنَّصِّ يَا عَلِيمُ)** أعيا الورى: يعني أعجز الخلق كلهم، هذا بلا شك أن القرآن المعجزة الكبرى لمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو معجز من عدة نواح؛ معجز من جهة لفظه وبلاغته، فمع كونه بلفظ عربي أعجز العرب كلهم فصحاءهم وشعراءهم وخطباءهم، أعجزهم

أن يأتوا بسورة من مثله؛ حيث تحداهم أن يأتوا بمثل القرآن: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء:٨٨]، هذه الآية نزلت على الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مكة قبل الهجرة، تحدى قريشًا وهو في مكة مع شدة عداوتهم وتكذيبهم له صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تحداهم الله أن يأتوا بمثله(١).

وفي سورة البقرة: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ [البقرة:٢٣] تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة: ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٢٣-٢٤]، قال: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ ﴾، أخبر أنهم لن يفعلوا في المستقبل إلى يوم القيامة، وباب التحدي مفتوح إلى أن تقوم الساعة، أين الذي يجيء بسورة من القرآن؟ إلى أن تقوم الساعة باب التحدي لا يزال مفتوحًا: ﴿ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾، وفي سورة هود تحداهم أن يأتوا بعشر سور: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [هود:١٣]، تحداهم أولًا أن يأتوا بمثل القرآن، ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور، ثم تحداهم أن يأتوا بسورة، فعجزوا عن ذلك كله رغم كفرهم وعداوتهم لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورغم عنادهم عجزوا أن يأتوا بسورة، بل بأقصر

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٧٥)، وزاد المسير (٣/ ٥٢)، وابن كثير (٥/ ١١٧).

سورة، عجزوا أن يأتوا بمثل سورة الإخلاص أو سورة الكوثر، أقصر سورة من القرآن.

فهذا دليل على أن القرآن من عند الله عَزَّوَجَلَّ، وليس هو من كلام محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ إذ لو كان من كلام محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو من كلام جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهو مخلوق مثلهم، لما عجزوا أن يأتوا بمثله، فدل على أنه كلام الخالق، وليس كلام المخلوق.

معجزات الأنبياء تنتهي بوقتها، ولكن معجزة هذا الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مستمرة إلى أن تقوم الساعة، وهو معجز أيضًا بمعانيه العظيمة وما يشتمل عليه من المعاني والأخبار، وأنه ما من شيء يحدث أو حادثة تحدث، إلا وفي القرآن بيان حكمها، وإذا أشكلت مشكلة، أو نزلت نازلة، ورجع العلماء -وليس العوام أو الجهال-، إذا رجع العلماء إلى القرآن، وجدوا حكمها في القرآن: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان:٣٣]، لكن هذا شأن العلماء؛ أنهم إذا رجعوا إلى القرآن، وجدوا حكم النازلة في القرآن، فهذا من إعجاز القرآن، وهو شموله للأحكام الماضية والأحكام المتجددة والنازلة إلى أن تقوم الساعة.

وما من مبطل يحتج على قوله الباطل، إلا والقرآن يرد عليه باطله، هذه معجزة في القرآن أيضًا، ولكن هذا لا يتنبه إليه إلا أهل العلم وأهل البصيرة: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾.

ومن إعجاز القرآن إخباره بالمغيبات الماضية والمستقبلة، وتقع كما أخبر، فهذا من إعجاز القرآن، فالقرآن معجز بلفظه، ومعجز بمعناه، ومعجز في أخباره، ومعجز في بلاغته، فالقرآن معجز من كل وجه؛ إنه معجزة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكبرى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أَعْيَا الْوَرَى)** يعني: أعجز الورى، فهو معجزة، وهم الخلق كلهم، الجن والإنس: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء:٨٨]، هذه آية من آيات الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَلَيْسَ فِي طَوْقِ الْوَرَى مِنْ أَصْلِهِ أَنْ يَسْتَطِيعُوا سُورَةً مِنْ مِثْلِهِ)**؛ يعني: ليس في استطاعة الخلق أن يأتوا بسورة من مثله، وهذا في القرآن: ﴿ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ [هود:١٣]، وفي الآية الأخرى: ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ [يونس:٣٨]، فلم يستطيعوا، والسورة تشمل أقصر سورة، لو أردوا أن يأتوا بمثل: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾، أو﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾، أو﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾، ما استطاعوا.

فصل
فِي ذِكْرِ الصِّفَاتِ الَّتِي يُثْبِتُهَا لله تَعَالَى أَئِمَّةُ السَّلَفِ وَعُلَمَاءُ الْأَثَرِ

وَلَـيْـسَ رَبُّـنَـا بِجَـوْهَـرٍ وَلا ... عَرَضٍ وَلَا جِسْمٍ تَعَالَى ذُو الْعُلَى

الشَّرْح

أراد الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ أن ينزه الله عن الأشياء التي لا تليق به، وهذا شيء واجب أن ينزه الله عمَّا لا يليق به؛ كما نزه نفسه عن ذلك، ونزهه رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونزهه المسلمون عمَّا لا يليق به سُبْحَانَهُ.

ولكن هذه الألفاظ التي ذكرها الناظم وهي:(الجوهر والعرض والجسم)(١) إنما هي من اصطلاحات المتكلمين، ولم يرد لها ذكر في كتاب الله، ولا في سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما لم يرد له ذكر في الكتاب والسنة، فإنه يُسكت عنه؛ لا يُثبت، ولا ويُنفى.

ومرادهم بالجوهر: الشيء المحسوس، ما يسميه الناس الآن بالماديات، والعرض: هو الشيء الذي ليس له مادة، وإنما يعرض ويزول؛ مثل: الألوان؛ البياض، والحمرة، والصفرة، والريح، وغير ذلك مما ليس له جسم، هذا هو العرض؛ أي: الأشياء العارضة، أو بعبارة أخرى نقول: الجوهر: ما يقوم

(١) انظر: الحدود الأنيقة (ص٧١)، قال: (الجوهر: ما يقبل التحيز، والعرض ما لا يقوم بذاته بل بغيره)، وغاية المرام للآمدي (ص١٧٩)، ومقالات الإسلاميين للأشعري (ص٣٠١)، والجواب الصحيح (٥/ ٦).

بنفسه، والعرض: ما لا يقوم بنفسه، وإنما يقوم بغيره؛ كالألوان -البياض، والحمرة، والصفرة-، فهذه لا تقوم بنفسها، وإنما تقوم بغيرها، والجسم هو الشيء المجسم؛ مثل: جسم الإنسان، وجسم الحيوان، الجسم مما له أعضاء وله مكونات؛ أي: مركب من أشياء، هذا هو الجسم. هذا من حيث معاني هذه الألفاظ، أما أنها تُنسب لله أو تنفى عن الله، فهذه لم يرد لها ذكر في كتاب الله ولا في سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مع أن القائلين بها يريدون بها نفي الصفات، وهم المتكلمون يقولون: (إن الصفات لا تقوم إلا بالجسم، والله منزه عن الجسم، والأفعال حوادث، والحوادث لا تكون إلا بالجسم، و الله منزه عن الجسم)، هذه الألفاظ هي اصطلاحات للمتكلمين.

فالناظم رَحِمَهُ اللَّهُ جرى في هذا على ما جرى عليه المتكلمون، وكان ينبغي ألَّا يذكر هذه الأشياء؛ لأنها لا تُثبت، ولا تُنفى؛ لأنها يحتمل أن يراد بها حق، ويحتمل أن يراد بها باطل، وأيضًا هذه الألفاظ لم ترد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إنما نثبت لله ما أثبته لنفسه، وننفي عن الله ما نفاه عن نفسه، وهذه الألفاظ لم يرد لها ذكر، فينبغي الإعراض عنها، لكنه رَحِمَهُ اللَّهُ قد يجري على لسانه شيء من اصطلاحات المتكلمين؛ نظرًا لأنه قرأ في كتبهم، وأخذ بعض عباراتهم، إلا أنه لم يتنبه لها.

عرفنا أن هذه الألفاظ التي ذكرها الناظم وأمثالها لا تثبت لله، ولاتنفى عنه؛ لأنه لم يرد ذلك في كتاب الله أو سنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأيضًا قد يراد به حق، وقد يراد به باطل، فلا يجوز نفيها ولا إثباتها.

سُبْحَانَهُ قَدِ اسْتَوَى كَمَا وَرَدْ　　مِنْ غَيْرِ كَيْفٍ قَدْ تَعَالَى أَنْ يُحَدَّ

الشَّرْح

نثبت لله الاستواء على العرش؛ كما جاء ذلك في سبعة مواضع من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، كلها بلفظ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[1]، فنحن نثبت هذا لله. واستوى: معناه ارتفع وعلا، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الاستواء[2]:

فَلَهُم عِبَارَاتٌ عَلَيهَا أربَعٌ　　قَد حُصِّلَت لِلفَارِسِ الطَّعَّانِ
وَهيَ استَقَرَّ وَقَد عَلَا وَكَذَلِكَ ارْ　　تَفَعَ الَّذِي مَا فِيهِ مِن نُكرَانِ
وَكَذَاكَ قَد صَعِدَ الَّذِي هُوَ رَابعٌ　　وَأَبُو عُبَيدَةَ صَاحِبُ الشَّيبَانِي
يَختَارُ هَذَا القَولَ فِي تَفسِيرِهِ　　أدرَى مِنَ الجَهمِيِّ بِالقُرآنِ

أربعة معانٍ للاستواء: استقر، علا، ارتفع، صعد، كلها تعني الاستواء، وهي ثابتة لله؛ أيًّا ما عبرت به، فهو حق، فمعنى استوى على العرش أي: ارتفع، أو استقر، أو علا، أو صعد.

والاستواء على العرش من صفات الأفعال التي يفعلها متى ما شاء؛ مثل: النزول إلى سماء الدنيا من صفات الأفعال، يفعلها إذا شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولذلك جاء ذكر الاستواء متأخرًا عن خلق السماوات والأرض في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤].

---

(١) هي: (الأعراف:٥٤)، (يونس:٣)، (الرَّعْدُ:٢)، (طه:٥)، (الْفُرْقَانُ:٥٩)، (السَّجْدَةُ:٤)، (الْحَدِيدُ:٤).

(٢) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (١/ ٤٤٠).

أما العلو، فهو ثابت لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا ينفك عنه؛ لأنه صفة ذات، وأما الاستواء، فهو صفة فعل، يفعله إذا شاء، ولذا رُتب بـ«ثم»: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ بعد خلق السماوات والأرض.

فيجب التفريق بين العلو والاستواء؛ العلو صفة ذات لا ينفك عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأما الاستواء، فإنه صفة فعل، يفعله إذا شاء، ولانعلم كيفية الاستواء، فلذلك لانبحث في الكيفية، وإنما نبحث في المعنى فقط، أما كيف استوى على العرش؟ هذا كسائر صفاته، لا يعلم كيفيتها إلا الله جَلَّ وَعَلَا.

ولهذا لما سُئل الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ إمام دار الهجرة، سأله رجل فقال: «يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥] كَيْفَ اِسْتَوَى؟»، ما سأله عن معنى الاستواء، وإنما سأله عن الكيفية -كيف استوى-، فأطرق الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وعلته الرحضاء -يعني العرق-؛ حياء من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ثم رفع رأسه، فقال: «الاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ»، يعني معلوم معناه، «وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ»؛ لأنك تسألني عن الكيف، والكيف مجهول «وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ»، «وَالسُّؤَالُ عَنْهُ» أي: عن الكيف «بِدْعَةٌ»، فالذي يسأل عن كيفية الصفات هذا مبتدع، أما الذي يسأل عن معناها، فسؤاله صحيح، وهو لم يسأل عن معنى الاستواء، ولهذا قال الإمام مالك: «الاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ» يعني: معلوم معناه، «وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ»، لاأنا ولا أنت ولا أحد من الخلق يعرفه، ثم قال: «وَمَا أَرَاكَ إِلَّا رَجُلَ سُوءٍ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ، فَأُخْرِجَ مِنَ المَجْلِسِ»[1]، فأمر به

(١) أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/ ٣٩٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٠٤- ٣٠٥)، وفي الاعتقاد (ص١١٦)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٢٥)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٨/ ١٠٠)، وفي العلو (ص١٣٩).

فأُخرج وطُرد؛ لأنه لايجوز السؤال عن هذه الأمور، هذا سوء أدب مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وسؤال فيه تنطع وتكلف.

ويا ليت كثيرًا من المتعلمين الآن يأخذون هذه القاعدة؛ أنهم لا يسألون عن الكيفية، ولا يدخلون في شيء من الأسئلة في حق الله جَلَّ وَعَلَا، نحن منهيون عن الدخول فيها.

«الاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ» هذه قاعدة عظيمة في جميع الصفات، ليس هي في الاستواء فقط، بل في جميع صفات الله عَزَّوَجَلَّ.

فالاستواء معلوم معناه، وهو ثابت لله في سبعة مواضع من القرآن، كلها بلفظ: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾.

لكن الجهمية والمعتزلة والأشاعرة -الذين لا يثبتون الاستواء، بل ينفون العلو والاستواء- يقولون: (استوى بمعنى: استولى)، يزيدون لامًا في تفسيرهم لـ«استوى» لتصبح «استولى»، وهذه اللام لم ترد في كتاب الله، كل الآيات ورد فيها استوى بدون لام، كيف جاؤوا بهذه اللام؟ هذه زيادة من عندهم. فهم مثل اليهود، لما قيل لهم قولوا: حطة؛ أي: حط عنا ذنوبنا، قالوا: حنطة. زادوا نونًا، يريدون الطعام؛ لأن همهم بطونهم، لايستغفرون، ولا يريدون من الله المغفرة، وإنما يطلبون الطعام، فقالوا: (حنطة)؛ كما قال الله: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ﴾ [الأعراف:١٦١]، لو أنهم فعلوا ما أمرهم الله به، لغفر لهم، ولو أنهم قالوا:

(حطة)؛ يعني: حط عنا ذنوبنا، واغفر لنا، ودخلوا ساجدين لله عَزَّوَجَلَّ، لغفر الله لهم، لكنهم بدلوا القولن فقالوا: (حنطة)، بدل حطة، وبدلوا الفعل، فلم يسجدوا لله، وإنما دخلوا يزحفون على آساتهم ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ [الأعراف:١٦٢][1].

كذلك هؤلاء بدلوا قولًا في الاستواء غير الذي قيل لهم، قال الله في الاستواء: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤]، وقالوا هم: (استولى على العرش)، هذه زيادة في كتاب الله.

وأيضًا الاستيلاء على العرش معناه: أنه كان قبل غير مستولٍ، ثم استولى عليه، وأيضًا الاستيلاء ليس خاصًا بالعرش، هو مستولٍ على كل شيء، يكون إذًا لا ميزة للعرش، فالله قد استولى على الأرض، واستولى على السماء، واستولى على الكون كله، كله في ملكه، وما ميزة العرش لأنه ملك لله، وأنه خلق لله عَزَّوَجَلَّ؟! ماله ميزة.

وقد أبطل شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تفسير استوى باستولى من عشرين وجهًا في رسالة مستقلة، وزاد عليها ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عشرين، فصارت أربعين وجهًا، وهذا في قصيدته النونية، كلها تُبطل تفسير استوى باستولى[2].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١/ ٣٠٣، ٣٠٤)، وتفسير ابن كثير (١/ ١٠٠)، وفتح الباري (٨/ ٣٠٤)، والدر المنثور (١/ ١٧٣).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ١٤٤)، وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته:

أُمِـرَ الـيَـهُـودُ بـأن يَـقُـولُـوا حِـطَّـةٌ ... فَـأبَـوا وَقَـالُـوا حِـنـطَـةٌ لِهَـوانِ
وَكَـذَلِـكَ الجـهـمِيُّ قِيلَ لَـهُ اسـتَوَى ... فَـأبَى وَزَادَ الحَـرفَ لِـلـنُّـقـصَـانِ
قَـالَ اسـتَوى اسـتولَى وَذَا مِـن جَهلِهِ ... لُـغَـةً وَعَـقـلاً مَـا هُـمَـا سِـيَّـانِ =

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**سُبْحَانَهُ قَدِ اسْتَوَى كَمَا وَرَدَ**) كَمَا وَرَدَ: يعني في القرآن والسنة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**مِنْ غَيْرِ كَيْفٍ**)؛ لأن كيفية الاستواء مجهولة؛ كما قال الإمام مالك: «الْكَيْفُ مَجْهُولٌ»، وهذا مجمع عليه؛ أن الكيفية لا يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، واستواء الله على عرشه ليس كاستواء المخلوق على المخلوق، لايعلم كيفيتها إلا هو، المخلوق إذا استوى على شيء، فهو محتاج إليه، وهذا الشيء يحمله؛ كما إذا استويت على الدابة، أو على السيارة، أو على السطح، فأنت محتاج إلى الذي تحتك، وهو يحملك، أما الله جَلَّ وَعَلَا، فهو ليس بحاجة إلى الخلق؛ لا إلى العرش، ولا إلى غيره، بل العرش محتاج إليه سُبْحَانَهُ، العرش لا يحمله سُبْحَانَهُ، ولا يقله، وإنما العرش والمخلوقات محتاجة إليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ [فاطر:٤١]، المخلوقات محتاجة إلى الله -العرش وغيره-، فالله ليس بحاجة إلى العرش؛ كما في استواء المخلوق على المخلوق، لكن نثبت هذا الاستواء لله كما أثبته لنفسه.

= عِشْرُونَ وَجهًا تُبطِلُ التَّأويلَ باسـ ... تولى فَلا تَخرُجِ عَنِ القُرآنِ
قَد أُفرِدَت بِمُصَنَّفٍ هُوَ عِندَنَا ... تَصنِيفُ حَبرٍ عَالِمٍ رَبَّانِي
وَلَقَد ذَكَرنَا أربَعِينَ طَرِيقَةً ... قَد أبطَلَت هَذَا بِحُسنِ بَيَانِ
هِيَ فِي الصَّوَاعِقِ إن تُرِد تَحقِيقَهَا ... لا تَختَفِي إلَّا عَلَى العُميَانِ
نُونُ اليَهُودِ وَلَامُ جَهمِيٍّ هُمَا ... فِي وَحيِ رَبِّ العَرشِ زَائِدَتَانِ

انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (٢/ ٢٦).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قَدْ تَعَالَى أَنْ يُحَدَّ)**، تعالى الله جَلَّوَعَلَا أن يُحد؛ يعني: أن يحاط به وبصفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال تعالى: ﴿**وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ**﴾ [البقرة:٢٥٥]، الله جَلَّوَعَلَا لا يحاط به، ولا بأسمائه، ولا بصفاته، ولا يعلمها إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فنحن نؤمن بها من غير تكييف ومن غير حد؛ أي: من غير إحاطة بها.

فَـلاَ يُحِـيـطُ عِـلْـمُـنَـا بِـذَاتِـهِ   كَـذَاكَ لَا يَـنْـفَـكُّ عَـنْ صِفَاتِهِ

الشَّـرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَلَا يُحِيطُ**) هذا تفسير لقوله: (قَدْ تَعَالَى أَنْ يُحَدَّ)، فلا يمكن أن يحاط به.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَلَا يُحِيطُ عِلْمُنَا بِذَاتِهِ**)، لا يحيط علمنا بذات الله جَلَّ وَعَلَا، كذلك لا يحيط علمنا بصفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالصفات تابعة للذات، فكما أنه لا يحيط علمنا بذاته، فإنه لا يحيط علمنا بصفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا يحدها؛ لعظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كَذَاكَ لَا يَنْفَكُّ عَنْ صِفَاتِهِ**)، لا ينفك جَلَّ وَعَلَا عن صفاته؛ يعني: أن صفاته ملازمة له، لا يخلو منها أبدًا، لا يأتي وقت يكون فيه الله جَلَّ وَعَلَا دون صفات، بل صفاته ملازمة لذاته، لابداية لها ولا نهاية لها؛ كذاته جَلَّ وَعَلَا.

أما الأفعال -كالنزول، والاستواء، والمجيء، والإتيان-، فهذه يفعلها إذا شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فعل في الماضي، ويفعل في المستقبل جَلَّ وَعَلَا، فصفات الأفعال قديمة النوع حادثة الآحاد، يفعلها متى شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أما صفات الذات -كالسمع، والبصر، والوجه، واليد، وغيرها من صفات الذات-، فهي ملازمة لذاته، لا تنفك عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أزلًا ولا أبدًا، أما الأفعال، فإنه يفعل إذا شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لَا يَنْفَكُّ عَنْ صِفَاتِهِ)**، هذا فيه إجمال، إن كان يريد صفات الذات، فنعم لا ينفك عن صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا يزال سميعًا بصيرًا عليمًا حكيمًا، أما الأفعال، فإنها يفعلها إذا شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، وقال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤]، يخلق، ويرزق، ويحيي، ويميت، ويتكلم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ متى شاء، وكيف شاء.

فَكُلُّ مَا قَدْ جَاءَ فِي الدَّلِيلِ فَثَابِتٌ مِنْ غَيْرِ تَمْثِيلِ

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَكُلُّ مَا قَدْ جَاءَ فِي الدَّلِيلِ)، هذه هي القاعدة: (مَا جَاءَ فِي الدَّلِيلِ)، أنت لا تثبت لله شيئًا لم يرد به دليل في كتاب الله وسنة رسوله من الأسماء والصفات والأفعال، لا تثبت لله شيئًا لم يرد به دليل من الكتاب والسنة، ولهذا يقولون: (هي توقيفية)، ولذلك أنكرنا على الناظم قوله: (وَلَيْسَ رَبُّنَا بِجَوْهَرٍ وَلَا عَرَضٍ وَلَا جِسْمٍ)؛ لأن هذه الألفاظ ما وردت بالدليل، وهي خارجة عن القاعدة، فنحن نفيناها، واستنكرناها، فالواجب اتباع الدليل في أسمائه وصفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأنه أعلم بنفسه، ورسوله أعلم الخلق به، وأما نحن، فلا نقول إلا ما جاءنا عن الله أو عن رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نتبع الدليل في هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَثَابِتٌ مِنْ غَيْرِ تَمْثِيلِ)، ثابت لله عَزَّ وَجَلَّ كل ما جاء به دليل من كتاب الله أو سنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأسماء والصفات، فإنه ثابت، نثبته لله، ننفي عنه ما نفاه عن نفسه سُبْحَانَهُ -من المثل، والشبيه، والظهير، والمعين، والوزير-، ننفي عنه كل ما نفاه عن نفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ونثبت له ما أثبته لنفسه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مِنْ غَيْرِ تَمْثِيلِ)، من غير أن نمثل الله جَلَّ وَعَلَا، نثبت الأسماء والصفات، ولا نمثلها بأسماء وصفات خلقه، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، فلا نمثل، ولا نغلو

في الإثبات، ونقول: (هي مثل كذا، ومثل كذا)، بل نقول: (نثبتها، ولكن نؤمن أنه لا يشبهها شيء من صفات المخلوقين)، وهذا معنى قولهم: (إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل)؛ لأننا بين فرقتين ضالتين:

فرقة غلت في التنزيه، حتى نفوا أسماء الله وصفاته، بزعمهم أنهم ينزهون الله عن مشابهة المخلوقين، والتنزيه حق، لكن من غير غلو.

والطائفة الثانية: غلت في الإثبات، حتى شبهت الله بخلقه.

وأهل السنة والجماعة توسطوا، فأثبتوا لله ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من غير تمثيل أوتشبيه، ونزهوه عن مشابهة المخلوقين تنزيهًا بلا تعطيل.

هذه قاعدة عظيمة: تنزيه بلا تعطيل، وإثبات بلا تمثيل. من أين أخذنا هذه القاعدة؟ من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، الآية فيها نفي، وفيها إثبات، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ نفت المثلية، وأثبتت الأسماء والصفات ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

مِنْ رَحْمَةٍ وَنَحْوِهَا كَوَجْهِهِ وَيَدِهِ وَكُلِّ مَا مِنْ نَهْجِهِ
وَعَيْنُهُ وَصِفَةُ النُّزُولِ وَخَلْقُهُ فَاحْذَرْ مِنَ النُّزُولِ

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مِنْ رَحْمَةٍ) الله جَلَّ وَعَلَا وصف نفسه بالرحمة: ﴿فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾ [الأنعام:١٤٧]، ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦]، ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف:٣٢]، ووصف نفسه بالرحمة، وسمى نفسه بالرحمن الرحيم، فنحن نثبت لله الرحمة؛ كما أثبتها لنفسه، ولكن ليست كرحمة المخلوق، المخلوق يرحم، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ»(١)، والله جَلَّ وَعَلَا يرحم، لكن ليست رحمة المخلوق مثل رحمة الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وقال تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [البينة:٨]، الله يرضى، ويوصف بالرضا، والمخلوق -أيضًا- يوصف بالرضا، ولكن يوجد فرق بين رضا الخالق ورضا المخلوق.

الله جَلَّ وَعَلَا يغضب، ويسخط، ويمقت، ويكره، كل هذا ثابت لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والمخلوق كذلك يغضب، ويمقت، ويسخط، ويكره، لكن مع الفرق بين صفات الخالق وصفات المخلوقين.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤)، والإمام أحمد في المسند (٢/ ١٦٠) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال أبو عيسى: (هذا حديث حسن صحيح).

الله جَلَّ وَعَلَا له وجه، قال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨]، والمخلوق له وجه، والوجه من صفات الذات، لكن مع الفرق بين وجه المخلوق ووجه الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا يشبه هذا هذا.

الله جَلَّ وَعَلَا له يد، قال تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح:١٠]، وله يدان، قال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، والمخلوق له يدان، ولكن مع الفرق بين صفات الخالق وصفات المخلوق؛ أننا نثبت لله ما أثبته لنفسه من صفات الأفعال وصفات الذات، وننزهه جَلَّ وَعَلَا عن مشابهة صفات المخلوقين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَكُلِّ مَا مِنْ نَهْجِهِ)**؛ أي: كل ما ورد بهذا المعنى من الأسماء والصفات -صفات الذات، وصفات الأفعال-، فإننا نثبتها لله عَزَّ وَجَلَّ، ولا نتوقف فيها كما توقف فيها أو نفاها أهل الضلال وأهل الجهل بالله عَزَّ وَجَلَّ، نحن نؤمن بكتاب الله وبسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبما جاء فيهما، نؤمن بذلك، ولا نتوقف في الإيمان بما في الكتاب والسنة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَعَيْنُهُ)** جاء إثبات العين لله بالإفراد؛ كما في قوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه:٣٩]، وجاء بلفظ الجمع، قال: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر:١٤]، يعني بمرأى منا وكلاءة وحفظ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هو الذي يسيرها فوق الأمواج، ويحفظها؛ فهي تجرى بمرأى من الله سُبْحَانَهُ، جاء الإفراد بالنسبة للإضافة إلى مفرد، والجمع بالنسبة للإضافة إلى ضمير الجمع، والله جَلَّ وَعَلَا

له عينان؛ كما في حديث الدجال: «**أَلَا إِنَّه أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ**»[(١)]، والأعور من ليس له إلا عين واحدة، والله جَلَّوَعَلَا له عينان؛ يبصر بهما، ويرى بهما، ولا يحجبهما شيء من خلقه: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:٤٦].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَصِفَةُ النُّزُولِ**) النزول من صفات الأفعال، العين من صفات الذات، والنزول إلى سماء الدنيا هذا من صفات الأفعال؛ كما تواتر الحديث أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ**»، «**أو الثلث الأوسط**»، جاء بهذا وهذا؛ الثلث الأوسط أو الثلث الآخر، «**يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَه، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**»[(٢)]، فهذا الوقت وقت النزول الإلهي[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٣١)، ومسلم -واللفظ له- (١٠١) (٢٩٣٣) من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) حديث النزول: رواه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨)، وهذا لفظ البخاري، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أما بالنسبة لاختلاف الروايات في تعيين الوقت، فقد قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٣/ ٣١): (قوله: «**حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ**» برفع الآخر؛ لأنه صفة الثلث، ولم تختلف الروايات عن الزهري في تعيين الوقت، واختلفت الروايات عن أبي هريرة وغيره، قال الترمذي: رواية أبي هريرة أصح الروايات في ذلك، ويقوي ذلك أن الروايات المخالفة اختُلف فيها على رواتها.

وسلك بعضهم طريق الجمع، وذلك أن الروايات انحصرت في ستة أشياء:

أولها: هذه.

ثانيها: إذا مضى الثلث الأول.

ثالثها: الثلث الأول أو النصف.

رابعها: النصف. =

فينبغي للمسلم أن يستيقظ في هذا الوقت، ويصلي، ويسأل الله عَزَّوَجَلَّ، ويدعوه، ويرفع حوائجه إليه؛ لأنه قريب مجيب. وقد وعد أنه سيستجيب له، وهو لا يُخلف وعده. فلا ينبغي للإنسان أن يصير كالجيفة تفوت عليه هذه المواسم العظيمة كل ليلة.

والشاهد منه: نزول الله جَلَّوَعَلَا إلى سماء الدنيا، صفة فعل مثل الاستواء على العرش، نثبته، لكن لا نعلم كيفيته؛ كيف ينزل؟

الله أعلم، لكن نثبت أنه ينزل سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ نزولًا يليق بجلاله، ليس هو كنزول المخلوق عن المخلوق، حاشا وكلا؛ نزول الله جَلَّوَعَلَا يليق بجلاله

= **خامسها**: النصف أو الثلث الأخير.

سادسها: الإطلاق.

فأما الروايات المطلقة فهي محمولة على المقيّدة، وأما التي بـ(أو) فإن كانت (أو) للشك فالمجزوم به مقدّم على المشكوك فيه، وإن كانت للتردّد بين حالين فيجمع بذلك بين الروايات بأن ذلك يقع بحسب اختلاف الأحوال لكون أوقات الليل تختلف في الزمان وفي الآفاق باختلاف تقدّم دخول الليل عند قوم وتأخره عند قوم. وقال بعضهم: يحتمل أن يكون النّزول يقع في الثلث الأول، والقول يقع في النصف وفي الثلث الثاني. وقيل: يحمل على أن ذلك يقع في جميع الأوقات التي وردت بها الأخبار، ويحمل على أن النبي صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أعلم بأحد الأمور في وقت فأخبر به، ثم أعلم به في وقت آخر فأخبر به، فنقل الصحابة ذلك عنه، والله أعلم).اهـ. وانظر: شرح حديث النزول لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ.

وأحاديث النزول متواترة، قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٥/ ٤٧٠): (هو حديث متواتر عند أهل العلم بالحديث). اهـ.

وقال ابن القيم كما في الصواعق المرسلة (١/ ٣٨٧): (إنها وردت من نحو ثلاثين صحابيًّا) اهـ.

وقال الذهبي كما في العلو (ص ١٠٠): (وقد ألفتُ أحاديث النزول في جزء، وذلك متواتر أقطع به) اهـ، وأورد جملة كبيرة منها ابن خزيمة في كتاب التوحيد (١/ ٢٩١-٣٢٧).

وعظمته، ولا يعلم كيفيته إلا الله، لكن نثبت أن الله جَلَّ وَعَلَا ينزل إلى سماء الدنيا كل ليلة، خلاف أهل الضلال الذين يقولون: (ينزل أمره)، هل أمره يقول: هل من سائل فأعطيه؟! هل الأمر يعطي؟ هل من داعٍ، فأستجيب له؟ هل الأمر يُدعى، هل هو يستجيب؟ هل من مستغفر؟ هل الأمر يُستغفر؟ يا سبحان الله! أين العقول؟!

هذا دليل على أن الذي ينزل هو الله جَلَّ وَعَلَا، وهو الذي يتكلم، ويقول كذا وكذا، وهو الذي وعد بهذا، فهذا حق على حقيقته لا نرتاب فيه، ولا نشك فيه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَخَلْقُهُ)**؛ أي: وكذلك يخلق سُبْحَانَهُ: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ [الزمر:٦٢]، ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [الزمر:٣٨]، ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الصافات:٩٦]، ﴿ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [فاطر:٣]، ﴿ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴾ [الرعد:١٦].

فمن صفاته سُبْحَانَهُ أنه يخلق، والخلق صفة فعل، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُ ﴾ [الحشر:٢٤]، من أسمائه الخالق، ومن صفاته الخلق، وهي صفة فعل، لا يزال يخلق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويرزق، ويحيي، ويميت، ويدبر، لا حد لأفعاله سُبْحَانَهُ، لا بداية ولا نهاية لها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَاحْذَرْ مِنَ النُّزُولِ)**، احذر من النزول عن الحق، احذر أن تنزل من الحق إلى الباطل، فتخوض في أسماء الله وصفاته بغير علم! هذا نزولٌ وانحطاط، وأما الإيمان بالله وأسمائه وصفاته، فهو سمو وارتفاع، احذر أن تنزل من السمو والارتفاع والتوحيد إلى الشرك والتمثيل والتعطيل!!

فَسَائِرُ الصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ قَدِيمَةٌ لِلَّهِ ذِي الْجَلَالِ

الشَّرْح

إطلاقه أن سائر الأسماء والصفات قديمة هذا إجمال لا يجوز، بل فيه تفصيل، أما صفات الذات، فهي قديمة، لا بداية لها ولا نهاية، وأما صفات الأفعال، فهي قديمة النوع حادثة الآحاد والأفراد؛ قديمة النوع بمعنى: أن الله يخلق ويرزق بدون حد، لا بداية ولا نهاية، قديمة النوع يعني: الجنس، وأما آحاد الخلق والفعل، فالله جَلَّ وَعَلَا يفعل ما يشاء إذا شاء، الآحاد حادثة، وأما نوع الفعل، فهو قديم.

الله جَلَّ وَعَلَا كلَّم الأبوين: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا﴾ [الأعراف:٢٢]، هذا كلام حادث في وقته، ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤]، هذا حادث في وقت تكليمه لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، سمع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كلامه وخطابه، ولذلك سمي موسى بالكليم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهذه مرتبة لم ينلها غيره، وهي أن الله كلمه بدون واسطة، ولذلك سمي بكليم الله، وهذا تكليم حادث في وقته.

وكلَّم نبينا محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة المعراج، وكلَّم جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بالوحي، وكلمه بالقرآن، فأفعال الله جَلَّ وَعَلَا تتجدد، وليست قديمة مطلقة، قديمة النوع، لكنها حادثة الأفراد والآحاد، فقول الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ: (إن صفاته قديمة على الإطلاق) هذا خطأ؛ لابد من التفصيل فيه.

لَكِنْ بِلَا كَيْفٍ وَلَا تَمْثِيلِ رَغْمًا لِأَهْلِ الزَّيْغِ وَالتَّعْطِيلِ

الشَّرْح

هذه هي القاعدة أننا نثبت أسماء الله وصفاته الذاتية والفعلية إثباتًا بلا تمثيل؛ يعني: لا نغلو في الإثبات كما غلت الممثلة، ولا نغلو في التنزيه، بل ننزهه عن صفات المخلوقين تنزيهًا بلا تعطيل، لا نفعل كما فعلت الجهمية والمعتزلة، الذين جعلوا من التنزيه نفي الأسماء والصفات، وزعموا أن إثبات الأسماء والصفات يقتضي التشبيه والتمثيل، فنحن نتبرأ من طريقتهم، نثبت بلا تمثيل، وننزه بلا تعطيل. هذه هي القاعدة العظيمة في الأسماء والصفات، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة، وهو الوسط بين الإفراط والتفريط.

وأهل السنة والجماعة -ولله الحمد- وسط في كل أمور الدين؛ لا غلو ولا تساهل، لا إفراط ولا تفريط، هذا ما عليه أهل السنة والجماعة؛ الوسطية كما أن الأمة وسط بين الأمم: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة:١٤٣]، فأمة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسط بين الأمم؛ أي: عدل خيار، وليس عندها غلو، وليس عندها تفريط، فهي متوسطة. كذلك أهل السنة والجماعة وسط بين الفرق؛ بين فرق التعطيل وفرق التمثيل، أو فرق الغلو وفرق التساهل، في أبواب كثيرة أهل السنة وسط -ولله الحمد-، في كل ما اختلف فيه الناس أهل السنة هداهم الله إلى الحق والوسط: ﴿ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة:٢١٣]،

مستقيم: معتدل ليس فيه انحراف بزيادة، ولا فيه انحراف بنقص، وإنما هو صراط مستقيم معتدل.

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**رَغْمًا لِأَهْلِ الزَّيْغِ وَالتَّعْطِيلِ**)؛ من طائفتي الممثلة والمعطلة، نحن نراغمهم ونخالفهم، فنثبت ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات؛ خلافًا للمعطلة، وننزه الله جَلَّ وَعَلَا عن صفات المخلوقين وأسماء المخلوقين؛ خلافًا للمشبهة والممثلة.

❁❁❁

فَمُرَّهَا كَمَا أَتَتْ فِي الذِّكْرِ مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ وَغَيْرِ فِكْرٍ

الشَّرْح

أَمِرّ الأسماء والصفات كما أتت في الذكر؛ يعني: في القرآن، فنحن نُمر ما جاء في الكتاب والسنة من الأسماء والصفات كما جاء بلفظها ومعناها، نمرها بلفظها ومعناها، لا نُحرف لفظها، ولا نؤول معناها، بل نمرها كما جاءت، وليس معنى نمرها أننا نمر اللفظ، ونفوض معناه إلى الله؛ كما هو مذهب المفوضة، الذين يقولون: (نمر لفظها، ونكل معناها إلى الله)، هذا تفويض، بل نحن نمر لفظها، ولا نحرفه، ونؤمن بمعناها، ولا نفوض كما تقوله المفوضة؛ لأن من فوَّض، فقد عطَّل وشبَّه، فنحن -ولله الحمد- نمرها؛ أي: نقرؤها، ونثبتها كما جاءت في كتاب الله، لا نغير شيئًا من لفظها كما غيَّر من قال: (استوى بمعنى استولى)، أو نغير معناها، فنقول: (اليد بمعنى القدرة، والوجه بمعنى الذات، والرحمة بمعنى إرادة الإنعام)، إلى غير ذلك من التأويلات، أو نقول: (جاء ربك؛ أي: جاء أمره، ينزل ربنا؛ أي: ينزل أمره)، كما يقوله الذين حرفوا معناها، ومنهم من حرَّف لفظها.

وَيَسْتَحِيلُ الْجَهْلُ وَالْعَجْزُ كَمَا قَدِ اسْتَحَالَ الْمَوْتُ حَقًّا وَالْعَمَى
فَكُلُّ نَقْصٍ قَدْ تَعَالَى اللهُ عَنْهُ فَيَا بُشْرَى لِمَنْ وَالاهُ

الشَّرْح

يستحيل في حق الله جَلَّوَعَلَا الجهل، فالله جَلَّوَعَلَا عالم بكل شيء، والجهل نقص ينزه الله عنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: **(وَالْعَجْزُ)** ينزه الله عنه؛ لأن له القدرة التامة جَلَّوَعَلَا، لا يعجزه شيء.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: **(وَالْعَمَى)**؛ يعني: عدم البصر، والله جَلَّوَعَلَا سميع بصير.

وقوله رَحِمَهُٱللَّهُ: **(قَدِ اسْتَحَالَ الْمَوْتُ حَقًّا)**؛ أي: كما استحال على الله الموت، فهو ﴿ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨]، لا يعتريه موت، بل لايعتريه سنة ولا نوم: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة:٢٥٥]، لا يعتريه سنة ولا نوم، لا يعتريه الموت الأصغر، وهو النوم، والموت الأكبر، وهو عدم الحياة، والله جَلَّوَعَلَا لا يزال حيًّا، ولم يزل حيًّا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، لا يعتري حياته نقص ولا زوال.

كل نقص فإن الله جَلَّوَعَلَا منزه عنه، بعد أن ذكر الناظم أمثلة النقص، وهي: (الْعَجْزُ) و(الْعَمَى)، أجمل، فقال: (فَكُلُّ نَقْصٍ)، من هذه الأوصاف المذكورة ونحوها قد نزه الله جَلَّوَعَلَا نفسه عنه؛ لأن له الكمال المطلق.

وقوله رَحِمَهُٱللَّهُ: **(فَيَا بُشْرَى لِمَنْ وَالَاهُ)**؛ أي: يتحقق حصول البشرى والسرور لكل من والاه الله؛ أي: صار له وليًّا، أو والى هو الله، أي: اعتمد عليه، وفوض جميع أموره إليه.

فصل

فِي ذِكْرِ الْخِلَافِ فِي صِحَّةِ إِيمَانِ الْمُقَلِّدِ فِي الْعَقَائِدِ

وَكُلُّ مَا يُطْلَبُ فِيهِ الْجَزْمُ ... فَمَنْعُ تَقْلِيدٍ بِذَاكَ حَتْمُ

الشَّرْح

هذا الفصل في مسألة الاعتقاد: هل يجوز فيه التقليد أو لا يجوز؟

وهذه مسألة مهمة جدًّا، فعلماء الكلام يقولون: (إنه لا يجوز التقليد في أمور العقيدة، بل لا بد من النظر والاستدلال بالأدلة العقلية)؛ لأن الأدلة العقلية عندهم تفيد اليقين، وأما الأدلة السمعية -وهي أدلة الشرع عندهم-، فإنها لا تفيد اليقين؛ ولذلك يوجبون على الخلق النظر في الأدلة العقلية حتى يتوصلوا إلى الاعتقاد الجازم.

وهذا القول لا شك أنه باطل؛ لأن أمور العقيدة أغلبها أو كلها من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والعقل لا يتوصل إلى أمور الغيب، وإنما يُعتمد على أخبار الشرع التي نزلت بها الكتب، وجاءت بها الرسل، وهي تفيد اليقين والجزم؛ لأنها من عند الله عَزَّ وَجَلَّ، أو من عند رسل الله، وهم أعلم بالله سُبْحَانَهُ، فالاعتماد عند أهل العلم في العقيدة على أدلة الشرع، وأما أدلة العقل، فلا يُعتمد عليها اعتمادًا كليًا، بل يستفاد منها، لكن لا يُقتصر عليها في إثبات العقيدة؛ لأن العقل قاصر وعاجز عن إدراك الأمور كلها، وإنما يُعتمد على كلام الله جَلَّ وَعَلَا وكلام رسوله في أمور العقيدة.

وأما التقليد[١]: فهو قبول قول الغير من غير دليل[٢]، يعني من غير أن يطلب المقلد الدليل؛ لأن المقلد لا يعرف الدليل، وإنما يقلد غيره.

والتقليد على قسمين:

تقليد بمعنى الاتباع والاقتداء، وهذا يكون اقتدءًا بأهل العلم والبصيرة، الذين يجوز تقليدهم والاقتداء بهم إذا كانوا علماء محققين؛ لأن يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ [يوسف:٣٨]، فالاقتداء والاتباع إذا كان على حق، فإنه صحيح، وهو حق، أما الاقتداء بعلماء الضلال، فلايجوز لا في أمر العقيدة ولا في غيرها، بل هذا هو التقليد الأعمى، أما التقليد الصحيح الذي يكون في اتباع أهل الحق وأهل العلم، فهذا لا بأس به، ثم -أيضًا- العوام لا يستطيعون معرفة تفاصيل العقيدة، وإنما هذا من شأن العلماء، أما العوام، فيُكتفى منهم بالاعتقاد المجمل، وأما التفاصيل، فهي من شأن أهل العلم؛ ولهذا كان الناس يسلمون على عهد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالنطق بالشهادتين، ويقبل صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منهم ذلك، ولا يطالبهم بذكر تفاصيل العقيدة، وإنما يكتفي منهم بالشهادتين، فيكفي من العامي المسلم الاعتقاد المجمل، وأما العالم، فلابد أن يعرف تفاصيل العقيدة، فالناس مختلفون في

---

(١) انظر معنى التقليد لغة في: معجم مقاييس اللغة (٥/ ١٩)، ولسان العرب (٣/ ٣٦٦)، والقاموس المحيط (١/ ٣٢٩)، و المصباح المنير (ص ٥١٢).

(٢) انظر معنى التقليد اصطلاحًا في: روضة الناظر (٢/ ٣٨٠)، والعدة في أصول الفقه للقاضي لأبي يعلى (٤/ ١٢١٦)، والبرهان للجويني (١/ ٢٣)، و الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٤/ ٢٢١)، ومجموع الفتاوى (٣٥/ ٢٣٣)، ومذكرة الشنقيطي (ص٣١٤)، وأضواء البيان (٧/ ٤٨٥، ٤٨٦).

هذا الأمر، ليسوا على حد سواء في الاستعداد والمعرفة: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

فالعقيدة: هي الجزم بالشيء، فإذا جزم الإنسان بالشيء، فقد اعتقده، ويُعبر عن الجزم بالاقتناع، إذا اقتنع وجزم، فهذا هو الاعتقاد، هو الجزم والاقتناع، وليس الاعتقاد هو النظر بالأدلة الكلامية وعلم المنطق؛ كما يقولون.

فقول الناظم: (**وَكُلُّ مَا يُطْلَبُ فِيهِ الجَزْمُ فَمَنْعُ تَقْلِيدٍ بِذَاكَ حَتْمُ**) ليس على إطلاقه؛ لأن التقليد يجوز للعامي الذي لا يتوصل إلى تفاصيل مسائل العقيدة، فيجوز أن يُقلد فيها.

لِأَنَّــــهُ لَا يُـكْـتَـفَـى بِـالـظَّـنِّ ... لِذِي الْحِجَى فِي قَوْلِ أَهْلِ الْفَنِّ
وَقِيلَ يَكْفِي الْجَـزْمُ إِجْمَـاعًـا بِمَا ... يُطْـلَـبُ فِيهِ عِنْدَ بَعْضِ الْعُلَمَا
فَـالْجَـازِمُـونَ مِـنْ عَـوَامِّ الْبَشَرِ ... فَمُـسْـلِمُـونَ عِـنْـدَ أَهْـلِ الْأَثَــرِ

الشَّرْح

هذا كله على اصطلاح أهل الكلام، الظن، عندهم الأمور ثلاثة: الشك والظن واليقين.

أما الشك: فهو التردد بين أمرين، لا مرجح لأحدهما على الآخر[(١)].

والظن: هو التردد بين أمرين، أحدهما أرجح من الآخر[(٢)].

واليقين: هو الشيء الذي ليس فيه احتمال ولا تردد، وإنما هو جزم[(٣)]، وهذا هو المطلوب في العقيدة، الجزم لا الشك ولا الظن، وكلٌّ على حسب حاله، فإذا توصل الإنسان إلى اليقين والجزم في نفسه، فإنه يكفي هذا، هذا قول في المسألة، هذا القول الثاني، وهو الصحيح.

---

(١) انظر: التحقيق والبيان في شرح البرهان في أصول الفقه (٣/ ٧٠٦)، والبحر المحيط في التفسير (١/ ٤٤٥)، وتقريب الوصول إلي علم الأصول (١/ ١٤١)، وتحفة المحتاج (٢/ ١٨٧)، وشرح منتهى الإرادات (٣/ ١٤٢).

(٢) انظر: المجموع شرح المهذب (١٧/ ٢٤٨)، وتقريب الوصول إلي علم الأصول (١/ ١٤١)، والحدود الأنيقة (١/ ٦٧)، وانظر في الفرق بين الظن والشك: معجم الفروق اللغوية (١/ ٣٠٣).

(٣) انظر: المجموع شرح المهذب (١٧/ ٢٤٨)، والحدود الأنيقة (١/ ٦٨)، وحاشية اللبدي على نيل المآرب (٢/ ٣٣٢).

فالعوام لا يُطلب منهم مثل ما يُطلب من العلماء، بل يُكتفى منهم بالاعتقاد المجمل، وأما العلماء، فيطلب منهم النظر في تفاصيل العقيدة ومسائلها. والعوام مسلمون، ولو كان اعتقادهم مجملًا، وإسلامهم صحيح، لا غبار عليه عند أهل الأثر، وكفى بهم حكمًا في مثل هذا الأمر!

البَابُ الثَّانِي

فِي الْأَفْعَالِ الْمَخْلُوقَةِ

الشَّرْح

أفعال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وأفعال العباد كلها مخلوقة؛ لأنها توجد بعد أن لم تكن، لكن أفعال الله جَلَّوَعَلَا كما سبق قديمة النوع وحادثة الآحاد، قديمة النوع بمعنى أن الله ما زال ولم يزال يفعل سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، لا بداية لأفعاله؛ كما أنه لا بداية لذاته وصفاته، فأفعاله مثل سائر صفاته، لا بداية لها.

أما علماء الكلام، فإنهم يحددون بداية أفعال الله، ويقولون: (إنه صار يفعل بعد أن لم يكن يفعل)، ولا يقولون بقدم أفعاله؛ لأنهم يخافون من مشاركة الله في القدم.

فيقال: هذا باطل؛ لأن الفعل صفة كمال، لا يُعطل الله عن فعله وكماله في وقت من الأوقات، ولا بداية لجنس أفعاله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ فهي قديمة النوع وحادثة الآحاد، بدليل أننا نرى الأشياء تحدث بعد أن لم تكن، نرى الأشياء تتجدد وتحدث بعد أن لم تكن موجودة، هذا دليل على أن أفعال الله تتجدد أعيانها، وأما جنسها، فهو قديم بقدم الله جَلَّوَعَلَا وأزلي بأزليته.

وَسَائِرُ الأَشْيَاءِ غَيْرُ الذَّاتِ وَغَيْرُ مَا الأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ
مَخْلُوقَةٌ لِرَبِّنَا مِنَ الْعَدَمِ وَضَلَّ مَنْ أَثْنَى عَلَيْهَا بِالْقِدَمِ

الشَّرْح

الله جَلَّوَعَلَا بذاته وأسمائه وصفاته أزلي قديم، ليس له بداية، وقد قال رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ**»[1]، فهو بأسمائه وصفاته قديم أزلي سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ومن ذلك جنس الأفعال، فهو قديم، وأما أعيانها وأفرادها، فإنها محدثة بعد أن لم تكن. وهذا بخلاف قول الفلاسفة الذين يقولون بقدم العالم بأعيانه، أما أهل الحق، فيقولون: (العالم ليس قديمًا، وإنما هو مُحدث مخلوق، وهو من أفعال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ)، فليس العالم قديمًا بأعيانه -كما تقوله الفلاسفة.

قال رَحِمَهُٱللَّهُ: (**مَخْلُوقَةٌ لِرَبِّنَا مِنَ الْعَدَمِ وَضَلَّ مَنْ أَثْنَى عَلَيْهَا بِالْقِدَمِ**)، بل كل شيء سوى الله وأسمائه وصفاته، فإنه مخلوق، محدث بعد أن لم يكن، أوجده الله جَلَّجَلَالُهُ من العدم، وضل من أثنى على آحاد الأفعال بالقدم، وهم الفلاسفة الذين يقولون بقدم العالم، وأنه ليس بمحدث، وكيف يكون المخلوق والمحدث قديمًا، وقد خلق من العدم بعد أن لم يكن -سبحانك هذا بهتان عظيم! من قال به، فإنه من الضالين.

---

(١) سبق تخريجه (ص ١٩).

وَرَبُّــنَــا يَخْـلُــقُ بِـاخْـتِـيَـارِ   مِـنْ غَـيْرِ حَـاجَـةٍ وَلَا اضْـطِـرَارِ

الشَّرْح

لا يزال الله جَلَّ وَعَلَا يخلق ويرزق، ويحيي ويميت، ويدبر باختياره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص:٦٨]، يختار من يشاء، ويميزه على غيره، هناك مخلوقات ميزها الله على غيرها، فالمخلوقات ليست سواء، مثلًا اختار الله جَلَّ وَعَلَا مكة البيت الحرام على سائر المخلوقات، واختار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على غيرهم، ويميز بعضهم على بعض، ويختار سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من الأوقات ومن الأمكنة ومن الأشخاص، ويميز بعض المخلوقات على بعض، ويميز بعض الأمكنة على بعض، ويميز بعض الأزمنة على بعض، كشهر رمضان وليلة القدر ويوم الجمعة على غيرها من الأزمان، ويختار الأشخاص -أيضًا-، ويميز بعضهم على بعض، اختار الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، واصطفاهم على غيرهم، وفضل الرسل بعضهم على بعض، هذا كله من أفعال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هذا معنى يختار بمعنى يميز بعض الأشياء على بعض.

ومراد الناظم في قوله: (بِاخْتِيَارِ)؛ يعني: إنه يفعل بغير إجبار؛ أي: أنه غير مجبر على الفعل، وإنما يفعل بإرادته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج:١٦]، فهو لا يُجبر على فعله جَلَّ وَعَلَا، وإنما يفعل بإرادته ومشيئته.

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ وَلَا اضْطِرَارِ)**، من غير حاجة إلى الخلق، وإنما الخلق هم الذين يحتاجون إلى الله جَلَّ وَعَلَا، فهو لم يخلقهم من أجل أن

ينفعوه، أو من أجل أن يعينوه، أو يساعدوه، هو غني عنهم، وغني عن كل شيء، وكل شيء محتاج إلى الله جَلَّ وَعَلَا، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥]، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ غني عن خلقه كلهم، غني عن السماوات والأرض وعن العرش وعن المخلوقات كلها، لم يخلقها لحاجة، وإنما خلقها لمصالح عباده، وخلقها لحكمة لا لحاجة.

لَكِنَّهُ لا يَخْلُقُ الْخَلْقَ سُدَى ... كَمَا أَتَى فِي النَّصِّ فَاتْبَعِ الْهُدَى

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لَكِنَّهُ لا يَخْلُقُ الخَلْقَ سُدًى)**؛ يعني: من غير حكمة، وإنما خلقهم لحكمة؛ كما قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون:١١٥]، وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة:٣٦]، لم يخلق الله جَلَّ وَعَلَا خلقه عبثًا من غير حكمة، بل خلقهم لحكمة عظيمة، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص:٢٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران:١٩٠-١٩١]، لم يخلق الله هذه المخلوقات لأنه محتاج إليها، بل هو الغني سُبْحَانَهُ، وهي المحتاجة إليه، ولم يخلقها عبثًا من غير حكمة، بل خلقها لحكمة؛ لتدل على قدرته سُبْحَانَهُ وعلمه وحكمته وقوته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذه المخلوقات تدل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، إن في ذلك ﴿لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ آيات: يعني دلالات، تدل على عظمة الله جَلَّ وَعَلَا، وعلى قدرته، وعلى حكمته، وعلى علمه، وعلى إحاطته بكل شيء، فهي تدل على صفات الله جَلَّ وَعَلَا، هذا من أعظم الحكمة؛ أنها تستدل بها العقول على الله جَلَّ وَعَلَا؛ لأن كل مخلوق لا بد له من خالق، وكل مُوجَد لا بد له من مُوجِد، وكل مُحدَث لابد له من مُحدِث، هذا دليل

فطري عقلي سمعي؛ أن كل مخلوق لابد له من خالق، ما خُلِق من غير شيء، فهي تدل على عظمة الله وقدرته، وكذلك خلقها لمصالح عباده، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة:٢٩]، وكذلك تدل على استحقاقه للعبادة، إن الذي خلق هذه الأشياء هو المستحق للعبادة، أما الذي لا يخلق، فلا يستحق العبادة: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ [الأعراف:١٩١]. ثم أيضًا خلق هذه المخلوقات، وأوجدها؛ لتدل على اليوم الآخر، فالذي خلق هذه المخلوقات وبدأها من عدم، أليس بقادر على إعادة الخلق وبعثهم يوم القيامة ومجازاتهم على أعمالهم؟!

إنهم يعملون في هذه الدنيا، بعضهم يعمل بالكفر والمعاصي والفسق، وبعضهم يعمل بالاستقامة، يموتون جميعًا، فلولم يبعثوا للجزاء على أعمالهم، فإنه لا نتيجة لأعمالهم، هذا وصف لله بالعبث، بل لابد أن يبعثهم، وأن يجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، وإلا لو تُركوا بدون جزاء، وأنهم يعملون ما يشاؤون في هذه الدنيا، ويموتون، لكان هذا عبثًا، والله منزه عن العبث، قال تعالى: ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [القلم:٣٥-٣٦]، وقال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية:٢١]، فأفعال الخلق لن تذهب سدى، لابد أنهم يجازون بها، ولا نراهم يجازون في هذه الدنيا، فدل على أن هناك دار جزاء غير هذه الدنيا.

أَفْعَالُنَا مَخْلُوقَةٌ لِلّهِ   لَكِنَّهَا كَسْبٌ لَنَا يَا لَاهِي

الشَّرْح

أفعال العباد هي خلق لله، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الزمر:٦٢]، فيدخل فيه أفعال العباد، فهي شيء يدخل في خلق الله جَلَّوَعَلَا: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات:٩٦]؛ يعني: وخلق ما تعملون، وهي كسب لهم، هي خلق الله، وهي كسب العباد، وفعلهم حقيقة؛ لأن العباد اكتسبوها باختيارهم وإرادتهم ومشيئتهم، أعطاهم الله اختيارًا، وأعطاهم مشيئة، وأعطاهم عقلًا وتفكيرًا، وبيَّن لهم طريق الحق من طريق الضلال، بيَّن لهم النافع والضار، فالعبد هو الذي يقدم على فعل الخير أو فعل الشر باختياره، وهذا لا يتنافى مع أن الله قدَّر ذلك وخلقه، فهي خلق الله، وهي فعل العبد واكتساب العبد، ولذلك يثاب على الطاعة، ويعاقب على المعصية؛ لأنها صادرة عن إرادته وعن اختياره وعن مشيئته، فهو يقدر أن يصلي، ويقدر أن يصوم، ويقدر أن يعمل الصالحات، ويقدر على ترك الصلاة، وعلى ترك الصيام، وعلى فعل الفواحش، يقدر على هذا، غير مُجبر ولا مُكره، ولا يفعل بدون عقل، بل عقله معه، هو ليس مجنونًا، ولذلك المجنون لا يؤاخذ، وكذلك المُكره لا يؤاخذ؛ لأنه ليس لهما اختيار ولا مشيئة، أما الإنسان العاقل المختار، فهذا يؤاخذ.

فهذا فيه رد على الجبرية الذين يقولون: (إن العبد مُجبر، وليس له اختيار ولا مشيئة، وإنما هو يُحرك كالآلة بيد المحرك لها)، هذا قول الجبرية الذين

يغلون في إثبات أفعال الله جَلَّوَعَلَا، ويقابلهم القدرية، وهم المعتزلة الذين يغالون في إثبات القدرة للعبد، وأنه يستقل بفعله، ويقولون: (إن الله لم يخلق أفعال العباد، وليس له فيها إرادة ولا مشيئة، وإنما العباد هم الذين يخلقون أفعالهم استقلالًا، لا أن الله قدرها عليهم أو خلقها فيهم)، فهم على طرفي نقيض مع الجبرية؛ الجبرية نفوا قدرة العبد واختياره، وغلوا في إثبات أفعال الله، والقدرية على العكس غلوا في إثبات قدرة العبد وإرادة العبد، ونفوا إرادة الله ومشيئته وخلقه لأفعال.

أما أهل السنة والجماعة، فهم الوسط، يقولون: هي خلق الله جَلَّوَعَلَا، وهي أفعال العباد باختيارهم وإرادتهم وقدرتهم ومشيئتهم، وهذا جمع بين الأدلة، وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٨-٢٩]، ففي قوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ﴾، هذا رد على الجبرية الذين ينفون مشيئة العبد، ويقولون: إنه مُدبَّر ومُحرَّك ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [التكوير:٢٩]، هذا رد على القدرية الذين يقولون: (ليس لله مشيئة، ولا إرادة في أفعالنا)، فالآية جمعت بين إثبات المشيئة للعبد، ولكنها ربطتها بمشيئة الله، فالعبد لا يستقل بأفعاله؛ كما تقوله المعتزلة، وليس هو مُجبر كما تقوله الجبرية، بل هو مسيَّر ومخيَّر، الجبرية يقولون: (العبد مسيَّر فقط)، والمعتزلة يقولون: (العبد مخيَّر فقط)، وأما أهل السنة والجماعة، فإنهم يقولون: (هو مسيَّر ومخيَّر؛ مسيَّر لأنه لا يخرج عن إرادة الله ومشيئته ومخيَّر؛ لأن الله أعطاه قدرة واختيارًا، فإذا أراد الخير، يسر الله له الخير، وإذا أراد الشر، يسر الله له الشر؛ كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ

﴿بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾ [الليل:٥-١٠]، والنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يقول: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**»(١)، لما ذكر للصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ أن الأمور بقدر الله وقضائه، قالوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ فَقَالَ: «**لَا، اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**»، فالعبد إذا أراد الخير، ورغب في الخير، ومال إلى الخير، يسر الله له الخير، وإذا كان على العكس، أراد الشر، ومال إلى الشر، فإن الله ييسر له الشر، كل ميسر لما خُلق له، فالسبب من قبل العبد، والتوفيق من الله).

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: (**أَفْعَالُنَا مَخْلُوقَةٌ للهِ**) هذا رد على القدرية والمعتزلة؛ لأن الله خالق كل شيء.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: (**لَكِنَّهَا كَسْبٌ لَنَا**)، هذا رد على الجبرية، يقولون: (ما هي بكسب لنا، هي فعل الله وحده، ما لنا فيها، اختيار، ولا إرادة، أومشيئة).

ومعنى: (لَكِنَّهَا كَسْبٌ لَنَا) أي: فعل لنا، فالكسب والفعل بمعنى واحد، قال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورى:٣٠]، **﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾** [الأعراف:٣٩]، وقال تعالى: **﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡ﴾** [البقرة:٢٨٦]، فالأفعال خلقها الله، ولكنها كسب للعباد، بمعنى أنها فعل يقع

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٤٥)، ومسلم (٧) (٢٦٤٧) عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسًا وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ إِلَّا وَقَدْ عُلِمَ مَنْزِلُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ فَلِمَ نَعْمَلُ؟ أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ قَالَ: «**لَا، اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الليل:٥-٦]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾ [الليل:١٠]».

من العباد، والفعل والكسب بمعنى واحد، لا يختلفان عند جمهور أهل السنة، وأما الأشعري وأتباعه، فيقولون: (إنها كسب، وليست فعلًا)، هذا التفريق لا يتصور أبدًا؛ لأنه لا فرق بين الفعل والكسب، سماها الله كسبًا للعباد، وسماها عملًا: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النحل:٣٢]، وقال تعالى: ﴿تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة:١٣٤]، فسماها كسبًا، وسماها عملًا، وسماها فعلًا، فهي كسب وعمل وفعل للعباد، ليست كسبًا فقط -كما تقوله المعتزلة-، ولهذا يقال(١):

مما يقال ولا حقيقة تحته	معقولة تدنو إلى الأفهام
الكسب(٢) عند الأشعري والحال	عند البهشمي(٣) وطفرة النظّام(٤)

(١) ذكر هذه الأبيات شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في منهاج السنة النبوية (١/ ٤٥٩)، وفي النبوات (ص١٤٤).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في مجموع الفتاوى (٨/ ١٢٨) عن الأشاعرة: (ثم أثبتوا كسبًا لا حقيقة له؛ فإنه لا يُعقل من حيث تعلق القدرة بالمقدور فرق بين الكسب والفعل؛ ولهذا صار الناس يسخرون بمن قال هذا، ويقولون: ثلاثة أشياء لا حقيقة لها: طفرة النظّام، وأحوال أبي هاشم، وكسب الأشعري، واضطرّوهم إلى أن فسروا تأثير القدرة في المقدور بمجرّد الاقتران العادي، والاقتران العادي يقع بين كل ملزوم ولازمه، ويقع بين المقدور والقدرة، فليس جعل هذا مؤثرًا في هذا بأولى من العكس، ويقع بين المعلول وعلّته المنفصلة عنه، مع أن قدرة العباد عنده لا تتجاوز محلّها. ولهذا فرّ القاضي أبو بكر إلى قول، وأبو إسحاق الاسفرائيني إلى قول، وأبو المعالي الجويني إلى قول؛ لمّا رأوا ما في هذا القول من التناقض).

(٣) يعني: أبا هاشم الجبائي، عبد السلام بن أبي علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي المعتزلي، تُنسب إليه فرقة البهشمية، توفي سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، انظر في تعريف الأحوال عنده: الفَرْق بين الفِرَق (ص١٧٢-١٨٦)، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٦٣)، والملل والنحل (١/ ٧٨). وذكر محقّق «منهاج السنة النبوية» أنه وجد في هامش إحدى النسخ الآتي: (أبو هاشم الجبائي زعم أن الأحوال لا معلومة ولا مجهولة ولا موجودة ولا معدومة...). فراجعه (١/ ٤٥٩).

(٤) النظّام هو: أبو إسحاق إبراهيم بن سيّار الضُّبعي البصري، شيخ المعتزلة، توفي سنة =

فمن الأمور التي لا حقيقة لها الكسب عند الأشعري، وهي هذه المسألة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**مَخْلُوقَةٌ للهِ**)، هذا بلا شك، هي (كَسْبٌ لَنَا)، وفعل لنا، لا يكفي أن نقول: (كسب)، بل نقول: (هي فعل وكسب، كسب لنا وفعل لنا).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**يَا لَاهِي**)، هذا رد على من أخذ بأحد القولين، إما الجبر، وإما نفي القدر، هذا يعتبر لاهيًا؛ أي: غافلًا عن معرفة الأدلة، بينما المطلوب منه التعلم ومعرفة الحق واتباعه.

=بضع وعشرين ومائتين. انظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٤١)، وتاريخ بغداد (٦/ ٩٧)، ولسان الميزان (١/ ٦٧). وفي تعريف طفرته: قال عبد القاهر البغدادي: (من فضائحه قوله بالطفرة، وهي دعواه أن الجسم قد يكون في مكان ثم يصير منه إلى المكان الثالث أو العاشر منه، من غير مرور بالأمكنة المتوسطة بينه وبين العاشر؛ ومن غير أن يصير معدومًا في الأول، ومعادًا في العاشر). الفرق بين الفرق (ص١٣٤).

وَكُــلُّ مَــا يَـفْـعَـلُـهُ الْـعِـبَـادُ ... مِــنْ طَـاعَـةٍ أَوْ ضِـدِّهَـا مُـرَادُ
لِـرَبِّـنَـا مِــنْ غَـيْرِمَـا اضْـطِـرَارِ ... مِـنْـهُ لَـنَـا فَـافْـهَـمْ وَلَا تُمَـارِ

الشَّـرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَكُلُّ مَا يَفْعَلُهُ الْعِبَادُ**)؛ أي فعل كان (**مِنْ طَاعَةٍ**) يستحق عليها الثواب، (**أَوْ ضِدِّهَا مُرَادُ**)؛ يعني: معصية يستحق عليها العقاب. والطاعة ضد المعصية، أفعال العباد كلها مرادة لله: الخير والشر، والكفر والإيمان، والطاعة والمعصية، كلها مرادة لله بالإرادة الكونية والمشيئة، فكلها أرداها الله كونًا، وشاءها.

والإرادة على قسمين:

الأولى: إرداة كونية.

الثانية: إرادة دينية.

مثال الأولى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام:١٢٥]، هذه الإرادة الكونية.

مثال الإرادة الشرعية: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٢٧-٢٨]، هذه إرادة شرعية.

والإرادة الكونية لابد من وقوعها، وأما الإرادة الدينية، فقد تقع، وقد لا تقع، والإرادة الكونية ليس من لا زمها المحبة والرضا؛ فقد يحبها

الله، ويرضاها، وقد لا يحبها، ولا يرضاها؛ خلاف الإرادة الشرعية؛ فإن من لازمها المحبة والرضا، فالله لا يريد دينًا إلا ما يحبه، وأما ما يريده كونًا، فقد يحبه مثل طاعة الطائع، وقد لا يحبه مثل كفر الكافر ومعصية العاصي، أرادهما الله كونًا، لكنه لا يحبهما شرعًا، ولذلك نهى عنهما، فنهى عن المعصية، وعن الكفر والشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لِرَبِّنَا)**؛ أي: أن أفعالنا كلها -الطاعة والمعصية- داخلة تحت إرادة الله ومشيئته، كل ما يفعله العباد، فهو مراد لربنا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مِنْ غَيْرِمَا اضْطِرَارِ مِنْهُ لَنَا)** لنا، يعني: لم يجبرنا. هذا رد على المجبرة، الذين يقولون: (إن الله أجبر العباد على أفعالهم، وليس لهم اختيار، فهم يفعلون بدون اختيار وإنما هم كالآلة التي تحرك)، هؤلاء غلوا في إثبات الإرادة الكونية، ونفوا الإرادة الشرعية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَافْهَمْ وَلَا تُمَارِ)**، افهم هذا، وفصله هذا التفصيل، واجمع بين الأدلة، ولا تمارِ؛ يعني: لا تجادل بالباطل؛ كما يجادل أهل الضلال الذين يأخذون طرفًا من الأدلة، ويتركون الطرف الآخر، فالجبرية أخذوا بطرف الأدلة التي جعلت المشيئة والإرادة لله جَلَّ وَعَلَا، وأنه خالق كل شيء، والقدرية أخذوا بالأدلة التي تدل على أن الله جعل للعبد مشيئة وإرادة واختيارًا، ونسوا أن الله جَلَّ وَعَلَا هو الخالق، وهو المدبر، وهو الذي له المشيئة النافذة، نسوا هذا، فكل من الطائفتين أخذ بطرف من النصوص.

وأما أهل السنة والجماعة، فإنهم جمعوا بين النصوص؛ لأن كلها من عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

أما الأخذ ببعض النصوص وترك بعضها، فهذه طريقة أهل الزيغ دائمًا وأبدًا؛ إنهم يأخذون بطرف من الأدلة، ويتركون الطرف الآخر: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران:٧]، أما الراسخون في العلم، فيقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧]، يجمعون بين كلام الله وكلام رسوله، ولا يأخذون ببعضه، ويتركون بعضه، وإنما يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران:٧-٨]؛ يعني: كما ضل الذين في قلوبهم زيغ، وأخذوا بالمتشابه، فإن أهل السنة والجماعة هداهم الله جَلَّ وَعَلَا، فجمعوا بين الأدلة، وفسروا بعضها ببعض، ولم يضربوا بعضها ببعض، وقالوا: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧]، فالله جَلَّ وَعَلَا له مشيئة، وله إرادة، وهو الخالق لكل شيء، لكن العباد لهم -أيضًا- مشيئة، ولهم إرادة، ولهم أفعال، وقد جمع الله بين هذا وهذا في قوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [التكوير:٢٩]، أضاف المشيئة إلى العباد، هذا رد على الجبرية، وأضافها إليه، فقال: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾، هذا رد على القدرية، آية واحدة فيها الهدى- ولله الحمد-، وفيها النور.

فالقرآن كله يفسر بعضه بعضًا، ويوضح بعضه بعضًا، ومثله كلام الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكن هذا يحتاج إلى رسوخ في العلم، أما المبتدئ وأما الجاهل هذا، فلا يصلح أن يتكلم في مسائل العلم، حتى يتعلم، ويترسخ في العلم، ويعرف طرق الاستدلال، ويعرف الخاص والعام، والمطلق والمقيد،

والمحكم والمتشابه، ويعرف الناسخ والمنسوخ. ليست المسألة أنك إذا وجدت آية أو حديث، تأخذه، وتستدل به، دون أن تنظر فيه: هل هو معارض لدليل آخر، أو لا يوجد له معارض؟ وإذا وجد معارض، فكيف الجمع بينهما؟ وهل هذا الدليل الذي أخذته، هل هو صحيح من ناحية السند، أو غير صحيح؟ هل هو محكم، أو هو منسوخ؟ ولهذا ألف العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ أصول الفقه، وألفوا أصول التفسير لهذا الغرض، أصول الفقه لمعرفة الاستدلال وكيفية الاستدلال واستنباط الأحكام، وأصول التفسير لمعرفة كيف يُفسر كلام الله عَزَّوَجَلَّ، وضعوا للتفسير قواعد أخذوها من القرآن نفسه ومن السنة، فلا يجوز لأحد أن يدخل في هذه الميادين حتى يتعلم، ويدرس أصول الفقه، ويدرس أصول التفسير، ويدرس مصطلح الحديث؛ ليعرف صحيح السنة من الضعيف والموضوع، ويعرف الأحاديث الشاذة والأحاديث غير الشاذة، يجب أن يعرف هذه الأمور، هذه علوم لابد منها، لا بد أن يتعلم الإنسان، ولا يكفي أنه إذا صار يعرف حروف الهجاء، يأخذ كتابًا ويقرأ، وإذا انتهى من الكتاب، صار عالمًا! هل كتاب واحد يجعلك عالمًا، وأنت لم تدرس اللغة، ولم تدرس النحو، ولم تدرس الأصول، ولم تدرس القواعد الفقهية، ولم تدرس التفسير، ولم تدرس شروح الحديث، و لم تدرس كلام العلماء.

العلم ليس بهذا السهولة؛ إنه يحتاج إلى وقت، ويحتاج إلى علماء تتلقى عنهم العلم المطلوب، وهذا يحتاج إلى معاناة وصبر، ولا يعني أن تدعى العلم بمجرد سماعك لشريط، أوقراءتك لكتاب، لا يعني هذا أنك صرت عالمًا، لا يجوز هذا، بل إن هذا يضر الأمة، ويضر الإنسان في نفسه، وينشأ جيل يتلاعبون بكتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَجَـازَ لِلْـمَوْلَى يُـعَـذِّبُ الْـوَرَى　　　مِـنْ غَيْرِمَـا ذَنْـبٍ وَلَا جُـرْمٍ جَرَى

الشَّرْح

هذا الكلام غير سليم، وهو يجرى على مذهب الأشاعرة الذين ينفون الحكمة في أفعال الله جَلَّوَعَلَا، فيقولون: (إن الله يفعل لمجرد المشيئة، لا لحكمة، فيجوز أن يعذب المطيع، وأن ينعم الكافر؛ لأنه يفعل ما يشاء).

وأما أهل السنة والجماعة، فيقولون: (هذا باطل في حق الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فإنه لا يليق به أن ينعم الكافر، وأن يعذب المؤمن، لا يليق بحكمته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وبرحمته، وجاءت الأدلة في الكتاب والسنة في أنه أعد للمتقين الجنات، وأعد للكافرين النار، هذا الذي جاء في الكتاب والسنة، فكيف تقولون: يعذب الورى من غير ما ذنب ولا جرم جرى؟!).

وأما ما جاء في الحديث: «**لو أَنَّ اللهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَّبَهُمْ وهو غَيْرُ ظَالِمٍ لهم، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ**»[1]، هذا معناه: أن الله لو حاسبك على نعمه التي أنعمها عليك، وحاسبك على حسناتك، فماذا تساوي حسناتك بالنسبة للنعم التي أنعمها الله عليك؟! لاتقابل شيئًا، لو حاسب الله جَلَّوَعَلَا العباد على أعمالهم، وقابل بينها وبين نعمه التي أنعمها عليهم، ما قابلت أعمالهم شيئًا، ولكن الله يعفو عنهم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، يضاعف الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧)، وأحمد (٣٥/ ٤٦٥)، وابن حبان (٢/ ٥٠٦).

لا يعلمها إلا الله[١]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء:٤٠]، ولهذا فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -على ما أعطاه الله من العبادة واليقين والعمل الذي لا يباريه أحد من الخلق فيه- يقول: «**لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**»[٢]، ولما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الجَنَّةَ**»، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**لَا، وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ**»[٣]، فالأعمال سبب لدخول الجنة، وليست هي الثمن للجنة، الجنة كرم من الله وفضل من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإنما الأعمال الصالحة سبب لدخول الجنة.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٤١) عن أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِذَا أَسْلَمَ العَبْدُ فَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، يُكَفِّرُ اللهُ عَنْهُ كُلَّ سَيِّئَةٍ كَانَ زَلَفَهَا، وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ القِصَاصُ: الحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، وَالسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يَتَجَاوَزَ اللهُ عَنْهَا**».

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٢٧)، والترمذي (٣٥٦٦)، والنسائي (١٤٤٨)، وابن ماجه (١١٧٩)، وأحمد (٢/ ١٤٧)، والحاكم (١/ ٤٤٧)، والبيهقي في الكبرى (٣/ ٦٠)، والصغرى (١/ ٢٨٥)، وأبو يعلى (١/ ٢٣٧) عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي آخِرِ وِتْرِهِ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سُخْطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**».

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٧٢) (٢٨١٦) عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الجَنَّةَ**»، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**لَا، وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَلَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ المَوْتَ: إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزْدَادَ خَيْرًا، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتِبَ**».

فلو أن الله أحصى عليهم أعمالهم، وأحصى عليهم نعمه التي أعطاهم، وأحصى عليهم سيئاتهم، فإن أعمالهم الصالحة لاتقابل شيئًا، ولكن الله جَلَّوَعَلَا يعفو، ويضاعف الحسنات، ويرحم عباده المؤمنين على تقصيرهم وعلى قلة أعمالهم، فلا يغتر الإنسان بعمله.

فَكُلُّ مَا مِنْهُ تَعَالَى يَجْمُلُ ... لِأَنَّهُ عَنْ فِعْلِهِ لا يُسْأَلُ

الشَّرح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَكُلُّ مَا مِنْهُ تَعَالَى)** جَلَّ وَعَلَا من الأفعال، والأوامر، والنواهي، يجمل؛ لأن كل ما يصدر عن الله جَلَّ وَعَلَا فإنه محمود؛ لأنه لا يصدر عنه شيء إلا لحكمة، فيضع العقوبات في مواضعها، ويضع الكرامات في مواضعها، فكل ما يصدر عنه جَلَّ وَعَلَا فهو حسن ومحمود، خلاف العباد؛ فإنهم يصدر منهم الخير، ويصدر منهم الشر، يصدر منهم المحمود، ويصدر منهم المذموم، أما الله جَلَّ وَعَلَا، فإنه لايصدر عنه إلا ما هو محمود، ولا يُسأل عما يفعل لحكمته؛ لأنه لايفعل شيئًا لغير حكمة، أما الأشاعرة، فيقولون: (لا يُسأل عما يفعل؛ لأنه يفعله لمشيئته، لا لحكمة)، وهذا غلط، الله جَلَّ وَعَلَا لا يُسأل عما يفعل، كما قال تعالى في القرآن: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٣]؛ لأنه لا يفعل إلا ما فيه حكمة وما فيه خير، حتى عقوبة الكافر فيها حكمة؛ لأنها عدل منه سُبْحَانَهُ؛ أنه يعذب الكافر، وينعم المطيع، فما حكم به من العقوبات في الدنيا -قطع يد السارق، رجم الزاني، جلد الزاني، جلد القاذف، قتل القاتل عمدًا- هذا غاية العدل وغاية الحكمة؛ لأن فيها مصالح للعباد؛ حكم بقطع يد السارق جزاء بما كسب، وحكم بالقصاص؛ لأنه يمنع القتل بغير حق، وقال: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [البقرة:١٧٩]، وحكم بإقامة الحد على الزاني رجمًا أو جلدًا، وذلك لحماية الأعراض، ومنع جريمة الزانى واللواط، وهذا لحكمة

عظيمة، فهذه العقوبات وإن كانت مكروهة للناس ومؤلمة لمن تقع عليه، إلا أنها من جهة الله رحمة وعدل، وخير للبشرية، فأفعاله سُبْحَانَهُ في غاية الحكمة، وفي غاية التمام والكمال، فقوله: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾ [الأنبياء:٢٣]؛ أي: لا يعترض عليه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في شيء من أفعاله وأحكامه؛ لأنها صادرة عن حكمة ورحمة وعدل وإحسان منه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

فَــإِنْ يُـثِـبْ فَـإِنَّـهُ مِـنْ فَضْلِهِ وَإِنْ يُـعَـذِّبْ فَـبِـمَـحْـضِ عَـدْلِـهِ
فَلَمْ يَجِبْ عَلَيْهِ فِعْلُ الْأَصْلَحِ وَلَا الـصَّلَاحُ وَيْـحَ مَـنْ لَمْ يُفْلِحِ

الشَّـرْح

هذا صحيح وحق، الثواب فضل منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والعقاب عدل منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالثواب لأهل الطاعات، والعقاب لأهل المعاصي والجرائم، فهذا عدل منه سُبْحَانَهُ، فالثواب على الطاعات فضل منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هو الذي تفضل فأثابهم على ذلك، ويُضاعف لهم الحسنات، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن الناس من يؤتى أجره بغير حساب، هذا فضل منه سُبْحَانَهُ، فالنعم كلها، والنعيم في الجنة كله فضل من الله، والعذاب في النار والعقوبات في الدنيا كلها عدل منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأنه يضع الأمور في مواضعها.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَلَمْ يَجِبْ عَلَيْهِ فِعْلُ الْأَصْلَحِ وَلَا الصَّلَاحُ وَيْحَ مَنْ لَمْ يُفْلِحِ)**، فهذا رد على المعتزلة الذين يقولون: يجب على الله فعل الأصلح، وهذا باطل؛ لأنه لا يجب على الله جَلَّ وَعَلَا شيء، ولا أحد يوجب على الله شيئًا، وإنما الله هو الذي يوجب على نفسه رحمة منه: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧]، هذا حق أحقه الله على نفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَحَقَّ الْعِبَادِ على اللهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»(١)، هذا تفضل منه، لا لأن أحدًا أوجب عليه ذلك، فلاأحد يوجب على الله شيئًا.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠). وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ رِدِيفَ =

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَيْحَ مَنْ لَمْ يُفْلِحِ)** «ويح» كلمة تألم وتوجع، يتوجع على من ضل من الأمة الإسلامية، كيف انحرفوا عن الصراط المستقيم؟!

(مَنْ لَمْ يُفْلِحِ) أي: من لم يفز بمتابعة الحق والالتزام بالكتاب والسنة، والابتعاد عن الباطل.

=النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حِمارٍ فَقَالَ: «**يَا مُعاذُ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللهِ على عِبادِهِ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ؟**» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ الْعِبَادِ على اللهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**». قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ. قَالَ: «**لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا**». وفي رواية: «**فَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا**» عند البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢).

فَكُلُّ مَنْ شَاءَ هُدَاهُ يَهْتَدِي وَإِنْ يُرِدْ ضَلَالَ عَبْدٍ يَعْتَدِ

الشَّرْح

الهداية والضلال بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام:١٢٥]، فالهداية لها أسباب، والضلال له أسباب، فالله جَلَّ وَعَلَا يهدي من يشاء ويضل من يشاء، يهدي من يشاء فضلًا منه، ويضل من يشاء عدلًا منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والهداية على قسمين[1]:

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أنواع الهداية أربعة:

أحدها: الهداية العامة المشتركة بين الخلق المذكورة في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه:٥٠]؛ أي: أعطى كل شيء صورته التي لا يشتبه فيها بغيره، وأعطى كل عضو شكله وهيئته، وأعطى كل موجود خلقه المختص به، ثم هداه إلى ما خلقه له من الأعمال.

النوع الثاني: هداية البيان والدلالة والتعريف لنجدي الخير والشر وطريقي النجاة والهلاك، وهذه الهداية لا تستلزم الهدى التام؛ فإنها سبب وشرط، لا موجب، ولهذا ينبغي الهدى معها؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت:١٧]؛ أي بينا لهم وأرشدناهم ودللناهم، فلم يهتدوا، ومنها قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢].

النوع الثالث: هداية التوفيق والإلهام، وهي الهداية المستلزمة للاهتداء، فلا يتخلف عنها، وهي المذكورة في قوله: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [النحل:٩٣]، وفي قوله: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ [النحل:٣٧].

النوع الرابع: غاية هذه الهداية وهي الهداية إلى الجنة والنار إذا سيق أهلهما إليهما، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [يونس:٩]، وقال أهل الجنة فيها: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف:٤٣]، وقال تعالى عن أهل النار: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات:٢٢-٢٣]). انظر: بدائع الفوائد (٢/ ٣٥-٣٧).

القسم الأول: هداية دلالة وإرشاد، وهذه حاصلة لكل الخلق، الكفار والمؤمنين، كلهم هداهم الله، بمعنى أن الله دلهم وأرشدهم على طريق الصواب: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ [فصلت:١٧]، هذه هداية دلالة وإرشاد.

والقسم الثاني: هداية التوفيق، وهذه خاصة بالمؤمنين: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ ﴾ [الأنعام:١٢٥]؛ أي: هداية التوفيق ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ [الأنعام:١٢٥]، وهذه الهداية هي التي يطلبها العباد في قولهم في سورة الفاتحة: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة:٦]، وهي هداية التوفيق والثبات.

وأما هداية الدلالة والإرشاد، فهذه حاصلة لكل أحد، الله هدى بمعنى أنه بين وأرشد للجميع، لكن التوفيق خاص بالمؤمنين، الله جَلَّ وَعَلَا يقول لنبيه: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص:٥٦]، هذه هداية التوفيق، لما حرص صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على إسلام عمه أبي طالب وموته على الإسلام، حرص صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ذلك غاية الحرص، وحزن لما مات على الكفر، وأنزل الله عليه هذه الآية: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص:٥٦]، فهو يضع هداية التوفيق في من يستحقها، فالعبد هو الذي يطلب الهداية، ويحرص عليها، فيوفقه الله جَلَّ وَعَلَا، أما الذي يعرض عن الهداية ويتكبر، فهذا يحرمه الله من الهداية بسبب أفعاله، فالضلال له أسباب، والهداية لها أسباب من قبل العبد.

فصل

فِي الْكَلامِ عَلَى الرِّزْقِ

وَالــرِّزْقُ مَـا يَـنْـفَـعُ مِـنْ حَـلَالِ   أَوْ ضِــدُّهُ فَـحُـلْ عَـنِ الْمُحَــالِ

الشَّرح

من جملة أفعال الله جَلَّوَعَلَا الرزق، فهو الذي يرزق، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٨]، فالله جَلَّوَعَلَا هو الرزاق، فمن أسمائه الرزاق، ومن أفعاله أنه يرزق: ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة:٢١٢].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَالرِّزْقُ)**: هو ما يسوقه الله جَلَّوَعَلَا للعباد، مما يقتاتون به، ويتغذون به، فكل المخلوقات رزقها الله جَلَّوَعَلَا، هو الذي يرزقها: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ [هود:٦]، فالأرزاق كلها من الله، يسوقها إلى عباده -من الحشرات، والدواب، والسباع، والهوام، والطيور، والآدميين، والوحوش-، كل المخلوقات التي تدب على الأرض كلها رزقها على الله جَلَّوَعَلَا، يأتيها رزقها بأمر الله، وتتغذى برزق الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٨]، والرزق يقولون على قسمين:

القسم الأول: رزق تملك: وهو ما يملكه الناس من الثروات، ومن الأموال، ومن المدخرات.

القسم الثاني: رزق القوت: وهو ما يتغذون به، ويأكلونه ويشربونه.

هذا كله من الله؛ رزق التملك، ورزق التغذي كله من الله جَلَّوَعَلَا، فما يخلق خلقًا إلا ويقدر له رزقه، ويسوق له رزقه، ولولا ذلك، لهلكت المخلوقات، من الذي يغذي الحشرات؟ من الذي يغذي الطيور؟ من الذي يغذي الحيوانات؟ من الذي يغذي السباع والهوام؟ من الذي يغذي الآدميين؟ كل له رزقه، والرزاق هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولولا أن الله يجري لها أرزاقها، لهلكت في البر والبحر.

الرزق أيضًا ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: رزق حلال: وهو ما كان من كسب طيب، وهذا هو الذي يغذي تغذية طيبة، وهو الذي ينفع المسلم إذا تصدق منه، أو أكله، أو تموله، وهو الذي جاء من طريق مباح، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ﴾ [المؤمنون:٥١]، وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ ﴾ [البقرة:١٧٢]، المراد بالطيبات هنا الحلال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ﴾ [البقرة:١٦٨]، هذا الحلال، وهو الذي أمر الله بالأكل منه، وأمر بالإنفاق منه: ﴿أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم ﴾ [البقرة:٢٥٤].

والقسم الثاني: الرزق الحرام، وهو على نوعين:

النوع الأول: حرام لوصفه كالميتة، والخنزير، والخبائث، هذا حرام لوصفه.

النوع الثاني: حرام لطريقة كسبه كالربا، والرشوة، والقمار، الغش والاحتيال، والنهب والسرقة، والغصب، كله رزق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ الحلال والحرام، ولكن الحلال هو الذي أمر الله بالأكل منه، والإنفاق منه، ونهى

عن الحرام بنوعيه، قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة:١٧٢]، وقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ [آل عمران:١٣٠]، وقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ [البقرة:٢٧٨]، وقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ [البقرة:١٨٨]، وقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ [النساء:٢٩]، ونهى صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن الغش[(١)]، ونهى عن الخيانة وعن الغدر، ونهى عن أخذ مال المسلم بغير حق: «**لا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ إِلَّا بِطِيبٍ مِن نَفْسِهِ**»[(٢)]، ونهى عن النجش[(٣)]، ونهى عن مكاسب محرمة مفصلة في الأحاديث الصحيحة مع القرآن الكريم، فالرزق كله من الله -الحلال والحرام-، لكن الحلال أُمرنا بأخذه والتغذي منه والإنفاق منه، والحرام نُهينا عنه.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (١٦٤) (١٠١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا، وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**».

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٧٢، ٥/ ٤٢٥)، وأبويعلى (٣/ ١٤٠)، والدارقطني (٣/ ٢٦)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ١٠٠)، من حديث أبي حرة الرقاشي عن عمه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم (٣٢) (٢٥٦٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِـعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا؛ الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَكْذِبُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هَهُنَا**». وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: «**بِحَسْبِ امْرِىءٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمِ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَالرِّزْقُ مَا يَنْفَعُ مِنْ حَلَالِ)** هذا القسم الأول.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أَوْ ضِدُّهُ)** هذا هو القسم الثاني، وهو الحرام، كله من رزق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لكن هذا رزق حلال، وهذا رزق حرام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَحُلْ عَنِ الْمُحَالِ)** «حُلْ» يعني: زُلْ؛ من التحول، وهو الزوال عن الشيء، وتجنب الشيء، **(فَحُلْ)**: يعني تجنب **(عَنِ الْمُحَالِ)** والمحال: هو الباطل.

لِأَنَّـــهُ رَازِقٌ كُــلَّ الْخَــلْــقِ وَلَــيْــسَ مَخْــلُــوقٌ بِـغَــيْرِ رِزْقِ
وَمَــنْ يَمُــتْ بِقَـتْـلِهِ مِـنَ الْبَشَرِ أَوْ غَــيْرِهِ فَبِـالْـقَـضَـاءِ وَالْـقَــدَرِ

الشَّـرْح

الله رازق كل الخلق: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [هود:٦]، تكفل الله برزقها يوميًا، يأتيها رزقها في أوكارها، وفي جحورها، وأينما وجدت، تكفل الله بأن يوصل إليها أرزاقها، حتى صغار الطير في الأوكار لا تروح ولا تجيء، من الذي يأتي لها بالغذاء، سخر الله لها الوالدين، يأتيان لها بالماء، ويأتيان لها بالرزقن وهي في أوكارها، حتى تقوى وتطير، وتطلب الرزق لنفسها، فالعاجز عن الأشياء والذي لا يقدر على أن يكتسب لنفسه الله يسخر له من يكتسب له، حتى الطيور والحيوانات يسخر الله بعضها لبعض.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَمَنْ يَمُتْ بِقَتْلِهِ مِنَ الْبَشَرِ * أَوْ غَيْرِهِ فَبِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ)** قدر الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ الآجال كما قدر الأرزاق، فكل مخلوق له أجل مقدر يعيشه على هذه الأرض، ثم يأتيه أجله، ويكتب على الجنين في بطن أمه، يأتيه الملك، فيؤمر بكتب أربع كلمات: رزقه، وأجله، وشقي أو سعيد[(١)]، يُكتب

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣) عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن أَحَدَكُم يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ علقةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَ يُرْسَلُ إِلَيْهِ المَلَكُ، فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِماتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فوالله الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ؛** =

أجله ومدة عيشه في هذه الحياة، فإذا جاء أجله، لايتقدم، ولا يتأخر، فالأمم لها أجل، والأفراد لهم آجال، كل شيء له أجل، لا يُزاد فيه، ولا يُنقص، فالميت مات بأجله، سواءً مات على فراشه، أو مات بالقتل، لا أحد يموت إلا بأجله، ولا يموت إلا حين يستوفي أجله، ولايُقال: (إن القتيل لو لم يُقتل، لعاش)، و لو كان باقي له مدة، ما قُتل، لكن الله نوع الموت بأنواع، فمنه نوع يكون بالقتل، ومنه نوع يكون بالمرض، ومنه نوع يكون بالحوادث، فالله نوَّع؛ كما قال الشاعر(١):

مَنْ لَمْ يَمُتْ بالسَّيْفِ ماتَ بِغَيْرِه تَنَوَّعتِ الأسْبابُ والموتُ واحِدُ

فلا شك أن كل ميت يموت بأجله، ولو قدر أنه يعيش، لما مات، ولما قُتل، وهذا لما قال المنافقون: ﴿لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾ [آل عمران:١٦٨]، قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران:١٦٨]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران:١٥٤]، وقال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء:٧٨]، فالآجال مكتوبة ومحددة ومقدرة، لا يُزاد فيها، ولا يُنقص، ولا أحد يموت، أو يُقتل، أو يغرق،

=إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا».

(١) البيت لأبي نصر بن نباتة. انظر: الدر الفريد (٩/ ٣٨٦)، والذخائر والعبقريات (١/ ٢٩١).

أو يحترق، أو يموت بأي سبب، إلا وقد تم أجله، والرزق أيضًا، إذا قدر الله لك الرزق، فلابد أن يأتيك، ولن تموت حتى تستكمل رزقك، لا تموت وقد بقي لك رزق في هذه الدنيا أبدًا. وكل مخلوق يموت في الوقت المقدر لموته، قال جَلَّوَعَلَا: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف:٣٤].

وَلَمْ يَفُتْ مِنْ رِزْقِهِ وَلَا الْأَجَلِ شَيْءٌ فَدَعْ أَهْلَ الضَّلَالِ وَالْخَطَلِ

الشَّرْح

وفي الحديث: «**فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ، حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا**»(١)، فإذا تم الأجل والرزق المكتوب، جاء الموت بلا شك، أما الذين يقولون: (إن المقتول باقي له مدة، ولو أنه سلم من القتل، لعاش)، هذا كله من الكذب والافتراء، وعدم الإيمان بالقضاء والقدر، والذين يتحسرون إذا فاتهم شيء من التجارات أو من الأرباح، يتحسرون، ويقولون: (لو عملنا كذا، لحصل لنا كذا)، هذا كله من الكلام الباطل، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْنَّ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**»(٢).

فانتبه للأسباب، لا تقل: (أجلس، فإن كان الله قد كتب لي شيئًا، فسيأتي)، هذا غلط، افعل الأسباب، اطلب الرزق، ولكن بعد طلب الرزق، وبعد بذل الأسباب، إذا لم يحصل المقصود، فاعلم أنه لم يقدر لك، اعلم أنه

(١) أخرجه ابن ماجه (٢١٤٤)، وابن حبان (٨/ ٣٢)، والطبراني في الأوسط (٣/ ٢٦٨)، والحاكم (٢/ ٤)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ١٥٦)، والبيهقي في الكبرى (٥/ ٤٣٤)، وفي شعب الإيمان (٢/ ٤٠٦) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرُمَ**».

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لم يقدر لك، إذا أنت بذلت الذي من قبلك، ولم يقدر لك، فعليك بالإيمان بالقضاء والقدر، ولا تتحسر، ولا تقل: لو أني فعلت كذا، لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل.

البَابُ الثَّالِثُ

فِي الْأَحْكَامِ وَالْكَلامِ عَلَى الْإِيمَانِ وَمُتَعَلِّقَاتِ ذَلِكَ

وَوَاجِبٌ عَلَى الْعِبَادِ طُرًّا ... أَنْ يَعْبُدُوهُ طَاعَةً وَبِرًّا

الشَّرْح

الباب الثالث من أبواب العقيدة: باب الأحكام، جمع حكم، والمراد به بيان أحكام أهل الكبائر من الذنوب، وما يتعلق بذلك، وبيان الإيمان ما هو، وما هي مناقضاته ومكملاته، إلى غير ذلك.

واجب على جميع الخلق أن يعبدوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وحده، لا شريك له؛ لأن هذا حقه عليهم، وهو الذي خلقهم من أجله؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:٢١]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [النساء:٣٦]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٩٢]، إلى غير ذلك من الآيات التي أوجب الله فيها على خلقه أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئًا.

وهذا حقه عليهم سُبْحَانَهُ؛ كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**»، فمن قام بهذا الحق، فإن له حقًّا على الله ألا يعذبه؛ كما في نفس الحديث قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَحَقُّ الْعِبَادِ على اللهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»[١]، هذا هو الأصل الذي خلق الله الخلق من أجله، وأرسل به رسلهن وأنزل به كتبه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أَنْ يَعْبُدُوهُ طَاعَةً وَبِرًّا)**، ولا يخرج عن وجوب عبودية الله أحد، فالذين يزعمون أنهم يصلون إلى مرتبة لا يحتاجون فيها إلى العبادة -كغلاة الصوفية، الذين يزعمون أنهم خاصة الخاصة، وأنهم وصلوا إلى الله، وعرفوه، فليسوا بحاجة إلى العبادة-، هذا ضلال وكفر وإلحاد وزندقة؛ فإنه لا يخرج أحد عن عبادة الله عَزَّ وَجَلَّ، والله جَلَّ وَعَلَا قال لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي هو أشرف الخلق، قال له: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر:٩٩]، وسماه عبده ورسوله، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَا مُحَمَّدُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»[٢]، فلا يخرج أحد عن العبودية، أفضل الخلق هو محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو عبد لله، قام على قدميه الشريفتين حتى تفطرتا من طول القيام[٣]؛ عبودية لله

---

(١) سبق تخريجه (ص١٦٩).

(٢) أخرجه النسائي (٦/ ٧١)، وأحمد (٣/ ١٥٣، ٢٤١) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، وَسَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلَايَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِيهَا اللهُ** عَزَّ وَجَلَّ».

(٣) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (١١٣٠، ٤٨٣٦، ٦٤٧١)، ومسلم (٧٩) =

سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، فلا يخرج عن هذا الأصل أحد كائنًا من كان: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [النساء:١٧٢].

=(٢٨١٩): عن حديث المغيرة بن شعبة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حَتَّى تَفَطَّرَتْ قَدَمَاهُ دَمًا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ: «**أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**».

وَيَفْعَلُوا الْفِعْلَ الَّذِي بِهِ أَمَرْ حَتْمًا وَيَتْرُكُوا الَّذِي عَنْهُ زَجَرْ

الشَّرْح

ويجب على كل عبد أن يفعل الفعل الذي أمر الله به، ويترك الفعل الذي نهى الله عنه، فيجب عليه عبادة الله، ويجب عليه أن يفعل ما أمر الله به، وأن يترك ما نهى الله عنه، ولا يخرج عن هذا الأصل أحد، لا أحد يخرج عن الأوامر والنواهي ويقول: (إنه وصل إلى الله، والأوامر والنواهي إنما هي للعوام، وأما الخواص، فإنهم ليسوا بحاجة إلى الأوامر والنواهي؛ فيفعلون ما يشاءون!!)؛ كما يقوله غلاة الصوفية.

والأمر: طلب فعل الشيء[(١)]، والنهي: طلب الكف عن الشيء[(٢)]. والأمر الأصل أنه للوجوب، إلا إذا دل دليل على أنه للاستحباب، فيُحوَّل إلى الاستحباب والندب، وقد يكون الأمر للإباحة؛ كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة:١٠]، هذا للإباحة، وكما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ ﴾ [المائدة:٢]، هذا للإباحة، فالأمر إذا جاء بعد نهي، فإنه يكون للإباحة؛ لتساوي الطرفين[(٣)].

---

(١) انظر: الإشارة في أصول الفقه (ص ٥٦)، والحدود في الأصول (ص١١١)، والتمهيد في أصول الفقه (١/ ٦٦)، وروضة الناظر (١/ ٥٤٢)، والمطلع على ألفاظ المقنع (١/ ٤٧٩).

(٢) انظر: التمهيد في أصول الفقه (١/ ٣٦٠)، والمطلع على ألفاظ المقنع (١/ ٤٧٩)، وتنبيه الرجل العاقل على تمويه الجدل الباطل (٢/ ٥١٩).

(٣) انظر: التبصرة في أصول الفقه (ص٤٠)، وشرح العضد (٢/ ٥٤٨)، والبحر المحيط في أصول الفقه (٦/ ٣٩).

فالواجب: ما يثاب فاعله ويعاقب تاركه(١).

والمستحب: ما يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه(٢).

والمباح: مستوي الطرفين؛ له أن يفعل، وله أن يترك، لا ثواب له، ولا عقاب عليه، هذا هو المباح(٣).

والنهي: الأصل أنه للتحريم، إلا إذا دل دليل على أنه للكراهة، والمحرم عكس الواجب؛ أي: ما يثاب تاركه ويعاقب فاعله(٤)، هذا هو المحرم.

والمكروه: ما يثاب تاركه، ولا يعاقب فاعله(٥).

---

(١) انظر في تعريف الواجب: العدة في أصول الفقه (١/ ١٥٩)، والفقيه والمتفقه (١/ ١٩١)، والبرهان في أصول الفقه (١/ ١٠٦)، المستصفى (ص٥٣)، وروضة الناظر وجنة المناظر (١/ ١٠٢)، وشرح مختصر الروضة (١/ ٢٦٥)، والبحر المحيط في أصول الفقه (١/ ٢٣٣)، وشرح الكوكب المنير (١/ ٣٤٥).

(٢) انظر في تعريف المندوب: العدة في أصول الفقه (١/ ١٦٣)، والبرهان في أصول الفقه (١/ ١٠٧)، المستصفى (ص٦٠)، وروضة الناظر وجنة المناظر (١/ ١٢٤)، وشرح مختصر الروضة (١/ ٣٥٣)، والبحر المحيط في أصول الفقه (١/ ٣٧٧)، وشرح الكوكب المنير (١/ ٤٠٣).

(٣) انظر في تعريف المباح: العدة في أصول الفقه (١/ ١٦٨)، والبرهان في أصول الفقه (١/ ١٠٨)، المستصفى (ص٥٣)، وروضة الناظر وجنة المناظر (١/ ١٣٦)، وشرح مختصر الروضة (١/ ٣٨٦)، والبحر المحيط في أصول الفقه (١/ ٣٦٤)، وشرح الكوكب المنير (١/ ٤٢٢).

(٤) انظر في تعريف المحرم: البرهان في أصول الفقه (١/ ١٠٨)، المستصفى (ص ٥٣-٥٤)، وروضة الناظر وجنة المناظر (١/ ١٣٧)، وشرح مختصر الروضة (١/ ٣٨٥)، ومذكرة في أصول الفقه للشنقيطي (ص ٢٥).

(٥) انظر في تعريف المكروه: البرهان في أصول الفقه (١/ ١٠٧)، المستصفى (ص ٥٣)، وروضة الناظر وجنة المناظر (١/ ١٣٧)، وشرح مختصر الروضة (١/ ٣٨٢)، والبحر المحيط في أصول الفقه (١/ ٢٣١)، وشرح الكوكب المنير (١/ ٤١٣).

وقد يكون الأمر للتهديد؛ كما في قوله تعالى: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت:٤٠]، وقال تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩]، هذا أمر تهديد. وقد يكون الأمر للتعجيز؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٣]، وكما في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الله سُبْحَانَهُ أنه قال: «**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ شَعِيرَةً**»(١)، ويقال للمصورين يوم القيامة: «**أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ**»(٢)، هذا أمر للتعجيز.

❁❁❁

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥٣، ٧٥٥٩)، ومسلم (١٠١) (٢١١١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٢١٠٥)، ومسلم (٩٦) (٢٠١٧) عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ عَلَى الْبَابِ، فَلَمْ يَدْخُلْهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الكَرَاهِيَةَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَتُوبُ إِلَى اللهِ، وَإِلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاذَا أَذْنَبْتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا بَالُ هَذِهِ النُّمْرُقَةِ؟**» قُلْتُ: اشْتَرَيْتُهَا لَكَ لِتَقْعُدَ عَلَيْهَا وَتَوَسَّدَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يَوْمَ القِيَامَةِ يُعَذَّبُونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ**»، وَقَالَ: «**إِنَّ البَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّوَرُ لَا تَدْخُلُهُ المَلَائِكَةُ**».

فصل

فِي الْكَلَامِ عَلَى الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ غَيْرَ مَا تَقَدَّمَ

وَكُـلُّ مَـا قَـدَّرَ أَوْ قَـضَـاهُ ... فَـوَاقِـعٌ حَـتْـمًا كَمَـا قَـضَـاهُ

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ)** من أفعال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والإيمان به أصل من أصول الإيمان الستة؛ كما في الحديث: «**الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[(١)]، فهو ركن من أركان الإيمان، وهو أن الله سُبْحَانَهُ علم ما كان وما يكون، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، ثم شاءه وأراده، ثم خلقه.

هذه مراتب الإيمان بالقضاء والقدر: الإيمان بعلم الله الشامل المحيط بكل شيء، الإيمان بأن الله كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء، والإيمان بأنه لا يقع في هذا الكون إلا ما شاءه الله وأراده، والإيمان بأن كل شيء فهو من خلق الله، فالله خالق كل شيء، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات:٩٦]، هذا هو الإيمان بالقضاء والقدر، وهما بمعنى واحد؛ ما قدره الله وقضاه، فلا بد أن يقع؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى

---

(١) سبق تخريجه (ص١٠).

ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد:٢٢]، وقال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ [التغابن:١١]؛ أي: بقضائه وقدره، فما قضاه وقدره، فلابد أن يقع، ولو حاول الناس منعه، لن يستطيعوا، فيجب على العبد أن يؤمن بذلك.

وَلَيْسَ وَاجِبٌ عَلَى الْعَبْدِ الرِّضَا ... بِكُلِّ مَقْضِيٍّ وَلَكِنْ بِالْقَضَا
لِأَنَّهُ مِنْ فِعْلِهِ تَعَالى ... وَذَاكَ مِنْ فِعْلِ الَّذِي تَقَالى

الشَّرْح

مسألة رضا العبد بما قضاه الله وقدره فيها تفصيل؛ فإن ما قضاه الله وقدره منه ما يجب الرضا به، وهو ما قضاه الله وقدره من الطاعات والقربات، فيجب على العبد أن يرضى بذلك وجوبًا؛ أن يرضى بما شرعه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ من الشرائع، ومن الأوامر والنواهي، يرضى بما شرعه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، هذا واجب. ويجب عليه أن يكره ويبغض ما حرمه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ونهى عنه، ومنه -أي: مما قضاه الله وقدره- ما لا يجب الرضا به، وإنما يُستحب الرضا به؛ مثل: المصائب التي تقع بالإنسان، فهذه يجب الصبر عليها، الصبر واجب، لكن الرضا بها ليس بواجب، وإنما الرضا بها مستحب، لكن لا بد أن يصبر عليها، ويعلم أنها بقضاء الله وقدره.

هذا هو التفصيل في الرضا بما قضاه الله وقدره: منه ما هو واجب، ومنه ما يحرم أن يرضى به -مثل الكفر والمعاصي، يحرم على الإنسان أن يرضى بالكفر ويرضى بالمعاصي-، ومنه ما هو مستحب، وهو الرضا بالمصائب والمكاره التي تجري على العبد، فيجب عليه أن يصبر، ويعلم أنها من الله، ولكن لا يجب عليه أن يرضى بها، ولذلك يسعى في إزالتها، يسعى بالعلاج، ويسعى بأخذ الأسباب التي تُنجيه من المكاره والشدائد، فلا يجب عليه الرضا بكل مقضي.

القضاء والقدر من فعل الله تعالى، فيجب الرضا به، وأما فعل العبد للمعاصي، فهذا مقلي، فمعنى: (تَقَالَى) تفاعل؛ من قلاه، أي: أبغضه ورفضه، فمن أتى بما يبغضه الله، يجب عليه أن يبغضه، ولا يرضى به، ولا يقول: (هذا فعل الله)، بل هذا فعلك أنت، فتبغض المعاصي والذنوب، وتندم على فعلها، وتتوب منها.

فصل

فِي الْكَلَامِ عَلَى الذُّنُوبِ وَمُتَعَلِّقَاتِهَا

الشَّرْح

أي الحكم على أصحاب الكبائر والذنوب والمعاصي بمعنى واحد، وهي مخالفة أمر الله سُبْحَانَهُ به، ويسمى ذنبًا، والذنوب منهي عنها، ويجب على العبد أن يبتعد عنها، ويبغضها؛ لأن الله يبغضها، وإذا وقع في شيء منها، فيجب عليه التوبة.

يجب عليه أولًا أن يبتعد عن الذنوب، ولا يفعلها؛ لأنها تُغضب الله جَلَّوَعَلَا، وتخالف أمر الله، لكنه لو وقع في شيء منها، فيجب عليه المبادرة بالتوبة منها، والله يتوب على من تاب.

والذنوب والمعاصي على قسمين: كبائر، وصغائر. قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء:٣١]، والكبائر كثيرة، لا تُحصى بالعد، ولكن لها ضوابط تُعرف بها.

فالكبيرة: ما رتب الله عليه حدًا في الدنيا؛ مثل: قطع يد السارق، ورجم الزانين وجلد الشارب والقاذف، وجلد السكران، فما رتب الله عليه حدًا في الدنيا هذا يدل على أنه كبيرة، أو رُتب عليه وعيد في الآخرة؛ بأن توعد الله عليه بالنار في الآخرة، فهذا دليل على أنه كبيرة، فالذنوب التي لعن الله

أصحابها، أو لعنه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا دليل على أنها كبائر، ولقد لعن الله الكاذبين والظالمين والكافرين، ولعن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جملة من أصحاب المعاصي كالسارق(١)، والمصورين، وغير ذلك ممن لعنهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولعن من لعن والديه، ولعن من غير منار الأرض، ولعن من آوى محدثًا(٢)، فمن لعنه الله أو لعنه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذا دليل على أنه أتى كبيرة.

وإذا توعد الله بالغضب على الذنب، فهذا دليل على أنه كبيرة، أو تبرأ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممن فعله، وقال: «أنا بريء ممن فعل كذا وكذا»، أو قال: «ليس منا من فعل كذا وكذا»؛ «**مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**»(٣).

هذه ضوابط الكبيرة: ما رُتب عليه حد في الدنيا، أو وعيد في الآخرة، أو خُتم بغضب أو لعنة أو نار، أو تبرأ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممن فعله، أو قال: «ليس منا»، فهذه كبائر(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧٩٩)، ومسلم (٧) (١٦٨٧) عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَعَنَ اللهُ السَّارِقَ، يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ، وَيَسْرِقُ الحَبْلَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ**».

(٢) أخرجه مسلم (١٩٧٨) عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ**».

(٣) أخرجه مسلم (١٦٤) (١٠١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) قال ابن عبد القوي رَحِمَهُ اللَّهُ:

فما كان فيه حد في الدنا أو توعدٌ ... بأخرى فسم كبرى على نص أحمد

وزاد حفيد المجد أو جاء وعيده ... بنفي لإيمان ولعن لمبعد

انظر: غذاء الألباب بشرح منظومة الآداب للسفاريني (١/ ٢٨٧). وانظر -أيضًا- كلام ابن القيم عن الكبيرة في الجواب الكافي (ص ١٢٦).

وأما ما نُهي عنه، ولم يُرتب حد في الدنيا، ولا وعيد في الآخرة، ولا غضب، ولا لعنة، ولا براءة منه، فهذا مُحرم، ولكنه ليس بكبيرة، بل هو من الصغائر.

والكبائر تتفاوت؛ بعضها أشد من بعض، منها السبع الموبقات؛ يعني: المهلكات؛ كما في قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**»، قَالُوا: وَمَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ**»[١]، فهذه من أعظم أنواع الكبائر، وأعظمها على الإطلاق الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨].

وقد أوصل بعض العلماء الكبائر إلى سبعين أو أكثر من سبعين كبيرة، ككتاب (الكبائر) للحافظ الذهبي، وكتاب (الكبائر) لابن حجر الهيثمي، وبعضهم يقول: إنها إلى السبعمائة أقرب[٢]، فالحاصل: أنها لا تُعد، وإنما تُحد؛ يعني: تُضبط بالتعريف[٣].

وصاحب الكبيرة عند أهل السنة والجماعة إن كانت شركًا، يخرج صاحبها بها من الإيمان، أما إن كانت دون الشرك، فإنه لا يخرج من الإيمان،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (١٤٥) (٨٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ٦٥١) عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنه سُئل عن الكبائر: «الْكَبَائِرُ سَبْعٌ؟ قَالَ: «هِيَ إِلَى السَّبْعِينَ أَقْرَبُ». وفي رواية: «إِلَى سَبْعِمِائَةٍ أَقْرَبُ مِنْهَا إِلَى سَبْعٍ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا كَبِيرَةَ مَعَ اسْتِغْفَارٍ، وَلَا صَغِيرَةَ مَعَ إِصْرَارٍ».

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٦٥١)، وشعب الإيمان للبيهقي (١/ ٢٦٩)، وفتح الباري (١٢/ ١٨٣)، وشرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ٨٥)، وعمدة القاري (١٤/ ٦٢).

ولكن يكون ناقص الإيمان، فلا يُعطى اسم الإيمان المُطلق، ولا يُسلب منه مُطلق الإيمان، بل يكون مؤمنًا ناقص الإيمان، أو يكون مؤمنًا فاسقًا، أو يكون مؤمنًا بإيمانه فاسقًا بكبيرته. هذه عبارات السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، لا يُخرجون صاحب الكبيرة التي دون الشرك من الإيمان، ولكنه يكون مؤمنًا ناقص الإيمان، وهو تحت مشيئة الله؛ إن تاب، تاب الله عليه، وإن لم يتب، فهو تحت مشيئة الله جَلَّ وَعَلَا؛ إن شاء، غفر له، وإن شاء، عذبه، ولكنه لا يُخلده في النار؛ كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [النساء:٣١]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨]، قيد ذلك بالمشيئة، هؤلاء هم أصحاب الكبائر عند أهل السنة والجماعة.

أما الخوارج(١)، فإنهم يُكفرون أصحاب الكبائر، ويقولون: (إنهم خالدون في النار)، ولا يفرقون بينهم وبين الكفار الأصليين.

وأما المعتزلة، فيقولون: (صاحب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين، ليس بمؤمن ولا كافر)، وهذا ليس له أصل في الإسلام، ولكنه قول مبتدع

(١) هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حين جرى أمر المحكمين، واجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة، وفيهم قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَحْقِرُ أحدكم صَلَاتَهُ مع صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مع صِيَامِهِمْ، يَمْرُقُونَ من الدِّينِ، كما يَمْرُقُ السَّهْمُ من الرَّمِيَّةِ**». أخرجه البخاري (٢٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وكل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيًّا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان. انظر: مقالات الإسلاميين (ص٤، ٨٦)، والفرق بين الفرق (ص٥٤)، والملل والنحل (١/ ١١٤).

للمعتزلة، وإذا مات ولم يتب، فهم فيه مثل الخوارج، يقولون: (مُخلد في النار).

وأما أهل السنة والجماعة: فهم -ولله الحمد- وسط، فلم يكفروه كما كفرته الخوارج، ولم يخرجوه من الإسلام كما أخرجته المعتزلة، ولم يعطوه الإيمان المطلق، ويقولوا: (هو كامل الإيمان)؛ كما تقوله المرجئة، فالمعتزلة والخوارج أخرجوه من الإيمان؛ الخوارج قالوا: (كافر)، والمعتزلة قالوا: (في منزلة بين المنزلتين)، والمرجئة يقولون: (هو كامل الإيمان، لاينقص إيمانه)، هذا قول المرجئة، وهو قول متطرف، وعندهم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، بل إنه شيء واحد، فالمعتزلة والخوارج أخذوا بطرف، وهو طرف الوعيد، والمرجئة أخذوا بطرف، وهو طرف الوعد، وأهل السنة والجماعة جمعوا بين الوعد والوعيد، جمعوا بين الطرفين، وردوا المتشابه إلى المحكم، وعملوا بالنصوص جميعها، والحمد لله(١).

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَصْلٌ: وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ: أَنَّ الدِّينَ وَالْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ: قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ. وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ كَمَا يَفْعَلُهُ الْخَوَارِجُ؛ بَلْ الْأُخُوَّةُ الْإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ الْمَعَاصِي كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي آيَةِ الْقِصَاصِ: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ وَقَالَ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ وَلَا يَسْلُبُونَ الْفَاسِقَ الْمِلِّيَّ اسْمَ الْإِيمَانِ بِالْكُلِّيَّةِ وَلَا يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ كَمَا تَقُولُهُ الْمُعْتَزِلَةُ بَلْ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ فِي مِثْلِ قَوْله تَعَالَى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾. =

=وَقَدْ لَا يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ الْمُطْلَقِ كَمَا فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**». وَيَقُولُونَ: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الْإِيمَانِ أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ؛ فَلَا يُعْطَى الِاسْمَ الْمُطْلَقَ وَلَا يُسْلَبُ مُطْلَقَ الِاسْمِ). انظر: (العقيدة الواسطية) ضمن مجموع الفتاوى(٣/ ١٥١-١٥٢).

وَيَفْسُقُ الْمُذْنِبُ بِالْكَبِيرَةِ	كَذَا إِذَا أَصَرَّ بِالصَّغِيرَةِ
لَا يَخْرُجُ الْمَرْءُ مِنَ الْإِيمَانِ	بِمُوبِقَاتِ الذَّنْبِ وَالْعِصْيَانِ

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَيَفْسُقُ)** الفسق هو الخروج، يقال للفأرة: الفويسقة؛ لأنها خرجت عن مألوف الدواب، وصارت تؤذي، والدواب أغلبها لايؤذي، فلما خرجت عن مألوف الدواب، صارت فويسقة، فالفسق في اللغة هو الخروج عن المألوف[1].

والمراد به في الشرع: الخروج عن طاعة الله، وقد يكون كفرًا مثل فسق إبليس: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف:٥٠]؛ يعني: خرج عن طاعة الله.

فالفسق قد يكون كفرًا، وقد يكون دون الكفر؛ مثل عصاة الموحدين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(كَذَا إِذَا أَصَرَّ بِالصَّغِيرَةِ)**، الصغيرة: هي الذنب الذي لا يصل إلى حد الكبيرة، وإذا أصر وداوم عليه، صار كبيرة، فالإصرار على الصغيرة يصيرها كبيرة، ولهذا يقول العلماء: «لَا كَبِيرَةَ مَعَ اسْتِغْفَارٍ، وَلَا صَغِيرَةَ مَعَ إِصْرَارٍ»[2]، ولا يتساهل الإنسان بالصغائر، ويجب عليه التوبة

(١) انظر مادة (فسق) في: العين (٥/ ٨٢)، وتهذيب اللغة (٨/ ٣١٥)، والصحاح (٤/ ١٥٤٣)، ومقاييس اللغة (٤/ ٥٠٢)، ولسان العرب (١٠/ ٣٠٨).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ٦٥١) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه سُئل عن الكبائر: «إِلَى سَبْعِمِائَةٍ أَقْرَبُ مِنْهَا إِلَى سَبْعٍ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا كَبِيرَةَ مَعَ اسْتِغْفَارٍ، وَلَا صَغِيرَةَ مَعَ إِصْرَارٍ».

منها، فإن لم يتب منها، وأصر عليها، صارت كبائر؛ لأن مداومته عليها يدل على عدم مبالاته وعلى تهاونه بجانب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالإصرار على الصغيرة يصيرها كبيرة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لَا يَخْرُجُ الْمَرْءُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمُوبِقَاتِ الذَّنْبِ وَالْعِصْيَانِ)**، هذا مذهب أهل السنة والجماعة: لا يخرج المؤمن من الإيمان بالمعاصي والذنوب، سواء كانت كبائر أو صغائر، ما دامت دون الشرك؛ خلافًا للخوارج، وخلافًا للمعتزلة، وخلافًا للمرجئة.

وَوَاجِبٌ عَلَيْهِ أَنْ يَتُوبَا   مِنْ كُلِّ مَا جَرَّ عَلَيْهِ حُوبَا

الشَّرْح

واجب على العبد أن يتوب من جميع الذنوب؛ من الصغائر والكبائر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مِنْ كُلِّ مَا جَرَّ عَلَيْهِ حُوبَا)**؛ أي: إثمًا؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء:٢]، الحوب هو الإثم، فكل ما يجر الإثم، فيجب على العبد أن يتوب منه، سواء كان كبيرة أو صغيرة؛ لأن الله أمر بالتوبة، قال سُبْحَانَهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم:٨]، لقد ناداهم باسم الإيمان، قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ﴾، وقال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:٣١]، فليست التوبة خاصة بالكفار والمشركين، بل هي -أيضًا- لأهل الإيمان، يجب عليهم أن يتوبوا من الذنوب والمعاصي، ولا يقولوا: (الحمد لله ما دمنا غير مشركين، ولا كفار، فالمعاصي لا تضر)؛ مثل: ما يقوله المرجئة، ويتساهلون فيها، بل يجب عليهم أن يتوبوا إلى الله جَلَّ وَعَلَا، ويبادروا بالتوبة: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ [النساء:١٧]، لا يؤجلون التوبة؛ كمن يقول: (إن شاء الله أنا إذا كبرت، أو قبل الموت أتوب)، فهذا يؤجل التوبة، قد لا يدرك الوقت الذي قال، أو: (أتوب الصباح، إذا أصبحت -إن شاء الله-، أتوب)، أو: (بعد أسبوع)، أو: (بعد شهر)، لا يدري ربما يموت في الحال، ولا يدرك الأجل الذي أجله، فالله جَلَّ وَعَلَا أمر بالتوبة من كل ذنب؛ من الكفر، من الشرك، من الذنوب، من الكبائر، من الصغائر، من كل ذنب.

والله جَلَّوَعَلَا وعد التائبين بالتوبة.

والتوبة في اللغة: الرجوع، يقال: تاب، إذا راجع، تاب وأناب وثاب، بمعنى واحد، فالتوبة هي الرجوع من المعصية إلى الطاعة[١]، ولها ثلاثة شروط، لا تكفي التوبة باللسان، فلابد من ثلاثة شروط:

الشرط الأول: أن يُقلع عن الذنب، أما إذا قال: (أستغفر الله)، وهو مقيم على الذنب، هذا ليس بتائب حتى يترك الذنب.

الشرط الثاني: أن يعزم ألَّا يعود في المستقبل، فإن كان توبته مؤقتة بشهر رمضان، أو بيوم الجمعة فقط، أو في موسم الحج يتوب إلى الله، وهو بنيته أن يرجع بعد ذلك، لا تُقبل توبته؛ لأن هذه توبة مؤقتة، فإذا علم الله أن في نيته أنه يعود إلى المعاصي بعد ذلك، فإن الله لا يقبل منه توبته.

الشرط الثالث: أن يندم على ما فات من ذنوبه وسيئاته، ولا ينساها، بل دائمًا يذكرها، ويستغفر، ويتوب، ويخاف منها، أما إذا أمن من عقوباتها، ولم يندم عليها، أو كان يتمدح بها، ويقول: (الله غفر لي)، وكما قيل: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ، فَقَالَ بِهِ هَكَذَا**»[٢]، يستخف بالذنوب، أما المؤمن، فإنه دائمًا يخشى من الذنوب، كالجبل الذي فوقه يخاف أن ينقض عليه. هذا دليل على صحة التوبة.

---

(١) انظر مادة (توب) في: العين (٨/ ١٣٨)، وتهذيب اللغة (١٤/ ٢٣٦)، والصحاح (١/ ٩١)، ومقاييس اللغة (١/ ٣٥٧)، ولسان العرب (١/ ٢٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٨) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وإن كانت التوبة من مظالم للعباد، فهناك شرط رابع: وهو أن يطلب المسامحة من المظلوم، ويرد حقه إليه؛ لأن حق المخلوق لا يسقط، إلا إذا أدي إليه حقه، أو سمح به، أما أن تظلم الناس، وتقول: (أنا تائب إلى الله)، فهذا لا يكفي؛ حقوق العباد لا تسقط إلا بردها إليهم، أو مسامحتهم عنها.

وَيَقْبَلُ الْمَوْلَى بِمَحْضِ الْفَضْلِ مِنْ غَيْرِ عَبْدٍ كَافِرٍ مُنْفَصِلِ

الشَّرْح

يقبل المولى التوبة ممن تاب، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى:٢٥]، فيقبل الله التوبة إذا توفرت شروطها، فإن الله وعد أنه يقبل التوبة عن التائبين، قال تعالى: ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٠]، هذا وعد من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَيَقْبَلُ الْمَوْلَى بِمَحْضِ الْفَضْلِ)**، قبول التوبة فضل من الله جَلَّ وَعَلَا، تفضل به، ولو شاء لأهلكه بذنوبه، ولم يقبل منه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مِنْ غَيْرِ عَبْدٍ كَافِرٍ مُنْفَصِلِ)**؛ يعني: منفصل عن الإيمان، فإذا تاب الكافر من الذنوب، ولم يتب من الكفر، فلا تُقبل توبته حتى يتوب من الكفر أولًا.

مَـا لَمْ يَـتُـبْ مِـنْ كُـفْـرِهِ بِضِدِّهِ ... فَـيَرْتَجِـعْ عَـنْ شِـرْكِـهِ وَصَـدِّهِ
وَمَـنْ يَمُـتْ وَلَمْ يَتُبْ مِـنَ الْخَطَا ... فَـأَمْـرُهُ مُـفَـوَّضٌ لِـذِي الْعَطَا
فَـإِنْ يَشَـأْ يَعْـفُ وَإِنْ يَشَا انْتَقَمْ ... وَإِنْ يَـشَـأْ أَعْـطَـى وَأَجْـزَلَ النِّعَمْ

الشَّرْح

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مَا لَمْ يَتُبْ مِنْ كُفْرِهِ بِضِدِّهِ * فَيَرْتَجِعْ عَنْ شِرْكِهِ وَصَدِّهِ)**، يتوب أولًا من الكفر، ثم يتوب من بقية المعاصي، هذا هو الذي يتوب الله عليه، أما إن تاب من الذنوب، ولم يتب من الكفر والشرك، فهذا لا يقبل الله منه توبة.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَمَنْ يَمُتْ وَلَمْ يَتُبْ مِنَ الخَطَا * فَأَمْرُهُ مُفَوَّضٌ لِذِي الْعَطَا)**، مرتكب الكبيرة من المؤمنين إذا مات، ولم يتب، فهو إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، إن شاء، غفر له، ولم يعذبه، وإن شاء عذبه بقدر ذنوبه، ثم يُخرجه من النار إلى الجنة بتوحيده وإيمانه.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَإِنْ يَشَأْ يَعْفُ وَإِنْ يَشَا انْتَقَمْ * وَإِنْ يَشَأْ أَعْطَى وَأَجْزَلَ النِّعَمْ)**، إن يشأ، عذبه، وهو مستحق لذلك، وإن شاء، تاب عليه وأكرمه، والله أهل لذلك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فصل

فِي ذِكْرِ مَنْ قِيلَ بِعَدَمِ قَبُولِ إِسْلَامِهِ مِنْ طَوَائِفِ أَهْلِ الْعِنَادِ وَالزَّنْدَقَةِ وَالْإِلْحَادِ

الشرح

هناك فئات قالوا: لا تُقبل توبتهم في الدنيا، فلابد من إقامة الحد عليهم، وهم:

أولًا: الساحر: لا تُقبل توبته، بل يُقام عليه الحد، ويُقتل بكل حال؛ لأن توبته في الظاهر لا تدل على توبته في الباطن، فيُقتل؛ ولأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبُهُ بِالسَّيْفِ**»(1)؛ ولأن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كتب: «أَنِ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ»(2)، ولم يأمر باستتابتهم.

الثاني: الزنادقة، وهم الذين يُظهرون الإيمان، ويُبطنون الكفر، ومنهم المنافقون، والزنادقة جمع زنديق، وهو الذي يتظاهر بالإسلام، ويبطن الكفر والزندقة، فهذا إذا أُمسك، وثبت عليه الزندقة، فإنه يُقتل، ولو أظهر التوبة، بل يقام عليه الحد، ويُقتل، ولا يسقط عنه الحد.

---

(١) أخرجه الترمذي (١٤٦٠)، والدارقطني (٤/ ١٢٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٢٣٤)، والطبراني في الكبير (٢/ ١٦١)، و عبد الرزاق في المصنف (١٠/ ١٨٤)، والحاكم (٤/ ٤٠١) عن جندب بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٠٤٣)، وأحمد في المسند (١/ ١٩٠)، والشافعي في مسنده (ص٣٨٣). وأخرجه البخاري بغير هذا اللفظ، ولم يذكر قتل السواحر (٣١٥٦).

ثالثًا: الملاحدة؛ كالإسماعيلية(١)، والدروز(٢)، والعلوية (النصيرية)(٣)،

---

(١) هي إحدى فرق الشيعة الباطنية، نسبوا إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر، وزعموا أن دور الإمامة انتهى إليه لأنه سابع، واحتجوا بأن السموات سبع، والأرضين سبع، وأيام الأسبوع سبعة، فدل على أن دور الأئمة يتم بسبعة، ويقولون: إن الله لا موجود ولا معدوم ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز، وكذا سائر الصفات، تعالى الله عما يقول الظالمون، وهم يزعمون أن الشريعة لها ظاهر وباطن، وأن الظاهر للعوام، والباطن للخواص، وغرضهم من هذا إبطال الشرع والانسلاخ من الدين. انظر: تلبيس إبليس (١/ ١٢٥)، ومجموع الفتاوى (٤/ ١٦٢)، والفرق بين الفرق (ص٦٨، ٢١٣)، والاعتصام (٤٤٣)، والتعاريف للمناوي (ص٦٢).

(٢) الدرزية قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (هم أتباع هشتكين الدرزي، وكان من موالى الحاكم العبيدي أرسله إلى أهل وادي تيم الله بن ثعلبة فدعاهم إلى إلهية الحاكم، ويسمونه الباري العلام، ويحلفون به وكانوا أولًا من الإسماعيلية القائلين بأن محمد بن إسماعيل نسخ شريعة محمد بن عبد الله، ثم خرجوا عن كل ما تمحلوه وهدموا كل ما أثلوه، وهم أعظم كفرًا من النصيرية، ويقولون بقدم العالم، وإنكار المعاد، وإنكار واجبات الإسلام ومحرماته، وهم من القرامطة الباطنية الذين هم أكفر من اليهود والنصارى ومشركي العرب وغايتهم أن يكونوا فلاسفة على مذهب أرسطو وأمثاله أو مجوسًا، وقولهم مركب من قول الفلاسفة والمجوس ويظهرون التشيع نفاقًا والله أعلم). انظر: مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٦١).

(٣) النصيرية أتباع أبي شعيب محمد بن نصير من غلاة الرافضة، يقولون في علي بن أبي طالب نظير ما يقوله النصارى في المسيح، قالوا: حل الله في علي، وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى باتفاق المسلمين، وهم قدرية من أصحاب الحبة والقيراط الذين يزعمون أن من أخذ حبة أو قيراطًا أو دانقًا حرامًا فهو كافر، وقولهم يضاهي قول الخوارج، وهم من الطوائف الذين يظهرون التشيع، وإن كانوا في الباطن كفارًا منسلخين من كل ملة، ويقولون: ظهور الروحاني بالجسماني لا ينكر، ففي طرف الشر كالشياطين؛ فإنه كثيرًا ما يتصور الشيطان بصورة الإنسان ليعلمه الشر ويكلمه بلسانه، وفي طرف الخير كالملائكة؛ فإن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يظهر بصورة دحية الكلبي، والأعرابي، فلا يمتنع حينئذ أن يظهر الله تعالى في صورة بعض الكاملين وأولى الخلق بذلك أشرفهم وأكملهم وهو العترة الطاهرة، وهو من يظهر فيه العلم التام والقدرة التامة من الأئمة من تلك العترة، =

وطوائف الباطنية، والعبيدية الفاطميين[1]، هؤلاء زنادقة، وهؤلاء -أيضًا- عند جمع من العلماء لا تُقبل توبتهم، بل يُقتلون، فإن كانوا صادقين فيما بينهم وبين الله، فهذا عند الله في الآخرة، أما نحن في الدنيا، فنطبق عليهم الحكم الشرعي، أما فيما بينهم وبين الله، إذا كانوا صادقين في توبتهم، فالله يقبل منهم في الآخرة، وإن كانوا كاذبين، فالله أعلم بذلك. هذا حاصل ما سيأتي من هؤلاء الطوائف.

***

=ولم يتحاشوا عن إطلاق الآلهة على أئمتهم، وهذه ضلالة بينة. والنصيرية طائفة ملعونة مرذولة مجوسية المعتقد لا تحرم البنات ولا الأخوات ولا الأمهات. انظر: المدخل لابن بدران (ص٩٦)، والمواقف للإيجي (٣/ ٦٧٥)، ومنهاج السنة النبوية (٣/ ٤٥٢)، والجواب الصحيح (٤/ ٣٠٣)، ومصرع التصوف (ص٨٠)، وصبح الأعشى (١٣/ ٢٥٤).

(١) فرقة من فرق الإسماعيلية، ويسمون بالفاطميين، كانوا يتظاهرون بالإسلام، ويقولون: إنهم شيعة. والظاهر عنهم الرفض، وكان باطنهم الإلحاد والزندقة، والمتسمون بالخلافة من العبيديين أربعة عشر: ثلاثة بالمغرب: المهدي، والقائم، والمنصور، وأحد عشر بمصر: المعز، والعزيز، والحاكم، والظاهر، والمستنصر، والمستعلي، والآمر، والحافظ، والظافر، والفائز، والعاضد، وكان ابتداء أمر مملكتهم سنة بضع و تسعين و مائتين، وانقراضها في سنة سبع و ستون و خمسمائة، قال الذهبي: «وهي الدولة المجوسية واليهودية لا العلوية والباطنية لا الفاطمية وكانوا أربعة عشر متخلفًا لا مستخلفًا» انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢١٢)، والرد على المنطقيين (ص٢٨٠)، والبداية والنهاية (١٢/ ٢٦٤).

وَقِيلَ فِي الدُّرُوزِ وَالزَّنَادِقَةِ　　　وَسَائِرِ الطَّوَائِفِ الْمُنَافِقَةِ

الشَّرْح

الدروز: طائفة من الباطنية من الإسماعيلية، والإسماعيلية نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، الذي تنتسب إليه الإسماعيلية، وهو بريء منها، إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين، هؤلاء أئمة -رضي الله عنهم ورحمهم-، لكن تنتسب إليهم هذه الطوائف القبيحة، فالإسماعيلية نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، قالوا: إن الخلافة بعد أبيه جعفر آلت إليه، مع أنه مات قبل أبيه، قالوا: إنها انتقلت إلى ابنه محمد بن إسماعيل، فمحمد حل محل أبيه.

وأما الموسوية، وهم الجعفرية الرافضة المعروفون الآن(١)، فهؤلاء يقال لهم: الموسوية، ينتسبون إلى موسى بن جعفر، قالوا: إن الخلافة بعد جعفر انتقلت إلى ابنه موسى الصغير؛ لأن إسماعيل لما مات، انتقلت إلى أخيه الصغير، وهو موسى الكاظم بن جعفر الصادق. فلذلك يسمون بالموسوية والجعفرية، فهم على خلاف مع الإسماعيلية.

---

(١) هي فرقة من فرق الشيعة الضالة، سموا (رافضة) لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ويقال: سموا بالروافض لأن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ خرج على هشام بن عبدالملك، فطعن عسكره على أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فمنعهم من ذلك فرفضوه، فقال لهم زيد بن علي: رفضتموني؟ قالوا: نعم، فبقي عليهم هذا الاسم. وهم يدعون الإمامية لقولهم بالنص على إمامة على ابن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظر: مقالات الإسلاميين (ص١٦ وما بعدها)، والفرق بين الفرق (ص١٥)، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص٥٢).

والإسماعيلية: هم أخبث الطوائف؛ لأنهم صاروا باطنيين، وانبثق منهم القرامطة[(١)] والفاطميون والعلويون (النصيريون) والدروز، كل هؤلاء من الإسماعيلية الباطنيين، وهم أكفر أهل الأرض؛ لأنهم يحلون ما حرم الله، ما عندهم حرام ولا حلال، كل شيء عندهم مباح -والعياذ بالله-، يستحلون الزنا والخمر واللواط وسائر المحرمات؛ لأنهم باطنية يظهرون الانتساب إلى الإسلام في الظاهر، وهم كفار في الباطن.

هؤلاء لا تُقبل توبتهم، إذا ثبت على أحد أنه يعتنق مذهب الإسماعيلية، يجب قتله بكل حال، ولو تاب، ما يسقط عنه الحد.

والدروز طائفة من الإسماعيلية، معروفون بهذا الاسم إلى الآن، لهم بلاد، ولهم أماكن.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَسَائِرِ الطَّوَائِفِ الْمُنَافِقَةِ)** هذا هو الرابع ممن لا تقبل توبتهم في الدنيا المنافق، والنفاق: هو إظهار الإسلام وإبطان الكفر[(٢)]،

---

(١) نسبة إلى رجل يقال له حمدان قرمط، كان أحد دعاتهم في الابتداء فاستجاب له في دعوته رجال، فسموا قرامطة وقرمطية، وهم طائفة من الباطنية خرجوا على المسلمين في زمن المعتضد سنة إحدى وثمانين ومائتين، وحكموا البحرين واستحلوا دماء المسلمين، وقطعوا الطريق على الحجاج، واقتلعوا الحجر الأسود من البيت الحرام، وقد غلت هذه الفرقة في أسماء الله وصفاته وبالغوا في نفيها وتأويلها، حتى قالوا: إنه لا يُقال إن الله موجود ولا معدوم، بل قالوا: إنه لا يُعبر عنه بالحروف، وقد جعلوا تأويلها أن المراد بها كلها إمام الزمان عندهم، وهو عندهم المسمى الله، والمراد بلا إله إلا الله. انظر: تلبيس إبليس (ص١٢٦، ١٢٧)، والفرق بين الفرق (١/ ٢٦٦)، وفضائح الباطنية (ص١٢)، وإيثار الحق على الخلق في رد الخلافات لابن الوزير (ص١٢٣).

(٢) انظر: شرح المشكاة للطيبي (٢/ ٥٠٨)، والكواكب الدراري شرح صحيح البخاري (١/ ١٤٧)، واللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح (١/ ٢١٦)، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري (١/ ٢١٧).

هذا هو النفاق الاعتقادي، وأما النفاق العملي، فهو أن يكون مؤمنًا صادقًا في إيمانه، لكن يحصل منه بعض النفاق في الأعمال -لا في العقيدة-؛ مثل: الكذب في الحديث، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»(١)، هذه من صفات المنافقين، ومثل: ترك صلاة الجماعة، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ، وَصَلَاةُ الْفَجْرِ**»(٢)، هذا نفاق عملي، قد يصدر من بعض المؤمنين، فإن تاب، تاب الله عليه، وإذا استمر معه، صار فيه خصلة من النفاق حتى يدعها؛ كما قال الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أما المقصود الآن: فهو النفاق الاعتقادي. فالمنافق النفاق الاعتقادي إن تاب توبة صادقة فيما بينه وبين الله، قبل الله منه، وأما إن أظهر التوبة لنا، فنحن لا نقبل منه، بل نطبق عليه الحد.

خامسًا: من تكررت ردته لا تقبل توبته، ويستدلون على ذلك بقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا** ﴾ [النساء:١٣٧]، هذا ومن أدلتهم قوله

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (١٢٦) (٥٩)، واللفظ له، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٧)، ومسلم (٢٥٢) (٦٥١)، واللفظ له، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ، وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلَاةِ، فَتُقَامَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ**».

تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [آل عمران:٩٠]، إلى غير ذلك من الأدلة.

والقول الثاني: أن من تاب، تاب الله عليه مهما كان، ووجب الكف عنه مهما كان، لقوله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ في النصارى الذين يقولون: (إن الله هو المسيح ابن مريم) و(إن الله ثالث ثلاثة)، قال الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [المائدة:٧٤]، فدل على أنهم لو تابوا، تاب الله عليهم، ولعموم نصوص التوبة أن من تاب، تاب الله عليه من جميع الذنوب، ولم يستثن منها شيئًا، قال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ ﴾ [الأنفال:٣٨]، وهذا عام، وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجمع من المحققين أن من أظهر التوبة، يقبل منه ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَقِيلَ فِي الدُّرُوزِ وَالزَّنَادِقَةِ)**، (وَقِيلَ) هذا تضعيف؛ لأن الناظم سيختار القول الثاني، وهو أنه تقبل توبته.

وَكُــلِّ دَاعٍ لِابْــتِــدَاعٍ يَقْــتُــلُ كَـمَـنْ تَـكَـرَّرَ نَـكْـثُـهُ لَا يُقْبَلُ

لِأَنَّــــهُ لَمْ يَــبْــدُ مِــنْ إِيمَـــانِــهِ إِلَّا الَّـــذِي أَذَاعَ مِـــنْ لِـسَـانِـهِ

كَـمُـلْـحِـدٍ وَسَــاحِــرٍ وَسَــاحِــرَةْ وَهُــمْ عَـلَـى نِـيَّـاتِـهِـمْ فِي الْآخِــرَةْ

الشَّـرْح

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَكُلِّ دَاعٍ لِابْتِدَاعٍ)**: هذا هو السادس ممن لا تقبل توبتهم: من يدعو إلى بدعة مكفرة -كبدعة الروافض، وبدعة الخوارج، وبدعة الجهمية-، الذي يدعو إليها، ويزينها، ويُرغب فيها هذا زنديق، يُقتل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كَمَنْ تَكَرَّرَ نَكْثُهُ لَا يُقْبَلُ)** يعني: تكررت ردته، فعندهم لا تُقبل توبة الزنديق، ولا تُقبل توبة الساحر، ولا تُقبل توبة من سب الله أو سب الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا تُقبل توبة من تكررت ردته، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾ [النساء:١٣٧]، هذا تكررت ردته، فلا تقبل توبته، هذه الطوائف عند جمع من أهل العلم لا تُقبل توبتهم، بل يُقتلون بكل حال؛ لأنه لو أظهر التوبة، لا يؤمن؛ لأنه من قبل كان يقول: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله)، ويصلي، ويتظاهر بالصلاة، لكن مع هذا يعمل السحر، ومع هذا يسب الله، أو يسب الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو يسب الدين، أو يتهكم بالدين، وهو يشهد أن لا إله إلا الله، ناقض الشهادة فلا تُقبل توبته؛ لأنه لم يعدل عن ما هو عليه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إِلَّا الَّذِي أَذَاعَ مِنْ لِسَانِهِ)**، تكون توبته بلسانه فقط، لا بقلبه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كَمُلْحِدٍ)** الملحد هذا اسم عام لكل من كفر بالله عَزَّوَجَلَّ، وأصر على كفره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَسَاحِرٍ وَسَاحِرَةْ)**؛ لأن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كتب إلى عماله: «أَنِ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ»(١)، ولم يقل: (استتيبوهم)، بل أمر بقتلهم؛ لأنهم لا يؤمن شرهم، يظهرون التوبة، وهم على سحرهم وفسادهم وإفسادهم. وأما في الآخرة، فأمرهم إلى الله إذا كانوا صادقين في توبتهم، فإن الله يقبل توبتهم في الآخرة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَهُمْ عَلَى نِيَّاتِهِمْ فِي الْآخِرَةْ)**، وهم على نياتهم في التوبة، إذا كانت صادقة، فإن الله يقبلها منهم، لكن نحن مأمورون بقتلهم وإجراء الحكم الشرعي عليهم في الدنيا؛ بناء على ما أُمرنا به في شأنهم.

قُلْتُ وَإِنْ دَلَّتْ دَلَائِلُ الْهُدَى ... كَمَا جَرَى لِلْعَيْلَبُونِيِّ اهْتَدَى
فَإِنَّهُ أَذَاعَ مِنْ أَسْرَارِهِمْ ... مَا كَانَ فِيهِ الْهَتْكُ عَنْ أَسْتَارِهِمْ
وَكَانَ لِلدِّينِ الْقَوِيمِ نَاصِرَا ... فَصَارَ مِنَّا بَاطِنًا وَظَاهِرَا
فَكُلُّ زِنْدِيقٍ وَكُلُّ مَارِقِ ... وَجَاحِدٍ وَمُلْحِدٍ مُنَافِقِ
إِذَا اسْتَبَانَ نُصْحُهُ لِلدِّينِ ... فَإِنَّهُ يُقْبَلُ عَنْ يَقِينِ

الشَّرْح

إذا ظهر من أحد من هؤلاء الطوائف صحة التوبة، ودلت القرائن والعلامات على صحة توبته، فإنه يُقبل منه ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**لِلْعَيْلَبُونِيِّ**)، هذا درزي، كان من أئمة الدرزية، ثم تاب إلى الله -والعيلبوني نسبة إلى عيلبون، وهي بلدة مابين قرية حطين ودير حنا، من أعمال صفد-، تاب إلى الله، وطلب العلم، وصنف كتابًا في الرد على الدروز، فهذا ظهرت دلائل توبته، وصار من أهل العلم والإيمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مثل هذا تُقبل توبته عند الجميع.

العيلبوني ألف كتابًا في الرد على الدروز الذين تاب من مذهبهم، وكشف أستارهم، وفضح سرائرهم، هذا دليل على صدق توبته.

صار العيلبوني يناصر الدين، ويدعو إلى الله، ويرد على أهل الكفر والشرك والزندقة، فظهرت أدلة توبته.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فَكُلُّ زِنْدِيقٍ وَكُلُّ مَارِقِ ... وَجَاحِدٍ وَمُلْحِدٍ مُنَافِقِ

إِذَا اسْتَبَانَ نُصْحُهُ لِلدِّينِ ... فَإِنَّهُ يُقْبَلُ عَنْ يَقِينِ

هذا ترجيح للرأي الثاني، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية؛ أن كل من تاب من هؤلاء، ولم يظهر منه ما يخالف التوبة، يُقبل منه ذلك؛ لعموم الأدلة في قبول التوبة. فالناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيد القول الثاني.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إِذَا اسْتَبَانَ نُصْحُهُ لِلدِّينِ)**؛ يعني: ظهرت الأدلة على صدق توبته، كل من ظهر منه ذلك من صدق التوبة والإنابة، فإنه يُقبل منه ذلك.

❁❁❁

فصل

فِي الْكَلَامِ عَلَى الْإِيمَانِ وَاخْتِلَافِ النَّاسِ فِيهِ وَتَحْقِيقِ مَذْهَبِ السَّلَفِ فِي ذَلِكَ

الشَّرْح

الفصل: هو الفاصل بين الشيئين، وهو في التأليف أصغر من الباب، العلماء المؤلفون يقسمون المؤلفات إلى كتاب، ثم باب، ثم فصل؛ تسهيلًا على طلاب العلم؛ لأنه لو سُرد الكلام بدون أن يُجعل فيه أبواب وفصول، فإن ذلك يبعث على السآمة والملل، فإذا قُسم على أبواب وفصول، سهل ذلك على طالب العلم.

وهذا الفصل يتضمن الكلام على مسألة الإيمان: ما هو الإيمان؟ وما هي أركانه؟ لأن هذا باب مهم.

والإيمان في اللغة هو التصديق الجازم الذي لا يعتريه شك، هذا هو الإيمان في اللغة، سُمي التصديق إيمانًا؛ لأن المصدق يأتمن المُخبر على ما أخبر به، ولهذا قال: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف:١٧]؛ أي: بمصدق، فهو تصديق خاص، تصديق يصحبه ائتمان للمُخبر. هذا في اللغة(١).

---

(١) انظر: لسان العرب (١٣/ ٢١)، ومقاييس اللغة (١/ ١٣٣)، ومختار الصحاح (ص١١)، والنهاية في غريب الحديث (١/ ٦٩). وانظر مبحث في معنى الإيمان في اللغة في: كتاب الإيمان الأوسط (ص٧٧) لشيخ الإسلام ابن تيمية، والإيمان الكبير (ص٢٧٥ وما بعدها).

وأما الإيمان في الشرع: فهو عند أهل السنة والجماعة: قول باللسان واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية(١)، لابد من هذه الأمور في الإيمان؛ أن ينطق بلسانه، وأن يعتقد بقلبه، وأن يعمل بجوارحه، فإذا نقص شيء من هذه الأمور، لم يكن مؤمنًا، فلو أنه نطق بلسانه، ولكنه لم يُصدق بقلبه، فهذا منافق النفاق الأكبر، وهذا شأن المنافقين، قال تعالى: ﴿**وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ**﴾ [البقرة:٨]، فنفى عنهم الإيمان، مع أنهم يقولون: (آمنا)؛ لأنهم لم يعتقدوا ذلك بقلوبهم.

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن المنافقين: ﴿**إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً**﴾ [المنافقون:١-٢]، ادعاؤهم الإيمان إنما هو سترة يتسترون بها، وإلا فهم في قلوبهم كفار؛ كما قال تعالى: ﴿**يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ**﴾ [آل عمران:١٦٧]، هذا شأن المنافقين، وهذا مع الأسف قول الكرَّامية(٢)، يقولون: (الإيمان قول باللسان)، وهذا إنما يصدق على إيمان المنافقين.

---

(١) انظر: لمعة الاعتقاد (ص٢٣)، ومجموع الفتاوى (٧/ ٥٠٥)، واجتماع الجيوش الإسلامية (ص٨٤).

(٢) هو محمد بن كَرَّام بفتح الكاف وتشديد الراء، وهو الذي تنسب إليه الفرقة الكرامية، وقد نسب إليه جواز وضع الأحاديث على الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، وكان يقول: الإيمان هو نطق اللسان بالتوحيد مجرد عن عقد قلب وعمل جوارح، توفي سنة ٢٥٥هـ. انظر: المنتظم (١٢/ ٩٧)، وتاريخ دمشق (٥٥/ ١٢٧)، والسير للذهبي (١١/ ٥٢٣)، والبداية والنهاية (١١/ ٢٠)، والأنس الجليل (١/ ٢٩٦)، وشذرات الذهب (٢/ ١٣١).

وكذلك من صدق بقلبه، ولم ينطق بلسانه، فليس بمؤمن، ولهذا نفى الله الإيمان عن مشركي قريش، بل عن فرعون، فمشركو قريش قال الله تعالى فيهم: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام:٣٣]، فهم لا يكذبون الرسول في قرارة أنفسهم، ولكنهم لم ينطقوا بألسنتهم بأن يشهدوا أنه رسول الله، حملهم الكبر والحسد على الامتناع، وكذلك اليهود قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ﴾ [البقرة:١٤٦]؛ أي: الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة:١٤٦] يعرفونه في قلوبهم وفي كتبهم، لكنهم أبوا أن يعترفوا برسالته: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٤٦] يعلمون في قلوبهم.

وقال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لفرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء:١٠٢]، هذا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قال لفرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾؛ يعني: الآيات والمعجزات التي جاء بها موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الإسراء:١٠٢]. وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤]، ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا﴾: جحدوا بألسنتهم، أبوا أن يُقروا، ﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾: يعني قلوبهم، ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾: هذا الذي حملهم على عدم الاعتراف الظلم والعلو في الأرض، فهذا دليل على أن من اعترف بقلبه، ولم ينطق بلسانه؛ أنه ليس بمؤمن.

والذين يقولون: (إن الإيمان هو التصديق بالقلب) هم الأشاعرة، يقولون: (الإيمان هو التصديق بالقلب، ولو لم ينطق، ولو لم يعمل، ما دام أنه

مصدق بقلبه، فهو مؤمن)، وهذا قول باطل؛ لأنه ينطبق على كفار قريش، وعلى فرعون، وعلى سائر الأمم الذين يعرفون الحق بقلوبهم، لكنهم أبوا أن يعترفوا به ظاهرًا، يعرفونه في قلوبهم، لكنهم أبوا أن يعترفوا به ظاهرًا، وأن يعلنوا به لأغراض عندهم منعتهم. هذا قول الأشاعرة.

وأشد منهم ضلالًا الجهمية، وهم أشد المرجئة الذين يقولون: (إن الإيمان هو الاعتراف بالقلب، ولو لم يصدق، إذا علم بقلبه، ولو لم يصدق، فهو مؤمن)، هذا عند الجهمية، وهذا أشد أنواع الإرجاء.

والقول الرابع: قول الحنفية: (أن الإيمان هو الاعتقاد بالقلب، والنطق باللسان، والأعمال ليست داخلة في الإيمان)، هؤلاء يسمون مرجئة الفقهاء[(١)].

إذًا فالمرجئة أربع فرق:

الفرقة الأولى: التي تقول: (إن الإيمان هو مجرد النطق، ولو لم يعتقد بقلبه).

الفرقة الثانية: الذين يقولون: (إن الإيمان هو التصديق بالقلب، ولو لم ينطق بلسانه)، وهذا قول الأشاعرة.

الفرقة الثالثة: الذين يقولون: (إن الإيمان هو الاعتقاد بالقلب والنطق باللسان، ولو لم يعمل)، وهذا قول مرجئة الفقهاء.

القول الرابع: قول الجهمية: (أن الإيمان مجرد العلم بالقلب والاعتراف بالقلب، ولو لم يُصدق)، وهذا أشد أنواع الإرجاء.

---

(١) راجع كتاب الإيمان من مجموع الفتاوى (٧/ ٢٩٠)، وما بعدها.

أما أهل السنة والجماعة سلفًا وخلفًا: فيرون أن الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال:٢-٤] فوصفهم بهذه الأوصاف: ﴿يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، هذا عمل، ويؤتون الزكاة ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾، هذا عمل، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾، هذا دليل على أن الإيمان يزيد وينقص.

وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ -أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ- شُعْبَةً، أَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ**»(١)، وهذا يدل على أن الإيمان قول واعتقاد وعمل؛ لأن قول (لا إله إلا الله) هذا نطق باللسان، وإماطة الأذى عن الطريق عمل باليد، جعله النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الإيمان، والحياء شعبة من الإيمان، وغير ذلك من الأدلة من الكتاب والسنة، التي تدل على أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، وأنه يزيد بالطاعة؛ كما قال تعالى: ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال:٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة:١٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المُدَّثِّر:٣١]، فهذا دليل على أن الإيمان يزيد

---

(١) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥)، واللفظ لمسلم، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

بالطاعات، وينقص بالمعاصي، كلما عصى الإنسان ربه، نقص إيمانه، حتى ربما لا يبقى معه من الإيمان إلا الشيء القليل، حتى لا يبقى معه من الإيمان إلا حبة خردل، أو أقل من ذلك. هذا هو تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة، وهو التعريف الصحيح المأخوذ من كتاب الله ومن سنة رسوله، وما عداه، فهو أقوال باطلة.

إِيمَـانُـنَـا قَــوْلٌ وَقَـصْـدٌ وَعَـمَـلْ   تَـزِيـدُهُ التَّقْوَى وَيَـنْـقُـصُ بِـالزَّلَلْ
وَنَحْـنُ أَيْضًـا فِي إِيمَانِنَا نَسْتَثْنِي   مِـنْ غَـيْرِ شَـكٍّ فَاسْتَـمِـعْ وَاسْتَبِنِ

الشَّــرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إِيمَانُنَا)** أي: أهل السنة والجماعة. (قَـوْلٌ) يعني: نطق باللسان، (وَقَصْدٌ): وهو الاعتقاد بالقلب، (وَعَمَلْ): وهو العمل بالجوارح.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(تَزِيدُهُ التَّقْوَى)**، هذا معنى قولهم: (يزيد بالطاعة)، والتقوى هي الطاعة، **(وَيَنْقُصُ بِالزَّلَلْ)**، وهي المعصية؛ لأن المعصية زلل.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَنَحْنُ أَيْضًا فِي إِيمَانِنَا نَسْتَثْنِي مِنْ غَيْرِ شَكٍّ فَاسْتَمِعْ وَاسْتَبِنِ)**، هذه مسألة تتعلق بالإيمان، وهي هل يجوز الاستثناء فيه، فتقول: (أنا مؤمن إن شاء الله)، أو تقول: (أنا مؤمن) فقط، ولا تقول: (إن شاء الله)؟

المسألة فيها خلاف، والصحيح أنه إذا أُريد بالاستثناء الشك، فهذا لا يجوز، أما إذا كان المراد بالاستثناء عدم تزكية النفس، فتقول: (أنا مؤمن إن شاء الله)، قصدك أنك لا تزكي نفسك، فتدعي أنك كامل الإيمان، وليس عندك نقص، فهنا لا بأس بالاستثناء، فإذا أريد بالاستثناء هذا، فلا بأس.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مِنْ غَيْرِ شَكٍّ)**، أما إذا كان معنى الاستثناء الشك، فهذا لا يجوز.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَاسْتَمِعْ)** لهذا القول؛ لأن هذا هو الصواب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَاسْتَبِنِ)**؛ يعني: اسأل عما يُشكل عليك، إذا كان حصل عليك إشكال.

نُتَابِعُ الأَخْيَارَ مِنْ أَهْلِ الأَثَرِ ... وَنَقْتَفِي الآثَارَ لا أَهْلَ الأَشَرِ
وَلا نَقُلْ إِيمَانُنَا مَخْلُوقُ ... وَلا قَدِيمٌ هَكَذَا مَطْلُوقُ

الشَّرْح

نحن في إيماننا نتبع أهل السنة والجماعة (مِنْ أَهْلِ الأَثَرِ)؛ يعني: من أهل الحديث؛ لأن هذا هو الإيمان عند أهل الحديث -كالإمام أحمد، والبخاري، ومن قبلهم من أئمة الهدى-، هذا قولهم في الإيمان، نحن نسير على منهجهم؛ أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، وأما من قال غير ذلك، فليس من أهل الأثر.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَلَا نَقُلْ إِيمَانُنَا مَخْلُوقُ وَلَا قَدِيمٌ هَكَذَا مَطْلُوقُ)**، لاتقل: (إيماني مخلوق)، ولا تقل: (غير مخلوق)، ولا تقل: (قديم)، فالإيمان فيه تفصيل، إذا قلت: (الإيمان مخلوق)، والإيمان تدخل فيه الأعمال -كما سبق-، منها الصلاة، والصلاة تشتمل على أشياء غير مخلوقة؛ مثل: تلاوة القرآن، وذكر الله عَزَّوَجَلَّ، هذا غير مخلوق، وتشتمل على الركوع والسجود والجلوس والقيام، هذه أعمال العبد، وهي مخلوقة، والله هو خالق كل شيء، فهي عمل العبد، وهي خلق الله -كما سبق بيان ذلك-، فلابد من التفصيل.

فلا تُطلق وتقول: (الإيمان مخلوق)؛ لأنه يدخل فيه الصلاة التي تشتمل على القرآن، والقرآن غير مخلوق، وتشتمل على الذكر، والذكر غير مخلوق،

فلا تقل: (الإيمان مخلوق) إطلاقًا، ولا تقل: (الإيمان غير مخلوق)، بل منه ما هو مخلوق كالقيام والركوع والسجود، والأعمال البدنية، هذه مخلوقة لله، وهي أعمالنا، وكسبنا -كما سبق-، ولهذا يقول الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مَنْ قَالَ: الْإِيمَانُ مَخْلُوقٌ كَفَرَ، وَمَنْ قَالَ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ ابْتَدَعَ)[1]، لابد من التفصيل.

❁❁❁

(١) انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٣/ ٥٥)، وكشف اللثام شرح عمدة الأحكام (١/ ٤٧)، ولوامع الأنوار البهية (١/ ٤٤٦).

فَـــإِنَّـــهُ يَـــشْـــمَـــلُ لِـــلـــصَّـــلَاةِ وَنَحْـوِهَـا مِـنْ سَـائِـرِ الطَّاعَاتِ
فَفِعْلُنَا نَحْـوُ الـرُّجُـوعِ مُحْـدَثُ وَكُـلُّ قُـرْآنٍ قَـدِيـمٌ فَـابْحَـثُـوا

الشَّـرْح

لأن الإيمان يشمل الصلاة وسائر الأعمال التي يقوم بها العباد، والأعمال منها ما هو ليس بمخلوق -كتلاوة القرآن، وذكر الله؛ التسبيح والتهليل والتكبير-، ومنها ما هو مخلوق -كالحركات التعبدية؛ من قيام وركوع وسجود وغير ذلك-، شيء منها مخلوق، وهو القيام والركوع والسجود والجلوس، وأما القرآن والذكر، فهذا غير مخلوق، وهذا تشتمل عليه الصلاة.

ولكن قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قَدِيمٌ)؛ يعني: القرآن، سبق تبيان أن إطلاق أن القرآن قديم غير صحيح، وكلام الله -كما سبق- قديم النوع حادث الآحاد، بمعنى أن الله لم يزل متكلمًا في الأزل، ويتكلم إذا شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ متى شاء، فهو حادث الآحاد، ومنه القرآن.

وَوَكَّــلَ اللهُ مِــنَ الْـكِـرَامِ اثْـنَـيْنِ حَـافِـظَـيْنِ لِـلأَنَـامِ
فَـيَـكْـتُـبَـانِ كُـلَّ أَفْـعَـالِ الْـوَرَى كَمَا أَتَى فِي النَّصِّ مِنْ غَيْرِ امْتِرَا

الشَّرْح

الحفظة هم الذين يحفظون أعمال بني آدم من الملائكة: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَصَلَاةِ الْعَصْرِ»(١)، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار:١٠-١٢]، وقال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨]، ملكان موكلان بكتابة ما يصدر عن الإنسان؛ واحد عن يمينه، وآخر عن شماله ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٧-١٨]، وكل واحد منا معه ملكان يلازمانه، ويكتبان ما يصدر عنه في صحائف تعرض على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ليلًا ونهارًا، والناظم ذكر هذا في باب الإيمان؛ لأنه يجب الإيمان به، يجب الإيمان بالحفظة، وأن من أنكر هذا، فهو كافر، ومن أنكر وجود الحفظة، فهو كافر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَوَكَّلَ اللهُ مِنَ الْكِرَامِ)**؛ لأن الله وصفهم بالكرم: ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الانفطار:١١]، وهم خلق من خلق الله من عالم الغيب، خلقهم الله من النور(٢)، ومهمتهم العبادة والتسبيح، ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾

(١) أخرجه البخاري (٣٢٢٣)، ومسلم (٦٣٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٦٠) (٢٩٦٦) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ».

[الأنبياء:٢٠]، ومن مهمتهم القيام بالأعمال التي يكلها الله إليهم، ومنهم الحفظة، فإن الله وكل إليهم حفظ أعمال بني آدم.

لأن الملائكة أصناف، منهم الحفظة، فإن الله وكل إليهم حفظ أعمال بني آدم، وهذا ما يتعلق بنا.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَيَكْتُبَانِ كُلَّ أَفْعَالِ الْوَرَى كَمَا أَتَى فِي النَّصِّ مِنْ غَيْرِ امْتِرَا**)، يكتبان الأعمال: ﴿ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الانفطار:١٢]، ويكتبان الأقوال: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق:١٨]، ويكتبان الأعمال خيرها وشرها.

البَابُ الرَّابِعُ

فِي ذِكْرِ بَعْضِ السَّمْعِيَّاتِ مِنْ ذِكْرِ الْبَرْزَخِ وَالْقُبُورِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ وَالْحَشْرِ وَالنُّشُورِ

الشَّرْح

ومن أركان الإيمان الإيمان باليوم الآخر، وهو اليوم الذي بعد الدنيا، سمي باليوم الآخر؛ لأنه بعد الدنيا، الدنيا هي اليوم الأول، ويُقال: يوم القيامة، وسُمي بيوم القيامة؛ لأن الناس يقومون من قبورهم لرب العالمين: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين:٦]، ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر:٦٨](١)، وأول اليوم الآخر هو الموت، فمن مات، دخل في اليوم الآخر، من مات، انتهت الدنيا في حقه، وانتقل إلى الآخرة، فحينئذٍ تبدأ معه أمور الآخرة في قبره، فيأتيه ملكان، فيجلسانه، وتُعاد روحه في جسده، فيحيا حياة برزخية، فيسألانه: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فإن أجاب بجواب صحيح، فاز، وإن لم يستطيع الجواب، هلك، إن قال: (ربي الله، والإسلام ديني، ونبي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فإنه حينئذٍ ينجو، ويُجعل قبره روضة من رياض الجنة، وإن لم يستطع، وقال: (هاه هاه لا أدري)، فإنه يضرب بمرزبة من حديد، لو ضربت بها جبال الدنيا لذابت، ويُقال له: (لا دريت

(١) انظر أسماء يوم القيامة في: فتح الباري (١١/ ٣٩٦)، والتذكرة للقرطبي (ص ٥٦٧)، والقيامة الكبرى للأشقر (ص ١٩-٢٨).

ولا تليت)[١]؛ يعني: ولا اتبعت، ثم يُفتح له باب إلى النار، ويكون قبره حفرة من حفر النار، ويضيق عليه قبره، حتى تختلف أضلاعه[٢]، فيجب الإيمان بعذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين، وهذا من أول أمور الآخرة، أول ما يواجه الإنسان من أمور الآخرة أحوال القبر[٣].

❁❁❁

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (١٣٣٨، ١٣٧٤)، ومسلم (٢٨٧٠): عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**العَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ، فَأَقْعَدَاهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ **فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ**»، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا الكَافِرُ** -أَوِ المُنَافِقُ- **فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ**».

(٢) ورد في فتنة القبر أحاديث، منها: حديث البراء بن عازب، رواه أحمد في المسند (٤/ ٢٨٧)، وأبو داود في سننه (٤٧٥٣)، والطيالسي في مسنده (١/ ١٠٢) والبيهقي في الشعب (١/ ٣٥٨) وفيه عند ذكر المؤمن: «**فَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ**» وعند ذكر الكافر أو المنافق «**وَيَضِيقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ، حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ**»، قال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، المجمع (٣/ ٥٠)، وفي الباب أحاديث أخرى عن غيره من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وانظر: إثبات عذاب القبر للبيهقي، والتعليق الآتي.

(٣) تواترت الأحاديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إثبات عذاب القبر ونعيمه، وسؤال الملكين للإنسان بعد موته؛ كما جاء في حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه البخاري (١٣٣٨، ١٣٧٤)، ومسلم (٢٨٧٠)، وجاء أيضًا من حديث البراء، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وأبي قتادة، وعائشة، وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وَكُـلُّ مَـا صَـحَّ مِـنَ الْأَخْـبَـارِ أَوْ جَـاءَ فِي الـتَّـنْـزِيـلِ وَالْآثَـارِ
مِـنْ فِـتْـنَـةِ الْـبـرْزَخِ وَالْـقُـبُـورِ وَمَـا أَتَـى فِي ذَا مِـنَ الْأُمُـورِ

الشَّرح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الْبَرْزَخِ)**: هو الحائل بين الشيئين، وسمي القبر برزخًا؛ لأنه الحائل بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة، وهو محل انتظار، فمن مات، صار في هذا البرزخ ينتظر قيام الساعة(١).

والدور ثلاث: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار.

فالبرزخ: حاجز بين الدار الدنيا والدار الآخرة، التي هي دار القرار، وهو محطة انتظار، ويُبعث الناس من القبور إلى المحشر، ثم يساقون إلى الدار الآخرة، فليس القبر هو النهاية، ولهذا قال سُبْحَانَهُ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر:١-٢]، زرتم، والزائر معلوم أنه ينتقل، فالميت يزور القبر، وينتظر الرحيل منه، ولذلك سمي بالبرزخ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَكُلُّ مَا صَحَّ مِنَ الْأَخْبَارِ)** عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه يجب التصديق به، وأما ما لم يصح، وما لم يبلغ درجة الصحة، فإنه لا يُعتمد عليه في أمور الغيب، فالحديث الضعيف لا يُعتمد عليه في أمور الغيب، وإنما يُعتمد على الحديث الصحيح؛ لأنه كلام من لا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٤]، سواءً كان متواترًا أو آحادًا، ما صح، يجب الإيمان به،

(١) انظر: العين (٤/ ٣٣٨)، وتهذيب اللغة (٧/ ٢٧٠-٢٧١)، والصحاح (١/ ٤١٩)، ولسان العرب (٣/ ٨).

سواءً كان متواترًا أو آحادًا، وهذا رد على الذين يقولون: (إن أخبار الآحاد لا تفيد العلم والاعتقاد، وإنما تفيد الظن)، هذا كلام باطل، والصواب: أن ما صح عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه لا شك فيه، ويفيد العلم، ويفيد اليقين، هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أَوْ جَاءَ فِي التَّنْزِيلِ وَالْآثَارِ)**، وهو القرآن، كلام الله عَزَّوَجَلَّ، فلا شك فيه؛ لأنه كلام رب العالمين، وكذلك ما صح عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه من عند الله، وهو كلام من لا ينطق عن الهوى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٤]، ولكن لماذا قدم الناظم الأخبار على القرآن؟ للاهتمام بها؛ لأن بعض الناس يتشكك في الأحاديث وفي الأخبار، فقدمها من باب الاهتمام بها، وردًا على الذين يشككون في الأحاديث؛ لأن هناك من يشكك في السنة كلها، وهم من يسمون أنفسهم بالقرآنيين، ويقولون: (نحن لا نعمل إلا بالقرآن فقط)، وهذا كفر برسالة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن القرآن أمرنا أن نأخذ بما صح عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر:٧]، والله أنزل القرآن على نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليبينه للناس: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤]، فلابد من السنة؛ لأن السنة تبين القرآن، وتفسر القرآن، وتوضح القرآن.

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مِنْ فِتْنَةِ الْبَرْزَخِ)**، الفتنة هي الاختبار[1]، فإن الميت

(١) انظر: العين (٨/ ١٢٧)، وتهذيب اللغة (١٤/ ٢١١)، والصحاح (٦/ ٢١٧٥)، ومقاييس اللغة (٤/ ٤٧٢).

إذا وضع في قبره، وسوي عليه التراب، وتولى عنه المشيعون: «**وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، يَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ وَيُجْلِسَانِهِ، وَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟**» هذه فتنة واختبار، هذا اختبار مثل اختبار الدنيا في الفتن والابتلاءات التي تظهر الصابر من غير الصابر، وكذلك في القبر يُختبر الإنسان، يُختبر ليظهر المؤمن من المنافق، المؤمن يستطيع الجواب، ولا يتلكأ؛ لأنه عاش على الإيمان: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾ [إبراهيم:٢٧]، عاش على الإيمان، فيستطيع الجواب بسهولة، وأما المنافق، فعاش على النفاق والكفر، فلايستطيع الجواب إذا وضع في قبره، فيقول: «**هَاه هَاه لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ**»[1]، ويحال بينه وبين الجواب، هذا من أعظم الفتن والامتحان، وهو موقف له ما بعده، إن نجا منه، نجا مما بعده، وإن لم ينجُ منه، فإنه لن ينجوَ مما بعده، فليس هذا بالهين، ولابالسهل، فعلى الإنسان أن يتذكر هذا: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم:٢٧]، ولو كان في هذه الدنيا من أفصح الناس، ولو كان متعلمًا وبليغًا وناطقًا وخطيبًا، وحافظًا لكل شيء من المتون ومن الشروح، إذا كان منافقًا، فإنه لا يستطيع الجواب، بل يتلجلج -والعياذ بالله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَمَا أَتَى فِي ذَا مِنَ الْأُمُورِ)**، كل هذا صح عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يجب الإيمان به، ولم ينكره إلا المعتزلة؛ لأن المعتزلة يعتمدون

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٣٢).

على عقولهم، ولا يؤمنون بما خالف عقولهم، فيقولون: (نحن لو كشفنا عن الميت، وجدناه كما وضعناه، لا نشاهد عنده نارًا ولا جنة)، فنقول لهم: هذا من أمور الآخرة، التي هي من علم الغيب، وليس هو من أمور الدنيا، أنتم في الدنيا، ولا تدركون هذا، والميت إما أنه في عذاب، وإما أنه في نعيم، وأنتم لاتشعرون بذلك، وربما يُدفن اثنان في قبر، واحد في نعيم، وواحد في عذاب، واحد في جنة، وواحد في نار، وهما متجاوران، والله على كل شيء قدير، وهذا من أمور الآخرة، لا تدركه العقول، ومن علم الغيب: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ [يونس:٣٩]، فيجب على المؤمن أن يؤمن بما صح عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يقول: (أنا لاأجد شيئًا)؛ يعني أن كل ما لا تعرفه لا يكون صحيحًا!! أمور الآخرة لايعلمها إلا الله عَزَّ وَجَلَّ، وعذاب القبر يتناول كل ميت، وكذلك نعيم القبر، يتناول كل ميت، سواءً دُفن أو صُلب أو أكلته السباع، أو أُلقي في البحر، يأتيه ما قدر له من عذاب أو نعيم، وهو في أي مكان، الله على كل شيء قدير(١).

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٤٧٨)، ومسلم (٢٧) (٢٧٥٧) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَّ رَجُلًا كَانَ قَبْلَكُمْ، رَغَسَهُ اللهُ مَالًا، فَقَالَ لِبَنِيهِ لَمَّا حُضِرَ: أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ، قَالَ: فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَإِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ، فَفَعَلُوا، فَجَمَعَهُ اللهُ** عَزَّ وَجَلَّ، **فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ؟ قَالَ: مَخَافَتُكَ، فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ**».

وَإِنَّ أَرْوَاحَ الْــوَرَى لَمْ تُــعْـدَمِ ... مَـعَ كَوْنِهَا مَخْلُوقَةً فَاسْتَفْهِمِ
فَـكُـلُّ مَـا عَـنْ سَـيِّـدِ الْخَـلْـقِ وَرَدْ ... مِـنْ أَمْـرِ هَـذَا الْـبَـابِ حَـقٌّ لَا يُـرَدْ

الشَّـرْح

من أمور البرزخ أمر الروح، فالروح لا يعلم حقيقتها إلا الله سُبْحَانَهُ، وهي موجودة فيك، وأنت لا تعلمها، ولا يعلمها أحد، لا يعلمها إلا الله، وهي من العجائب أن الإنسان الذي فيه روح يتحرك ويمشي، ويأكل ويشرب، ويضحك، فإذا نزعت الروح، صار جثة هامدة، لا حراك بها، هذا من آيات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فأين عقول المعتزلة؟! أين ذهبت؟! نقول لهم: علمونا عن الروح، إن كنتم أهل علم! لابد أنهم يقولون: (الروح من علم الغيب، لا يعلمها إلا الله)، ونقول: كذلك الأمور التي أخبر عنها الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلها من علم الغيب، والروح محدثة، خلقها الله بعد أن لم تكن، ولكنها لا تُعدم بالموت، الروح تبقى، الروح خلقت للبقاء، والجسم قد يفنى، ويصير ترابًا، ولكنه لا ينعدم، بل تبقى مادته، ويبقى عجب الذنب من الإنسان لا يفنى، والعذاب يكون على الروح وعلى البدن، والنعيم يكون على الروح وعلى البدن، ولو كان البدن ترابًا، فإنه يناله من العذاب ومن النعيم ما قدر الله له، والروح تتصل بالميت في قبره، ولذلك تُعاد إليه روحه عند سؤال الملكين، وتصعد وتنزل، وتكون في نعيم، وتكون في عذاب، ومن الأرواح ما هو في جنات النعيم، ومنها ما هو في أجواف طير في الجنة؛ كأرواح الشهداء، ومنها ما هو في سجِّين -والعياذ بالله-؛ كأرواح الكفار، فالروح لها أمور عجائب،

لا يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ولكن الاعتقاد أنها لا تفنى، وإنما هي خُلقت للبقاء، فإذا نُفخ في الصور النفخة الثانية، عادت الأرواح إلى أجسادها.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَكُلُّ مَا عَنْ سَيِّدِ الخَلْقِ وَرَدْ مِنْ أَمْرِ هَذَا الْبَابِ حَقٌّ لَا يُرَدْ)**، فقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَكُلُّ مَا عَنْ سَيِّدِ الْخَلْقِ) وهو محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ورد وصح عنه ذلك من هذه الأمور الغيبية، فإنه يجب الإيمان به، وعدم التردد فيه، وألا نتدخل بعقولنا وأفكارنا، هذا من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ومدارها على النقل لا على العقل، مدارها على النقل وما صح في الخبر.

فصل

فِي أَشْرَاطِ السَّاعَةِ وَعَلَامَاتِهَا الدَّالَّةِ عَلَى اقْتِرَابِهَا وَمَجِيئِهَا

الشَّرْح

هذا الفصل في بيان أشراط الساعة، والمراد بالساعة: يوم القيامة، حينما تنتهي الدنيا، وتبدأ الآخرة، وسُمي بالساعة؛ لأنه يحصل فجأة، وبسرعة، فكأنه ساعة، والله جَلَّوَعَلَا أخبر عن قيام الساعة، ولكنه لم يبين متى قيامها؛ أخفى الله هذا عن خلقه؛ كما أنه أخفى وقت الموت عن بني آدم، فلا يدري أحد متى يموت، ولا يدري أحد متى تقوم الساعة.

حكمته في ذلك -والله أعلم-: من أجل أن يستعد الناس بالأعمال الصالحة، وألا ينتظروا أو يؤخروا؛ لأنهم لا يدرون متى يحصل الموت لكل فرد، ومتى تقوم الساعة بالنسبة للجميع، فلهما نهاية لابد منها، ولكن وقت ذلك عند الله جَلَّوَعَلَا، لا يعلمه إلا هو، لا ملك مقرب، ولانبي مرسل يعلم متى تقوم الساعة، ولهذا لما سأل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ نبينا محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ»؛ يعني: عن قيام الساعة متى؟ «**قَالَ: مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**»[1]، ما المسؤول عنها -وهو محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بأعلم من السائل -وهو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ-، كل منهما لا يدري متى تقوم

(١) سبق تخريجه (ص١٠).

الساعة؛ لأن الله استأثر بعلم ذلك، فلم يطلع عليه أحدًا، ولهذا قال جَلَّوَعَلَا: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ﴾ [الأعراف:١٨٧]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب:٦٣]؛ لأنهم ليس لهم مصلحة في معرفة قيام الساعة، وإنما مصلحتهم في العمل الصالح، هذا هو الذي أُمروا به، وهو الذي يجب أن يسألوا عنه، ويعتنوا به، وأما وقت قيام الساعة، فليس لهم مصلحة في ذلك، بل مصلحتهم في عدم معرفته؛ حتى يستعدوا، ولا يؤخروا التوبة، فعلم قيام الساعة من الأمور التي لايعلمها إلا الله سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان:٣٤]، هذه الخمس لا يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:٥٩]، وأما ما للناس مصلحة في إطلاع الرسل عليه، فقد أطلع الله رسله على شيء من المغيبات لمصلحة البشر، إلا هذه الخمس؛ فإن الله لم يطلعهم عليها، بل استأثر بعلمها سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ومنها قيام الساعة، ولكن قيام الساعة له علامات، إذا حدثت، دلت على قرب قيامها؛ كما قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ﴾ [الزخرف:٦٦]، ينظرون: يعني ينتظرون، ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد:١٨] أشراطها: أي علاماتها؛ لأن

الشرط في اللغة هو العلامة[(١)]، وقد ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الأشراط، وقد جاء في الكتاب والسنة ذكر هذه العلامات، وهذه العلامات تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الذي حصل، وانتهى.

والقسم الثاني: المتوسط.

والقسم الثالث: العلامات الكبار.

فالذي مضى وانتهى مثل بعثة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن بعثة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من علامات الساعة؛ لأنه آخر الأنبياء صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا نبي بعده، ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ**»، وَأَشَارَ بِأُصْبُعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى[(٢)]، ويُسمى نبي الساعة.

ومنها: ما حصل من الحوادث بعد وفاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كالحروب التي حصلت، والملاحم والفتن التي حصلت، وانتهت[(٣)].

---

(١) قال ابن منظور في لسان العرب (٧/ ٣٢٩): «والشَّرَطُ بالتحريك العلامة والجمع أَشْراطٌ وأَشْراطُ الساعةِ أَعْلامُها وهو منه وفي التنزيل العزيز ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾»، وانظر أيضًا: التعريفات للجرجاني (ص١٦٦)، وتاج العروس (١٩/ ٤٠٥). وانظر: تفسير الطبري (٢١/ ١٠٦)، وزاد المسير (٤/ ١١٨)، وابن كثير (٧/ ٣١٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٢١٤) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وأخرجه البخاري (٤٩٣٦، ٥٣٠١) من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه البخاري(٦٥٠٤)، ومسلم (١٣٣) (٢٩٥١)، (١٣٥) (٢٩٥١) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأخرجه البخاري (٦٥٠٥)، ومسلم (٤٢) (٢٩٨٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومسلم (٤٣) (٨٦٧) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٧١٢١)، ومسلم (١٧) (١٥٧)، واللفظ للبخاري، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ، يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، دَعْوَتُهُمَا وَاحِدَةٌ**.....».

ومنها: ظهور النار من حرة المدينة، حتى أضاءت لها أعناق الإبل في الشام، وهي نار ظهرت في الحرة، ومكثت أيامًا، هذا من علامات الساعة التي مضت وانتهت(١).

والمتوسطة -والله أعلم- مثل: ما نعيش فيه الآن من هذه المخترعات الحديثة، التي قربت البعيد، هذه من علامات الساعة، هذه المخترعات، وهذه المراكب الحديثة، والصناعات.

ومنها: ظهور كنوز الأرض، هذا من علامات الساعة(٢).

ومنها: كثرة المال(٣)، ويكون المال في يد لكع بن لكع في آخر الزمان؛

---

(١) أخرجه البخاري (٧١١٨)، ومسلم (٤٢) (٢٩٠٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الإِبِلِ بِبُصْرَى**».

(٢) أخرجه مسلم (٦٢) (١٠١٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَقِيءُ الْأَرْضُ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا، أَمْثَالَ الْأُسْطُوَانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَتَلْتُ، وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ رَحِمِي، وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قُطِعَتْ يَدِي، ثُمَّ يَدَعُونَهُ فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا**».

(٣) أخرجه البخاري (٧١٢١)، ومسلم (١٧) (١٥٧)، واللفظ للبخاري، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «...**وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المَالُ فَيَفِيضَ حَتَّى يُهِمَّ رَبَّ المَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ: لَا أَرَبَ لِي بِهِ**...».
وأخرج البخاري (٣١٧٦) عن عَوْفِ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، فَقَالَ: «**اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ المَقْدِسِ، ثُمَّ مُوْتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ المَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ العَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأَصْفَرِ، فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا**».

يعني: يكون في يد أراذل الناس(١).

ومنها: إسناد الأمور إلى غير أهلها، وتضييع الأمانة، قال ﷺ: «**فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**»، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «**إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**»(٢).

ومنها: فشو الربا، وكثرة الفساد، وكثرة الزنا، وكثرة المسكرات والمنكرات، هذه من علامات الساعة المتوسطة.

ومنها: زخرفة المساجد، ورفع المنابر في المساجد، وغير ذلك مما جاء في الحديث(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (٣٩/ ٥٧)، والطبراني في مسند الشاميين (٤/ ٢٥١) عَنْ عَبْدِ المَلِكِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ بَعْضٍ، أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُوشِكُ أَنْ يَغْلِبَ عَلَى الدُّنْيَا لُكَعُ بْنُ لُكَعٍ، وَأَفْضَلُ النَّاسِ مُؤْمِنٌ بَيْنَ كَرِيمَتَيْنِ». لَمْ يَرْفَعْهُ».

(٢) أخرجه البخاري (٥٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ القَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ القَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ: «**أَيْنَ -أُرَاهُ- السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ**»، قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**»، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «**إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**».

(٣) أخرجه الترمذي (٢٢١٠) عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا فَعَلَتْ أُمَّتِي خَمْسَ عَشْرَةَ خَصْلَةً حَلَّ بِهَا البَلَاءُ**»، فَقِيلَ: وَمَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**إِذَا كَانَ المَغْنَمُ دُوَلًا، وَالأَمَانَةُ مَغْنَمًا، وَالزَّكَاةُ مَغْرَمًا، وَأَطَاعَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ، وَعَقَّ أُمَّهُ، وَبَرَّ صَدِيقَهُ، وَجَفَا أَبَاهُ، وَارْتَفَعَتِ الأَصْوَاتُ فِي المَسَاجِدِ، وَكَانَ زَعِيمُ القَوْمِ أَرْذَلَهُمْ، وَأُكْرِمَ الرَّجُلُ مَخَافَةَ شَرِّهِ، وَشُرِبَتِ الخُمُورُ، وَلُبِسَ الحَرِيرُ، وَاتُّخِذَتِ القَيْنَاتُ وَالمَعَازِفُ، وَلَعَنَ آخِرُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَوَّلَهَا، فَلْيَرْتَقِبُوا عِنْدَ ذَلِكَ رِيحًا حَمْرَاءَ أَوْ خَسْفًا وَمَسْخًا**».

ومنها: المباهاة في المساجد[(١)].

ومنها: تضييع الصلاة والتهاون بها، كل هذا من علامات الساعة المتوسطة.

ثم تأتي العلامات الكبار المتتابعة: كظهور المهدي، وخروج الدجال، ونزول المسيح عيسى بن مريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخروج يأجوج ومأجوج، وظهور الدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وآخرها النار التي تخرج من قعر عدن، والتي تسوق الناس إلى المحشر، هذه كلها علامات كبار متتابعة[(٢)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٤٩)، وابن ماجه (٧٣٩)، والنسائي (٧٧٠)، وأحمد (١٩/ ٣٧٢)، والدارمي (١٤٤٨)، وابن خزيمة (٢/ ٢٨١)، وابن حبان (٤/ ٤٩٣) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَبَاهَى النَّاسُ فِي الْمَسَاجِدِ**».

(٢) أخرجه مسلم (٣٩) (٢٩٠١) عَنْ أَبِي حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: اطَّلَعَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غُرْفَةٍ، وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ السَّاعَةَ، فَقَالَ: «**إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ**» -فَذَكَرَ- «**الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ**».

وَمَـا أَتَـى فِي الـنَّصِّ مِـنْ أَشْـرَاطْ ... فَـكُـلُّـهُ حَــقٌّ بِـلاَ شَـطَـاطْ
مِنْهَا الْإِمَـامُ الْخَـاتَمُ الْفَصِيحْ ... مُحَـمَّـدُ الْمَـهْـدِيُّ وَالْمَسِيـحْ
وَإِنَّــهُ يَـقْـتُـلُ الـدَّجَّــالْ ... بِـبَـابِ لُـدٍّ خَـلِّ عَـنْ جِـدَالْ

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَمَا أَتَى فِي النَّصِّ) من القرآن أو من السنة الصحيحة من ذكر علامات الساعة -أي: أشراط الساعة-، فهو حق يجب الإيمان به، ولا يجوز الشك فيه، أو تكذيبه، أو تأويله؛ أي: تفسيره بغير حقيقته؛ كما يفعل المتلاعبون من التأويل الفاسد؛ إما أن يكذبوا النصوص، وإما أن يحرفوها، بل يجب الإيمان بها على حقيقتها، وعلى مدلولها من غير تصرف فيها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بِلَا شَطَاطْ)؛ يعني: بلا تردد وبعد عن معناه، الشطط: هو البعد، والشطاط هو الشطط بمعنى واحد؛ أي:البعد عن ما تدل عليه من الحق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مِنْهَا)؛ أي: أولها (الْإِمَامُ)؛ أي: أول العلامات الكبار (الْإِمَامُ الخَاتَمُ) للأئمة (الْفَصِيحْ)؛ لأنه من العرب ومن قريش، هذه صفات المهدي؛ أنه إمام يبايع له المسلمون، ويتقلد الأمر، ويصير إمامًا للمسلمين عندما يحصل بين المسلمين فتن وشقاق، ولا يكون لهم إمام يتبعونه، يظهر الله هذا الرجل من بيت الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من ولد الحسن بن علي، اسمه محمد بن عبد الله، اسمه يوافق اسم الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واسم أبيه يوافق اسم أبي الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: (الْفَصِيحْ)؛ لأنه من أفصح العرب من قريش،

بل من بني هاشم، وهم أفصح العرب لسانًا، فيبايعه الناس على حين فساد من الأمر وشقاق بين الناس، فيبايعونه، فيجتمعون عليه، ويقودهم للجهاد في سبيل الله، ويحصل على يده خير كثير، وجمع للكلمة، ونصرة للإسلام بعد الشتات، واتفاق بعد الافتراق، هذا من رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا لابد من اعتقاده؛ لأنه صحت به الأحاديث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(مِنْهَا الْإِمَامُ)**، الذي هو ولي الأمر المقتدى به.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(الْخَاتَمُ)**؛ يعني: خاتم الأئمة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(مُحَمَّدُ الْمَهْدِيُّ)**، هذا محمد اسمه، والمهدي لقبه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَالْمَسِيحْ)**، هذا هو العلامة الثانية، نزول المسيح عيسى ابن مريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقبله خروج الدجال؛ يعني: في خلافة المهدي يظهر المسيح الدجال، الذي حذرت منه الأنبياء، وأكثرهم تحذيرًا منه نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولهذا شرع لنا أن نستعيذ من فتنته في آخر كل صلاة، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ الْآخِرِ، فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**»(١).

---

(١) أخرجه مسلم(١٢٨) (٥٨٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأخرجه البخاري (٨٣٢)، ومسلم (١٢٩) (٥٨٩) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَخْبَرَتْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا، وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ**» فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنَ الْمَغْرَمِ، فَقَالَ: «**إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ، حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ**».

سُمي بالمسيح؛ لأنه ممسوح العين[1] أعور[2]، وقيل: لأنه يمسح الأرض بسرعة؛ أي: لسرعة مشيه، ولسرعة سيره في الأرض، فيمسحها بسرعة[3]، والدجال من الدجل، وهو الكذب[4]؛ لما معه من الكذب والفتنة، حتى إنه يأمر السماء، فتمطر، ويأمر الأرض، فتنبت، ويأمر الأرض، فتخرج كنوزها، ومعه صورة جنة وصورة نار، فالنار التي معه هي الجنة، والجنة التي معه هي النار، ولكن يتراءى للناس خلاف الحقيقة، ففتنته عظيمة وشديدة[5]، ويتبعه خلق كثير، يفتتنون به، وأكثر من معه اليهود -لعنهم الله-، فإنه هو إمام اليهود، وهو يظهر في اليهود[6]، وإن تجمعهم -والله أعلم- الآن في

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٥) (٢٩٣٤) من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه «... **وَإِنَّ الدَّجَّالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ، عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ غَلِيظَةٌ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ...**».

(٢) أخرجه البخاري (٧١٣١)، ومسلم -واللفظ له- (١٠١) (٢٩٣٣) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ، أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَمَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ك ف ر**».

(٣) انظر مادة (مسح) في: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٣٢٦)، ولسان العرب (٢/ ٤٩٣).

(٤) انظر مادة (دجل) في: العين (٦/ ٨٠)، وتهذيب اللغة (١٠/ ٣٤٤)، والصحاح (٤/ ١٦٩٥)، ومقاييس اللغة (٢/ ٣٢٩)، ولسان العرب (١١/ ٢٣٦).

(٥) أخرجه مسلم (١١٠) (٢٩٣٧)، وفيه: «**...فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ، أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ، فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ، فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ....**».

(٦) أخرجه مسلم (١٢٤) (٢٩٤٤) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ، سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ**».

فلسطين؛ تمهيدًا لظهور الدجال منهم، فيتبعونه، ويفتتن فيه خلق كثير، إلا من ثبته الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يبقى محل إلا ويأتيه، إلا مكة والمدينة(١)، ولكن من أراد الله فتنته، فإنه يخرج إليه من مكة والمدينة، ثم ينزل المسيح عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيقتله.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَإِنَّهُ يَقْتُلُ الدَّجَّالْ بِبَابِ لُدٍّ خَلٍّ عَنْ جِدَالْ)**، حينما يظهر الدجال، ويحصل على المسلمين ما يحصل من الفتن، يجيء الله جَلَّ وَعَلَا بالفرج، فينزل المسيح عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ من السماء؛ لأن الله رفعه إلى السماء، وبقي حيًا، ثم ينزل في آخر الزمان بأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ﴾ [الزخرف:٦١]؛ أي: نزول المسيح علامة على قرب الساعة، وفي قراءة: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف:٦١](٢)؛ أي: علامة على

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٨٠)، ومسلم (٤٨٥) (١٣٧٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «**عَلَى أَنْقَابِ المَدِينَةِ مَلَائِكَةٌ لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ، وَلَا الدَّجَّالُ**».
وأخرج مسلم (٨٩، ٩٠) (٢٩٢٧) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قول ابْنُ صَيَّادٍ لَهُ: «أَلَسْتَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «**إِنَّهُ لَا يُولَدُ لَهُ**» قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَقَدْ وُلِدَ لِي، أَوَلَيْسَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «**لَا يَدْخُلُ المَدِينَةَ وَلَا مَكَّةَ**» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَقَدْ وُلِدْتُ بِالمَدِينَةِ، وَهَذَا أَنَا أُرِيدُ مَكَّةَ، أَلَمْ يَقُلْ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّهُ يَهُودِيٌّ**»، وَقَدْ أَسْلَمْتُ».
وأخرج ابن ماجه (٤٠٧٧) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «...وَإِنَّهُ لَا يَبْقَى شَيْءٌ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا وَطِئَهُ، وَظَهَرَ عَلَيْهِ، إِلَّا مَكَّةَ، وَالمَدِينَةَ، لَا يَأْتِيهِمَا مِنْ نَقْبٍ مِنْ نِقَابِهِمَا إِلَّا لَقِيَتْهُ المَلَائِكَةُ بِالسُّيُوفِ صَلْتَةً...».
(٢) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة (١/ ٤٠٠)، والمفردات في غريب القرآن (١/ ٥٨١)، وبصائر ذوي التمييز (٦/ ١١٢).

الساعة، وهو نزول المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، فينزل في آخر الزمان حينما تشتد فتنة المسيح الدجال، فيقتله بـ«باب لُدٍّ»، على وزن «مُدٍّ»، مدينة من مدن فلسطين، فيطلبه عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، إذا علم الدجال بنزول المسيح، هرب، فيطلبه عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويدركه بـ«باب لُدٍّ»، ويقتله، ويريح الله المسلمين من شره[1].

وعيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ سُمي بالمسيح؛ لأنه يمسح على ذي العاهة، فيبرأ بإذن الله؛ كما قال تعالى: ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٤٩].

---

(١) أخرجه مسلم (١١٠) (٢٩٣٧) عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «...فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ المَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ المَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ....». وانظر: البداية والنهاية (١٩/ ٢٣٧-٤٣٩).

وَأَمْـرُ يَـأْجُـوجَ وَمَـأْجُـوجَ أَثْبِتِ   فَـإِنَّـهُ حَـقٌّ كَـهَـدْمِ الْـكَعْـبَـةِ

الشَّرْح

في وقت المسيح عيسى بن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يظهر يأجوج ومأجوج، وهذه العلامة الرابعة؛ خروج يأجوج ومأجوج: وهم أمة عظيمة من بني آدم، قيل: (إنهم من ذرية يافث بن نوح)، وقيل: غير ذلك، والله أعلم، المهم أنهم من بني آدم، وهم أمة عظيمة، كانوا يفسدون في الأرض، وهم أهل ظلم، وأهل بطش، وبأس شديد، فلما جاء ذو القرنين الإسكندر المقدوني، وطاف الأرض؛ كما ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾ [الكهف:٨٣-٨٦]، فهو قد ذهب إلى مطلع الشمس، ثم ذهب إلى مغرب الشمس، ثم ذهب إلى السدين -جبلين عظيمين-، فهناك قال له الناس: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ [الكهف:٩٤]؛ يعني: نجعل لك مال خراج، وفي قراءة: (فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرَاجًا)؛ يعني مالًا ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ﴾ ذو القرنين: ﴿مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ﴾؛ يعني: لا أريد منكم شيئًا؛ لما عندي من استعداد، ﴿فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف:٩٤-٩٥]، فأقام السد بين الجبلين العظيمين من الحديد والنحاس، فلم يستطيعوا حين ذاك ﴿أَن يَظْهَرُوهُ﴾ [الكهف:٩٧]؛ يعني: أن يتسلقوه، ﴿وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا﴾ [الكهف:٩٧]؛ يعني: خرقًا، فمنعهم الله به من أن يفسدوا في الأرض، وصار

حائلًا بينهم وبين الناس، ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ [الكهف:٩٨]، ولكن إذا جاء آخر الزمان، فإن هذا السد يزول: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف:٩٨]، فيخرقونه في آخر الزمان، فيسيحون في الأرض، ويعيثون في الأرض فسادًا وقتلًا، ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨) وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ [الكهف:٩٨-٩٩]، فيحصل فساد في الأرض وقتل، ثم إن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذا الوقت يأمره الله بأن يحرز المسلمين إلى الطور، إلى بلاد بالطور؛ ليتحصنوا بها من يأجوج ومأجوج، ثم يدعون الله عَزَّ وَجَلَّ، ويتضرعون إليه، ثم ينزل الله فيهم مرضًا يأخذ برقابهم، فيهلكون جميعًا، فإذا علم المسلمون بهلاكهم، يخرجون من حصونهم، فيجدون الأرض مملوءة بجثثهم ورائحتهم المنتنة، فيدعون الله مرة ثانية أن يذهب جثثهم، فيبعث الله طيرًا، فتحمل جيفهم إلى حيث شاء الله، ثم ينزل الله مطرًا يغسل به الأرض بعدهم، ويستريح المسلمون من شرهم(١).

---

(١) أخرجه مسلم (١١٠) (٢٩٣٧) عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «...ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ، وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ =

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَإِنَّهُ حَقٌّ)**؛ أي: أمر يأجوج ومأجوج في القرآن، ذكره الله في القرآن: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ ﴾ [الأنبياء:٩٦-٩٧]، وقد جاء وصفهم في السنة والأحاديث الصحيحة، ووصف ما يجري منهم، وهذا من علامات الساعة الكبار.

بعد ذلك بعد ما يُهلك الله يأجوج ومأجوج، يموت المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ويُدفن؛ لأن الله أخبر أنه يموت: ﴿ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦ ﴾ [النساء:١٥٩]؛ أي: موت المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فدل على أنه يموت في آخر الزمان، وإنما أبقاه الله إلى ذلك الوقت لحكمة، ثم يموت؛ كما قال سُبۡحَانَهُۥ: ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا ﴾ [آل عمران:١٨٥]، ﴿ وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَ ﴾ [الأنبياء:٣٤]، ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِ ﴾ [آل عمران:١٨٥]، فيموت عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قيل: (إنه يموت في المدينة، ويُدفن عند قبر الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، والله أعلم، المهم أنه يموت؛ كما في القرآن، ثم يبعث الله ريحًا طيبة، يقبض الله بها روح كل مؤمن ومؤمنة، فلا يبقى في الأرض إلا شرار الناس[1]، إذا لم يبق في الأرض إلا شرار الناس، يُرفع القرآن، يُرفع من

=إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللهِ، فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ....».

(١) أخرجه مسلم (١٧٦) (١٩٢٤) حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ وَهْبٍ، حَدَّثَنَا عَمِّي عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ، حَدَّثَنِي =

الصدور ومن المصاحف، فلا يبقى منه شيء في أيدي الناس(١)، وهذا معنى قول أهل السنة: (منه بدأ -أي: من الله- وإليه يعود)؛ يعني: في آخر الزمان يعود القرآن إلى الله جَلَّ وَعَلَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كَهَدْمِ الْكَعْبَةِ)**، ومن علامات الساعة أيضًا هدم الكعبة(٢)، الكعبة بيت الله العتيق، الذي حماه الله جَلَّ وَعَلَا من أيدي الجبابرة،

=عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شِمَاسَةَ الْمَهْرِيُّ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ مَسْلَمَةَ بْنِ مُخَلَّدٍ، وَعِنْدَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو ابْنِ الْعَاصِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ الْخَلْقِ، هُمْ شَرٌّ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَدْعُونَ اللهَ بِشَيْءٍ إِلَّا رَدَّهُ عَلَيْهِمْ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، فَقَالَ لَهُ مَسْلَمَةُ: يَا عُقْبَةُ، اسْمَعْ مَا يَقُولُ عَبْدُ اللهِ، فَقَالَ عُقْبَةُ: هُوَ أَعْلَمُ، وَأَمَّا أَنَا فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «**لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللهِ، قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ**»، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: أَجَلْ، «ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا كَرِيحِ الْمِسْكِ مَسُّهَا مَسُّ الْحَرِيرِ، فَلَا تَتْرُكُ نَفْسًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا قَبَضَتْهُ، ثُمَّ يَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ».

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٤٩) عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ، وَلَا صَلَاةٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ، يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا. فَقَالَ لَهُ صِلَةُ: مَا تُغْنِي عَنْهُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا صَلَاةٌ، وَلَا صِيَامٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلَّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَالَ: يَا صِلَةُ، تُنْجِيهِمْ مِنَ النَّارِ ثَلَاثًا**».

(٢) أخرجه البخاري (١٥٩١، ١٥٩٦)، ومسلم (٥٧) (٢٩٠٩) عَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُخَرِّبُ الْكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ**». =

ولذلك سمي بالبيت العتيق، فلا أحد يتمكن من هدمه، ولما أراد أبرهة ملك الحبشة أن يهدمه، أرسل الله عليه الطير الأبابيل، فأهلكتهم عن آخرهم، وبقي البيت، وسيبقى إلى أن يشاء الله في آخر الزمان، عندما يحصل الفساد في الأرض، وينتشر، ولا يبقى على وجه الأرض مسلم؛ كما أنه يُرفع القرآن، كذلك يُهدم البيت، فلا يبقى بيت على وجه الأرض، والذي يهدمه رجل يقال له: ذو السويقتين من الحبشة، فينقضه حجرًا حجرًا، وذلك حين ينتهي الإسلام من الأرض، ولا يبقى فيها، إلا أهل الفساد، فيُرفع القرآن، وتُهدم الكعبة.

❁❁❁

= وَلِلْبُخَارِيِّ (١٥٩٥) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**كَأَنِّي بِهِ أَسْوَدَ أَفْحَجَ، يَقْلَعُهَا حَجَرًا حَجَرًا**».

وَلِأَبِي دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**كَأَنِّي يُبَايَعُ لِرَجُلٍ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالمَقَامِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَسْتَحِلُّ هَذَا الْبَيْتَ أَهْلُهُ، فَإِذَا اسْتَحَلُّوهُ فَلَا تَسْأَلْ عَنْ هَلَكَةِ الْعَرَبِ ثُمَّ يَجِيءُ الحَبَشَةُ فَيُخَرِّبُونَهُ خَرَابًا لَا يَعْمُرُ بَعْدَهُ، وَهُمُ الَّذِينَ يَسْتَخْرِجُونَ كَنْزَهُ**».

أخرجه الطيالسي في مسنده (٤/ ١٢٧) بدون لفظة «كَأَنِّي»، وكذا أخرجه أحمد في مسنده (١٣/ ٢٨٩، ٤٧٤، ١٤/ ٩٢، ٢٦٧)، والحاكم في مستدركه (٤/ ٤٩٩).

وَإِنَّ مِنْهَا آيَةَ الدُّخَانِ وَإِنَّهُ يُذْهَبُ بِالْقُرْآنِ

الشَّرْح

كذلك من علامات الساعة الدخان[١]، قال تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾ [الدخان:١٠]، فالدخان قيل: إنه هو الدخان الذي حصل في وقت الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المجاعة التي حصلت على قريش، حتى صاروا من شدة الجوع، إذا رفع أحدهم رأسه إلى السماء يرى مثل الدخان من شدة الدخان: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [الدخان:١٠-١١]، والصحيح أنه دخان يأتي في آخر الزمان، وليس هو الدخان الذي تراءى للناس وقت المجاعة على قريش، وإنما هو دخان يأتي في آخر الزمان، يملأ الدنيا، فالمؤمن يصيبه منه مثل الزكمة، وأما الكافر، فإنه يتضرر منه، ويدخل في جوفه وأنفه وفمه، ويتضرر؛ لأنه عذاب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَإِنَّهُ يُذْهَبُ بِالْقُرْآنِ)**؛ أي: يرفع؛ كما عرفناه.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٩) (٢٩٠١)، وأبو داود (٢٩٠١)، والترمذي (٢١٨٣)، وابن ماجه (٤٠٥٥)، وأحمد (٢٦-٦٣)، والطيالسي (٢/ ٣٩٤) عَنْ أَبِي حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «اطَّلَعَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غُرْفَةٍ، وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ السَّاعَةَ، فَقَالَ: «**إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ**» -فَذَكَرَ- «**الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ**».

طُلُوعُ شَمْسِ الْأُفُقِ مِنْ دَبُورٍ كَذَاتِ أَجْيَادٍ عَلَى الْمَشْهُورِ

الشَّرح

هذا آخر العلامات: طلوع الشمس من مغربها[1]، جعل الله جَلَّ وَعَلَا الشمس تظهر من المشرق، وتغيب في المغرب؛ كما هو المشاهد، وكما في قوله سُبْحَانَهُ على لسان إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، لما حاج النمرود الجبار، الذي قال: (أنا أحيي وأميت)، ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة:٢٥٨]، انقطع وانخصم، ولم يستطع الإجابة، أجرى الله جَلَّ وَعَلَا العادة على أن الشمس تخرج من المشرق، وتغرب في المغرب، في فلكها، تخرج على أناس، وتغيب عن أناس، يتعاقب الليل والنهار، يأتي هذا، ويذهب هذا، إلى آخر الزمان، فحينئذٍ بدل أن تخرج الشمس من المشرق، تخرج من المغرب، وهذا عند خراب الدنيا ونهاية الدنيا، وحينئذٍ إذا طلعت الشمس من مغربها، لا تُقبل التوبة، ولا يُقبل إسلام الكافر، والمذنب والعاصي إذا تاب من ذنبه، لا تُقبل توبته، قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام:١٥٨]، ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾، بعض آيات ربك، وهو طلوع الشمس من مغربها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(طُلُوعُ شَمْسِ الْأُفُقِ مِنْ دَبُورٍ)** الدبور: هو الغرب، سمي دبورًا؛ لأنه دبر الكعبة.

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٤٤). وانظر: النهاية في الفتن والملاحم (١/ ٢١٥)، وتفسير البغوي (٣/ ٢٠٧)، وتفسير القرطبي (٧/ ١٤٦-١٤٧).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كَذَاتِ أَجْيَادٍ عَلَى المَشْهُورِ)**؛ أي: كذلك من علامات الساعة **(ذَات أَجْيَادٍ)**، وهي الدابة[1] التي تخرج من أجياد على القول المشهور من أقوال أهل العلم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل:٨٢]، دابة تخرج في مكة، قيل: تخرج من أجياد، من بين جبال أجياد، تخرج على الناس، وتسمهم، تكتب على المؤمن مؤمن، وتكتب على الكافر كافر، ولا تدع أحدًا على وجه الأرض، إلا وتكتب هل هو مؤمن أو كافر، فيصبح الناس متمايزين؛ هذا مؤمن، وهذا كافر[2].

---

(١) سبق تخريجه (ص ٢٧٢).

(٢) أخرجه الطيالسي (٢/ ٣٩٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩/ ٢٩٢٣) عَنْ حُذَيفَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: ...قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَمَا النَّاسُ فِي أَعْظَمِ المَسَاجِدِ عَلَى اللهِ حُرْمَةً خَيْرِهَا وَأَكْرَمِهَا عَلَى اللهِ تَعَالَى المَسْجِدِ الحَرَامِ، لَمْ يَرُعْهُمْ إِلَّا وَهِيَ ترْغُو بَيْنَ الرُّكْنِ وَالمَقَامِ، تَنْفُضُ عَنْ رَأْسِهَا التُّرَابَ فَارْفَضَّ النَّاسُ مِنْهَا شَتَّى، وَيَثْبُتُ عِصَابَةٌ من الْمُؤْمِنِيْن، وَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَمْ يُعْجِزُوا اللهَ تَعَالَى فَبَدَأَتْ بِهِمْ، فَجَلَّتْ وُجُوهَهُمْ حَتَّى جَعَلَتْهَا كَالكَوْكَبِ الدُّرِّيِّ، وَوَلَّتْ فِي الْأَرْضِ، لا يُدْرِكُهَا طَالِبٌ، وَلَا يَنْجُو مِنْهَا هَارِبٌ؛ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَعَوَّذُ مِنْهَا بِالصَّلَاةِ، فَتَأْتِيهِ مِنْ خَلْفِهِ فَتَقُولُ: يَا فُلَانُ، الْآنَ تُصَلِّي؟ فَتُقْبِلُ عَلَيه، فَتَسِمُهُ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ تَنْطَلِقُ، وتَشْتَرِكُ النَّاسُ فِي الْأَمْوَالِ، وَيَصْطَلِحُونَ فِي الْأَمْصَارِ، يُعْرَفُ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْكَافِرِ، حَتَّى إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَقُولُ: يَا كَافِرُ! اقْضِ حَقِّي، وَحَتَّى إِنَّ الْكَافِرَ يَقُولُ: يَا مُؤْمِنُ! اقْضِ حَقِّي».

وَآخِـرُ الْآيَـاتِ حَـشْـرُ الـنَّـارِ كَـمَـا أَتَـى فِي مُحْكَمِ الْأَخْـبَـارِ
فَكُلُّهَا صَحَّتْ بِهَا الْأَخْبَارُ وَسَطَّرَتْ آثَارَهَا الْأَخْيَارُ

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَآخِرُ الْآيَاتِ حَشْرُ النَّارِ)، وهي نار تخرج من قعر عدنن تسوق الناس إلى أرض المحشر في الشام، تبيت بهم إذا باتوا، وتقيل معهم إذا قالوا، ولا تترك أحدًا إلا وتسوقه من المشرق والمغرب والجنوب، ومن كل مكان؛ كما أتى ذلك في محكم الأخبار؛ أي: الأدلة عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(١).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَكُلُّهَا صَحَّتْ بِهَا الْأَخْبَارُ وَسَطَّرَتْ آثَارَهَا الْأَخْيَارُ)، كل هذه العلامات التي ذكرها صحت بها الأخبار؛ من القرآن، ومن السنة عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيجب الإيمان بها، ولا يجوز التردد فيها، أو التشكيك فيها، أو تأويلها؛ لأن هناك من جهال الكتاب أو من أهل الضلال من يحرف هذه الآيات، ويُنكر مدلولها، يُنكربعضهم نزول المسيح عيسى بن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وبعضهم يُنكر خروج المهدي، وبعضهم يُنكر خروج الدجال.

الواجب على المؤمن الإيمان بما صح في كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن لا يُحكم عقله، وألا يكذب بآيات الله؛ كما قال تعالى:

(١) أخرجه مسلم (٣٩) (٢٩٠١)، وأبو داود (٤٣١١)، والترمذي (٢١٨٣)، وأحمد (٢٦/ ٦٦)، عَنْ أَبِي حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «...وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنَ تَسُوقُ النَّاسَ، أَوْ تَحْشُرُ النَّاسَ، فَتَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا». وانظر: النهاية في الفتن والملاحم (١/ ٢٨٤-٢٨٧).

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس:٣٩]، فالمؤمن لايتدخل في الأدلة، بل يثبتها كما جاءت، ويؤمن بها، إن كان عرف معناها، فالحمد لله، وإلا يُسلم لله ولرسوله، ولا يجهد نفسه ويتعسف، ويضلل الناس، ويشككهم في أمور دينهم.

وعلامات الساعة أُلف فيها مؤلفات، منها: (النهاية) لابن كثير، آخر كتاب (البداية والنهاية)، ومنها: كتاب (الإشاعة في أشراط الساعة) لابن رسول البرزنجي، وهو موجود ومطبوع، ومنها كتاب (الإذاعة في أشراط الساعة) للشيخ صديق حسن خان القنوجي، وهو مطبوع ومتداول، ومن آخرها ما ألفه الشيخ حمود التويجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو كتاب (إتحاف الجماعة في ذكر أشراط الساعة)، وهو كتاب يتكون من مجلدين، وهو كتاب ضخم، وغزير العلم، وغزير الفائدة -رحمه الله، وجزاه خيرًا-، وهو مطبوع ومتداول، والعلماء يذكرون أشراط الساعة في آخر كتب العقائد؛ مثل: السفاريني هنا، فالعلماء يذكرونها في كتب العقائد؛ لأنه يجب اعتقادها، والإيمان بها وعدم التلاعب بها.

فصل

في أَمْرِ المَعَادِ

الشَّرح

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَصَلٌ فِي أَمْرِ المَعَادِ)** المعاد: مصدر عاد يعود معادًا وعودًا، والمراد به يوم القيامة، الذي فيه البعث؛ لأن الله يعيد الناس كما كانوا، فسُمي المعاد من العود[1]؛ لأن الله يعيد الخلق: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٤]، فهذه الحياة الدنيا بعدها الموت، ثم بعد الموت البعث، الدور ثلاث -كما جاء في الكتاب والسنة-:

الدار الأولى: دار الدنيا، وهذه للعمل.

الدار الثانية: ودار البرزخ، وهي القبر، وهذه دار انتظار مؤقتة.

والدار الثالثة: دار القرار، وهي دار الآخرة: ﴿وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ [غافر:٣٩]، يستقر الخلق فيها، لا انتقال منها، فالدنيا انتقلوا منها إلى القبور، والقبور انتقلوا منها إلى الدار الآخرة، ولا انتقال بعدها؛ أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار أبد الآباد، فالآخرة هي جزاء على الأعمال التي حصلت في الدنيا، فالدنيا دار عمل، والآخرة دار الجزاء، وهذا من حكمة الله جَلَّ وَعَلَا؛ أنه لم يخلق الخلق عبثًا، بحيث أنهم في هذه الدنيا يعملون الصالحات، أو يعملون السيئات، ويتركون بلا جزاء، هذا لا يليق بعدل الله سُبْحَانَهُ

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (٣/ ٨٢)، والصحاح (٢/ ٥١٤)، ومقاييس اللغة (٤/ ١٨١)، ولسان العرب (٣/ ٣١٧).

وحكمته، لابد أن هذه الأعمال لها نتائج: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون:١١٥]، الكافر يكفر، ويفسق، ويتمردن ويُترك؟!!، والمحسن يُحسن، ويعمل الصالحات، ويفني حياته في الطاعات، ويذهب عمله سُدى؟!! هذا لايليق بحكمة الله ولا بعدل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذا هو المعاد، ويوم المعاد هو يوم القيامة، سُمي معادًا من العود، وهو بعث الأموات، وإعادة خلقهم؛ كما كانوا في الدنيا، لا يضيع من أجسامهم شيء، كلها تعود كما كانت بقدرة القادر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ [القيامة:٣-٤]، والبعث أهون عليه جَلَّ وَعَلَا من البداءة؛ من ناحية العقل، وإلا فالله جَلَّ وَعَلَا كل شيء هين عليه، ولكن من ناحية العقول الإعادة أسهل وأيسر من البداءة: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم:٢٧]، الذي قدر على البداءة قادر -من باب أولى- على الإعادة، وفي هذا رد على الذين يستبعدون البعث، ويعجزون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والبعث يؤمن به أهل الأديان كلهم -المسلمون واليهود والنصارى-؛ كما جاءت به الرسل، وإنما يُنكر البعث الملاحدة من المشركين وغيرهم، ينكرون البعث لقصر عقولهم وأفهامهم وجهلهم بالله عَزَّ وَجَلَّ وبقدرة الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ [التغابن:٧-٩]، ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ

أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ۖ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ [يونس:٥٣]، يسألون الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن البعث: هل هو حق؟ ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ۖ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ [يونس:٥٣]، ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ [سبأ:٣-٥].

فهذه ثلاث آيات أمر رسوله أن يحلف به على حصول البعث والنشور.

والإيمان باليوم الآخر هو أحد أركان الإيمان الستة، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الإِيْمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»(١)، وتارة يذكر الله الإيمان به والإيمان باليوم الآخر؛ كما قال تعالى في أول سورة (البقرة): ﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة:٢-٤]، ﴿وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ [البقرة:١٧٧]، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالبعث، والإيمان بما يكون في يوم القيامة ركن من أركان الإيمان، فمن جحده، فهو كافر بالله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾ [التغابن:٧]، فلا ينكره إلا الكفرة والزنادقة والملاحدة والفلاسفة، أما أهل الأديان، فإنهم يؤمنون بالبعث.

---

(١) سبق تخريجه (ص١٠).

وَاجْــزِمْ بِـأَمْـرِ الْـبَـعْـثِ وَالنُّشُورِ   وَالْحَشْـرِ جَزْمًا بَعْدَ نَفْخِ الصُّورِ

الشَّـرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَاجْزِمْ)**؛ يعني: اعتقد جازمًا بلا شك بـ**(الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ)** البعث والنشور بمعنى واحد، فالبعث هو النشور، والنشور هو البعث؛ بمعنى واحد، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ [عبس:٢١-٢٢]، ﴿أَنشَرَهُۥ﴾؛ يعني: بعثه، فالبعث هو النشور، بمعنى واحد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَاجْزِمْ بِأَمْرِ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ)**؛ يعني: بخلاف الكفرة والملاحدة، الذين ينكرون البعث، وكذلك الذين يشكّون في البعث، يقولون: (يمكن، ولا يمكن، الله أعلم)، فالذي يتوقف فيه ويشك كافر، فلابد أن يجزم المسلم، ويوقن: ﴿وَبِٱلْأٓخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة:٤]، يوقن يقينًا جازمًا لا شك فيه، فإن كان في نفسه شك، فإنه كافر، ومن باب أولى إذا صرح ونفى البعث والنشور، قال: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام:٢٩]، فهذا أولى بالكفر والإلحاد -والعياذ بالله-، ولهذا قال: (وَاجْزِمْ)، ورد على من عنده شك أو تردد، أو الذي يقول: (يمكن يبعثون، ويمكن لا يبعثون).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَالْحَشْرِ)**، وهو جمع الناس في المحشر، وهو صعيد واحد يجمع الله فيه الخلائق الأولين والآخرين، يمد الأرض، ويمسح ما فيها من الجبال والمرتفعات، فتصبح ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه:١٠٦-١٠٧]، ثم يحشر الله الخلائق في هذا المكان -مكان واحد- يُحْشَر الأولون والآخرون، والجن والإنس، والحيوانات والطيور،

والحشرات وكل شيء، كل الخلق يُجمعون في هذا المكان، ويحصل زحام شديد في هذا المكان؛ لكثرة الخلق، حتى إن أقدامهم يقع بعضها على بعض من الزحام، من شدة الزحام في هذا المحشر الهائل العظيم: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٧].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بَعْدَ نَفْخِ الصُّورِ)**؛ أي: الحشر يكون بعد نفخ الصور، والصور: هو القرن الذي خلقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهو قرن هائل مدور، فيه أرواح الخلق، ووكل به ملكًا عظيمًا من الملائكة، وهو إسرافيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، التقمه، وهو ينتظر الأمر، فينفخ فيه ثلاث نفخات:

النفخة الأولى: نفخة الفزع

النفخة الثانية: نفخة الصعق.

النفخة الثالثة: نفخة البعث.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل:٨٧-٨٨]، هذه نفخة الفزع؛ لأنها على إثرها يتغير العالم، تسير الجبال من أماكنها، وتصير هباءً، تصير سرابًا، تمر مر السحاب، وتنشق السماوات، وتتساقط النجوم، وعند ذلك يفزع الناس، ويخافون من هذا الحدث العظيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج:١-٢]،

هذه نفخة الفزع، استثنى الله مخلوقات لا تفزع، قيل: (هم الملائكة)، وقيل: (غيرهم)، الله أعلم.

ثم ينفخ النفخة الثانية، نفخة الصعق، وهو الموت، فلا يبقى أحد حي إلا ما استثنى الله جَلَّوَعَلَا، ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر:٦٨]، وكل حي فإنه يموت، إلا من استثنى الله جَلَّوَعَلَا، قيل: (هي الحور العين في الجنة)، والله أعلم.

﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾، هذه النفخة الثالثة، ﴿فَإِذَا هُم قِيَامٌ﴾ من قبورهم ﴿يَنظُرُونَ﴾ [الزمر:٦٨]، وذلك أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يجمعهم، يجمع عظامهم ولحومهم وشعورهم، فتتآلف، وتتكون منها الأجسام، وتعود كما كانت، حتى لو أن شخصًا يعرف شخصًا في الدنيا، ومر عليه، لعرفه، لكن ليس فيهم أرواح، ثم يأمر إسرافيل فينفخ النفخة الثالثة، فتطير كل روح إلى جسدها، تدخل فيه، فيحيون، ﴿فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر:٦٨]، وأول من يقوم من قبره محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فهو أول من تنشق عنه الأرض صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وكذلك الخلائق كلهم يقومون من قبورهم بقدرة قادر، وأمر عزيز حكيم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ثم يأمرهم الله بالسير إلى المحشر، ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ [المعارج:٤٣] ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج:٤٣]؛ مثل: الجند الذين يسيرون خلف العلم، لا يتخلف منهم أحد، ولا أحد يذهب يمينًا أو شمالًا، أما المؤمنون، فيكون هذا اليوم عليهم يسيرًا سهلًا، وإنما عسره على الكافرين ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان:٢٦]، فيسيرون من قبورهم إلى المحشر، ويجتمعون فيه بأمر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، لا أحد يتخلف.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَالحَشْرِ جَزْمًا بَعْدَ نَفْخِ الصُّورِ)**، الحشر هو الجمع، ويكون بعد ما ينفخ إسرافيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في الصور النفخة الثالثة، فتحيا الأجسام، ثم تؤمر، فتسير كالجراد المنتشر على وجه الأرض إلى المحشر، ويحشرون، ويقومون في هذا الصعيد خمسين ألف سنة؛ كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يقفون على أقدامهم، والشمس قريبة من رؤوسهم قدر ميل، والعرق يأخذ منهم كل مأخذ على حسب أعمالهم(١).

---

(١) كما في حديث المقداد بن الأسود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه مسلم (٦٢) (٢٨٦٤) أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ**» -قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ؟ أَمَسَافَةَ الْأَرْضِ، أَمِ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ- قَالَ: «**فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا**». قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ.

كَذَا وُقُوفُ الْخَلْقِ لِلْحِسَابِ وَالصُّحْفُ وَالْمِيزَانُ لِلثَّوَابِ

الشَّرْح

ثم بعد ما يطول عليهم الوقوف في المحشر، خمسين ألف سنة شاخصة أبصارهم، حفاة أقدامهم، عراة أجسامهم، غُرلًا غير مختونين(١)، فإذا طال عليهم الوقوف، قال بعضهم لبعض: (اذهبوا إلى من يشفع لكم عند ربكم؛ ليريحكم من الموقف؛ إما إلى الجنة، وإما إلى النار)، فيذهبون إلى آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيعتذر، ثم يذهبون إلى نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيعتذر، ثم يذهبون إلى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيعتذر، ثم يذهبون إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيعتذر، فيذهبون إلى عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيعتذر، ثم يذهبون إلى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيقول: «أَنَا لَهَا، أَنَا لَهَا»، فيأتي، ويخر ساجدًا تحت العرش بين يدي ربه عَزَّ وَجَلَّ، ويطيل السجود، ويدعو ربه عَزَّ وَجَلَّ، ولا يزال ساجدًا يدعو: «**فَأَنْطَلِقُ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنَ لِي، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ**»، حتى يُقال له: «**ارْفَعْ رَأْسَكَ وَسَلْ تُعْطَهْ، وَقُلْ يُسْمَعْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ**»(٢)، عند ذلك

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٣٤٩، ٣٤٤٧، ٤٦٢٥، ٤٦٢٦، ٤٧٤٠، ٦٥٢٤، ٦٥٢٥، ٦٥٢٦)، ومسلم (٢٨٦٠): عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ عَلَى الْمِنْبَرِ، يَقُولُ: «**إِنَّكُمْ مُلَاقُو اللهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا**».

(٢) كما في حديث الشفاعة الذي ورد بعدة ألفاظ، منها: ما رواه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم [٣٢٢(١٩٣)]، و[٣٢٦(١٩٢)] بلفظ أتمّ، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ورواه البخاري (٤٧١٢) ومسلم [٣٢٧(١٩٤)]، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ورواه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم [٣٠٢(١٨٣)]، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يشفع في أهل الموقف، بأن يريحهم الله منه، ويحاسبهم، فيظهر بذلك شرفه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الخلق؛ كما قال الله سُبْحَانَهُ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩]، هذا هو المقام المحمود وهو الشفاعة العظمى الذي يحمده عليه الأولون والآخرون، ويظهر بذلك شرفه وفضله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَالصُّحْفُ وَالْمِيزَانُ لِلثَّوَابِ)** فينصرفون من المحشر إلى الحساب، فيحاسبهم الله جَلَّ وَعَلَا، على أعمالهم يقررهم بها، ولايضيع منها شيء، فالمسلمون على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من لا يُحاسب، بل يدخل الجنة بلا حساب ولاعذاب؛ كما في الحديث «**سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ**»(١).

القسم الثاني: من يُحاسب حسابًا يسيرًا -وهو العرض-، وينقلب إلى أهله مسرورًا.

والقسم الثالث: من المسلمين من يُناقش الحساب، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّبَ**»(٢)، يُناقشون الحساب، يذكرون بسيئاتهم وغدراتهم، ويناقشون عليها واحدة واحدة.

---

(١) أخرجه البخاري [(٥، ٥٧، ٥٧٥٢ مطولًا)، و (٣٤١٠، ٦٤٧٢، ٦٥٤١ مختصرًا]، ومسلم (٢٢٠)، والترمذي (٢٤٤٨)، والنسائي في الكبري (٤/ ٣٧٨) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (١٠٣، ٤٩٣٩، ٦٥٣٦، ٦٥٣٧)، ومسلم (٢٨٧٦)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

أما الكفار، فإنهم لا يُحاسبون مثل محاسبة المسلمين، وإنما يقررون بأعمالهم؛ لأنهم ليس لهم حسنات، كل أعمالهم كفر، فلا يُحاسبون مثل حساب المسلمين، وإنما يُحاسبون حساب تقرير، يوقفون على أعمالهم وكفرهم وسيئاتهم -والعياذ بالله-؛ يقررون بها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص:٢٦][1].

إن الإنسان لا ينسى يوم الحساب، يُحاسب نفسه في هذه الدنيا من أجل أن يستريح في الآخرة، فيتوب من السيئات، ويكثر من الحسنات من أجل أن يسهل عليه الحساب يوم القيامة، أو لا يُحاسب.

ولهذا يقول عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في خطبته: «أَيُّهَا النَّاسُ: حَاسِبُوا أنفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَزِنُوا أنفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، وتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٨]»[2]، الإنسان يُحاسب نفسه في هذه الدنيا، فيتوب من الذنوب، ويخرج من الدنيا، وقد استغفر من ذنوبه، وتخلص منها؛ لأنه بإمكانه، وهذا سهل جدًّا لمن ييسره الله عليه، يستغفر الله، ويتوب إلى الله توبة صادقة، فيغفر الله له، أما إذا لم يستغفر،

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، كَمَا وُصِفَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ: فَلَا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ؛ فَإِنَّهُ لَا حَسَنَاتِ لَهُمْ، وَلَكِنْ تُعَدُّ أَعْمَالُهُمْ وَتُحْصَى، فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا وَيُقَرَّرُونَ بِهَا وَيُجْزَوْنَ بِهَا). انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٤٦).

(٢) انظر: تاريخ دمشق (٤٤/ ٣٥٧)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة (٤/ ١٥٦)، و سير السلف الصالحين (ص ١٤٤)، ومحض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (٢/ ٦٧٠).

ولم يتب، فإنه يثقل عليه الحساب يوم القيامة، ولهذا يقول عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في بقية خطبته: (وَإِنَّمَا يَثْقُلُ الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى الَّذِينَ جَازَفُوا الْأُمُورَ فِي الدُّنْيَا، أَخَذُوهَا عَلَى غَيْرِ مُحَاسَبَةٍ، فَوَجَدُوا اللهَ قَدْ أَحْصَى عَلَيْهِمْ مَثَاقِيلَ الذَّرِّ)(١)، هؤلاء هم الذين يصعب عليهم الحساب يوم القيامة، والإنسان العاقل التقي من يتذكر الحساب، ويحاسب نفسه قبل يوم الحساب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَالصُّحْفُ)**، فبعد الحساب تتطاير الصحف -صحف الأعمال-، فكل يأخذ صحيفته، المسلم المؤمن يأخذ صحيفته بيمينه، والكافر يأخذ صحيفته بشماله، أو من وراء ظهره: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق:٧-٩]، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة:١٩]، يفرح ويود أن الناس يطلعون عليه، ويقول للناس: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾؛ لأنه شيء يشرف، يفتخر به: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة:١٩-٢٠]، ظننت يعني: تيقنت؛ لأن الظن يُطلق ويُراد به أحيانًا اليقين: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٤٩]؛ يعني: متيقنون.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَالْمِيزَانُ لِلثَّوَابِ)**، أما الميزان، فهو ميزان الأعمال، وهو ميزان حقيقي، له كفتان، توضع الحسنات في كفة، والسيئات في كفة: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ

---

(١) رواه الإمام أحمد في الورع (١/ ٢٠)، وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس (١/ ١٣٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩/ ٤١٢)، وابن الجوزي في ذم الهوى (١/ ٤١) عن الحسن.

ﵟٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَﵞ [المؤمنون:١٠٢-١٠٣]، فإذا رجحت الحسنات، أفلح، وإذا رجحت السيئات، خاب وخسر، ميزان لا يظلم أحدًا، ميزان حقيقي، جاء القرآن والسنة بإثباته: ﵟوَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَﵞ [الأنبياء:٤٧]، ﵟوَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٨ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَﵞ [الأعراف:٨-٩]، وليس هو ميزانًا معنويًا؛ كما تقوله المعتزلة، يقولون: (الميزان عبارة عن إقامة العدل يوم القيامة، وليس هناك ميزان حقيقي)؛ لأنهم يعتمدون على عقولهم وأفكارهم، ويقولون على الله ما لا يعلمون -نسأل الله العافية!-، فيؤولون الميزان بأنه ميزان معنوي، معناه: إقامة العدل.

أما أهل السنة والجماعة، فيقولون: (الميزان حقيقي، له كفتان؛ كما جاء في الحديث، توزن به الأعمال[(١)]).

---

(١) ورد ذكر الكفتين في عدد من الأحاديث، منها: حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الذي رواه ابن حبان في صحيحه (١٤/ ١٠٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٢٨) وصححه، وفيه: «**يَا مُوسَى لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي، وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ، مَالَتْ بِهِمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، وروى أحمد في المسند (٢/ ١٦٩، ١٧٠) نحوه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وقد ورد ذكر الكفة في حديث البطاقة الذي رواه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وأحمد (٢/ ٢١٧)، والحاكم (١/ ٦) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وقد ورد ذكر اللسان مع الكفتين عند البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٢٦٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «الْمِيزَانُ لَهُ لِسَانٌ وَكِفَّتَانِ، يُوزَنُ فِيهِ الْحَسَنَاتُ، وَالسَّيِّئَاتُ».

كَذَا الصِّرَاطُ ثُمَّ حَوْضُ الْمُصْطَفَى فَيَا هَنَا لِمَنْ بِهِ نَالَ الشِّفَا

الشَّرْح

ومما يكون يوم القيامة الصراط[(١)]، والصراط في اللغة الطريق[(٢)]، والمراد به هنا: الجسر الذي يكون على متن جهنم، وهذا بعد الحساب وبعد الميزان، يُنصب الجسر على متن جهنم[(٣)]، يمر الناس عليه على قدر أعمالهم؛ منهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كأجاويد الخيل، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدوًا على قدميه، ومنهم من يمشي مشيًا، ومنهم من يزحف زحفًا، ومنهم من يُخطف، ويُلقى في جهنم[(٤)]، وهذا مذكور في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ

---

(١) تكاثرت الأحاديث في وصف الصراط وأحوال الناس عليه، منها ما أخرجه البخاري (٨٠٦، ٦٥٧٣، ٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢، ١٩٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومنها ما جاء عن أبي سعيد الخدري، وأنس، وابن مسعود، وأُبي بن كعب، رضي الله عن الجميع.

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٢/ ٢٣٢)، ولسان العرب (٧/ ٣١٤).

(٣) كما في حديث الشفاعة الطويل الذي أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (٢٩٩) (١٨٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «... **فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ، وَكَلَامُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟**» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «**فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخَرْدَلُ ثُمَّ يَنْجُو**».

(٤) كما في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطويل الذي أخرجه البخاري (٧٤٣٩، ٧٥٦٣)، ومسلم (١٨٣)، وفيه: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الجَسْرُ؟ قَالَ: «**مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ، وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا:** =

ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم:٦٨-٧٢]، لا ينجو إلا المتقون، وأما الظالمون، فيسقطون في جهنم، يتساقطون من على الصراط؛ لأنهم ليس لهم أعمال تنقذهم، فيسقطون.

أما أهل الأعمال الصالحة، فأعمالهم تنجيهم: ﴿نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم:٧٢]، هذا هو الصراط.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ثُمَّ حَوْضُ المُصْطَفَى)**، مما يكون في الآخرة حوض النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عرصات القيامة؛ يعني: في ساحات القيامة[١]، حوض مسيرته شهر[٢]؛ يعني: طوله مسيرة شهر، وفي حديث: «**كَمَا بَيْنَ آيْلَةَ وَصَنْعَاءَ مِنَ**

=**السَّعْدَانُ، المُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا**».

(١) تواترت الأحاديث في وصف حوض النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفيمن يرده من أمته ومن يُزاد عنه، رويت عن أكثر من خمسين صحابيًا، انظر مجموع طرقها ومن رواها من الصحابة في فتح الباري (١١/ ٤٦٩)، وعمدة القاري (٢٣/ ١٣٦)، قال الحافظ ابن حجر: (وَلِكَثِيرٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الصَّحَابَةِ فِي ذَلِكَ زِيَادَةٌ عَلَى الْحَدِيثِ الْوَاحِدِ كَأَبِي هُرَيْرَة، وَأنس، وبن عَبَّاسٍ، وَأَبِي سَعِيدٍ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، وَأَحَادِيثُهُمْ بَعْضُهَا فِي مُطْلَقِ ذِكْرِ الْحَوْضِ، وَفِي صِفَتِهِ بَعْضُهَا، وَفِيمَنْ يَرِدُ عَلَيْهِ بَعْضُهَا، وَفِيمَنْ يُدْفَعُ عَنْهُ بَعْضُهَا، وَكَذَلِكَ فِي الْأَحَادِيثِ الَّتِي أَوْرَدَهَا الْمُصَنِّفُ فِي هَذَا الْبَابِ، وَجُمْلَةُ طُرُقِهَا تِسْعَةَ عَشَرَ طَرِيقًا، وَبَلَغَنِي أَنَّ بَعْضَ الْمُتَأَخِّرِينَ وَصَلَهَا إِلَى رِوَايَةِ ثَمَانِينَ صَحَابِيًّا) اهـ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧) (٢٢٩٢) من حديث عَبْد اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: قَالَ =

الْيَمَنِ»[١]، هذه مسافته، حوض «**يَشْخُبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ**»[٢]، «**مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا من اللَّبَنِ وَأَحْلَى من الْعَسَلِ**»[٣]، «**كِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ**»[٤]، من يشرب منه شربة، لا يظمأ بعدها أبدًا[٥]، هذا حوض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والماء يأتي إليه، تأتي أمته يوم القيامة، ويردون عليه، ولكن منهم من يُصرف عنه، ولا يتمكن من الشرب، وهم المرتدون الذين ارتدوا عن الإسلام، والمبتدعة الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، فإنهم يُمنعون من الشرب من الحوض يوم القيامة، أما أهل الاستقامة وأهل السنة، فإنهم يردون الحوض على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنما يُمنع منه مرتد ومبتدع، فيقول الرسول: «**يَا رَبِّ أَصْحَابِي، أَصْحَابِي. فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**»[٦]، «**إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ**»[٧]، ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

=رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا**».

(١) أخرجه البخاري (٦٥٨٠)، مسلم (٢٣٠٣).
(٢) أخرجه مسلم (٢٣٠٠).
(٣) أخرجه مسلم (٢٣٠٠).
(٤) أخرجه البخاري (٦٥٧٩)، مسلم (٢٢٩٢).
(٥) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٢٣٠٠)، والترمذي(٢٤٤٥): عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا آنِيَةُ الْحَوْضِ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، أَلَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ، آنِيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ**».
(٦) أخرجه مسلم (٢٢٩٧)، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٧) أخرجه البخاري (٣٣٤٩، ٤٦٢٥، ٦٥٢٦)، ومسلم (٢٨٦٠)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

«**سُحْقًا سُحْقاً**»(١) لمن غير وبدل، نسأل الله العافية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَيَا هَنَا لِمَنْ بِهِ نَالَ الشِّفَا**)، الهنيء: ما أتاك بلا مشقة، وكأنه يقول: أيها الشراب السائغ الهنيء الآتي بلا مشقة، أقبل، ويا هنا لمن ورده وشرب منه! فإنه لا يظمأ بعد ذلك أبدًا؛ لأن يوم القيامة فيه عطش شديد في المحشر، في المحشر عطش شديد، فأمة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يردون على حوضه، ويشربون، وقيل: (إن كل نبي له حوض)، والله أعلم(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرج الترمذي (٢٤٤٣) من حديث سمرة بن جندب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا، وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً**»، والحديث أخرجه البخاري في التاريخ (١/ ٤٤)، والطبراني في الكبير (٦٨٨١)، وفي مسند الشاميين (٢٦٤٧) من حديث الحسن عن سمرة، قال أبو عيسى: (هذا حديث غريب، وقد روى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرسلًا، ولم يذكر فيه عن سمرة، وهو أصح).

وانظر: فتح الباري (١١/ ٤٦٧)، وعمدة القاري (٢٣/ ١٣٦)، وحاشية ابن القيم (١٣/ ٥٧).

عَنْهُ يُذَادُ الْمُفْتَرِي كَمَا وَرَدْ ... وَمَنْ نَحَا سُبُلَ السَّلَامَةِ لَمْ يُرَدْ

فَكُنْ مُطِيعًا وَاقْفُ أَهْلَ الطَّاعَةِ ... فِي الْحَوْضِ وَالْكَوْثَرِ وَالشَّفَاعَةِ

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(عَنْهُ يُذَادُ الْمُفْتَرِي كَمَا وَرَدْ)**، المفتري: الذي ارتد عن دين الإسلام؛ لأن كثيرًا من المسلمين الآن ليس لهم من الإسلام إلا الاسم، وإسلامهم غير صحيح؛ لأن عندهم نواقض من نواقض الإسلام، وعندهم بدع ومحدثات فإسلامهم ليس صحيحًا، وليس مستقيمًا، هؤلاء يمنعون من الشرب من حوض النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة، لا يشرب منه إلا المستقيم على طاعة الله، الملتزم بسنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذي لم يبدل، ولم يغير.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَمَنْ نَحَا سُبُلَ السَّلَامَةِ)**، نحا: يعني لزم وسار على سبل السلامة، **(لَمْ يُرَدْ)** لم يرد من الشرب يوم القيامة.

إذا كنت تريد أن ترد هذا الحوض، فكن مطيعًا لله ولرسوله، أما من يدعي أنه من أمة محمد، ولكنه لا يطيع، ولا ينقاد، ولا يسير على منهج الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذا لا ينفعه التسمي بالإسلام، بل يمنع من ورود الحوض، أشد ما يكون عطشًا -والعياذ بالله-، فالذي يريد أن يشرب من هذا الحوض، يلزم السنة، ولزوم السنة ليس بالأمر السهل؛ فيه ابتلاء وامتحان، هناك ناس يعيرونك، و يؤذونك، ويتنقصونك، ويقولون: (هذا متشدد، متنطع، إلى آخره)، أو أنهم ربما لا يكتفون بالكلام، ربما أنهم يقتلونك، أو

يضربونك، أو يسجنونك، ولكن اصبر، اصبر إذا كنت تريد النجاة، وأن تشرب من هذا الحوض، اصبر على التمسك بسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أن تلقاه على الحوض.

فإن هذه الأمور -الحوض، والكوثر[(١)]، والشفاعة- ثابتة لنبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيجب أن نؤمن بها، وأن نتمسك بسنة نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حتى نرد عليه الحوض يوم القيامة، ولا نبدل، ولا نغير.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فَكُنْ مُطِيعًا وَاقْفُ أَهْلَ الطَّاعَةِ * فِي الحَوْضِ وَالْكَوْثَرِ وَالشَّفَاعَةِ)**، تقدم الكلام على الكوثر والحوض، وانتهينا إلى الشفاعة، ومسألة الشفاعة هذه مسألة عظيمة، جاء ذكرها في القرآن، وغلط فيها طوائف كثيرة، وجاء ذكرها في القرآن وفي السنة، وفي كلام أهل السنة والجماعة.

والشفاعة في الأصل: هي الوساطة في حصول المطلوب، وبعضهم يقول: الشفاعة هي طلب الخير للغير[(٢)]، وذلك بأن يكون لأحد طلب عند أحد، فيأتي من يشفع للطالب عند المطلوب؛ يعني: يتوسط في قضاء حاجته، سُمي هذا العمل بالشفاعة؛ من الشفع، وهو ضد الوتر؛ لأن الشافع انضم إلى المشفوع له، بعد أن كان منفردًا، فصار شفعًا.

---

(١) انظر في معنى الكوثر: تفسير الطبري (٢٤/ ٦٧٩- ٦٨٩)، وزاد المسير (٤/ ٤٩٧- ٤٩٨)، والقرطبي (٢٠/ ٢١٦- ٢١٨)، وابن كثير (٨/ ٤٩٨- ٥٠٢).

(٢) انظر مادة (شفع) في: العين (١/ ٢٦٠)، وتهذيب اللغة (١/ ٢٧٧)، والصحاح (٣/ ١٢٣٨)، ومقاييس اللغة (٣/ ٢٠١)، ولسان العرب (٨/ ١٨٣).

والشفاعة على قسمين:

القسم الأول: الشفاعة عند المخلوقين في قضاء حوائجهم عند المسؤولين، وعند الملوك، وعند ولاة الأمور، وهذه تنقسم إلى قسمين: شفاعة حسنة فيها أجر، وشفاعة سيئة.

القسم الأول: الشفاعة الحسنة: قال تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ [النساء:٨٥]، تكون الشفاعة حسنة إذا كانت في شيء ينفع، وليس فيها اعتداء؛ لأن فيها نفع للناس، فإذا لم يكن فيها اعتداء على أحد، وإنما هي مجرد طلب للمحتاج، وقضاء حاجة المحتاج، فهذه شفاعة حسنة، قال ﷺ: «**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي اللهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ مَا شَاءَ**»(١).

والشفاعة في الأمور النافعة عند الناس من فعل الخير، ومن التعاون على البر والتقوى، ومن بذل الجاه للمحتاجين. فأي إنسان مسلم محتاج إلى شيء عند المسؤولين، أو عند من يملك هذا الشيء، فإذا طلبه منه، تأتي أنت وتشفع له في قضائه، فيُقدرك المشفوع عنده، ويقضي حاجة هذا المحتاج، هذه شفاعة حسنة. أو يكون المسؤول غاضبًا على أحد، ويريد الانتقام منه، فتأتي، وتشفع له، وتطلب المسامحة له، وأن يعفو عنه، هذا شيء طيب أيضًا، وتكون في الأموال، وتكون أيضًا في غير الأموال.

القسم الثاني: الشفاعة السيئة: فهي أن تشفع في أمر حرام؛ إما بأن يأخذ المشفوع له حق غيره، بأن تشفع عند المسؤول أو عند المدير من أجل

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٣٢)، ومسلم (٤٥) (٢٦٢٧) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

أن يُعطي هذا الشخص حق غيره، أو يُقدمه على غيره ممن هو مستحق قبله، فهذه شفاعة سيئة؛ لأنها تضر الناس، وأعظم من ذلك الشفاعة في الحدود، إذا ثبت على إنسان الحد، يأتي شخص، ويشفع في إسقاطه، هذه الشفاعة محادة لله عَزَّوَجَلَّ وشفاعة محرمة، وقد أراد النبي صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قطع يد امرأة كانت تستعير المتاع وتجحده، فأمر النبي صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بقطع يدها، فجاء جماعتها، وطلبوا من أسامة بن زيد بن حارثة رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا أن يشفع عند الرسول صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في ترك قطع يد هذه المرأة، فتقدم أسامة رَضِيَاللَّهُعَنْهُ إلى الرسول صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بذلك، فغضب الرسول صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مع أنه يحبه حبًا شديدًا، غضب عليه غضبًا شديدًا، وقال صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ**»، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**»(١)، فالحدود ليس فيها شفاعات.

وقد جاء في الأثر: «إِذَا بَلَغَتَ الحدود السُّلْطَانَ، فَلَعَنَ اللهُ الشَّافِعَ وَالْمُشَفِّعَ»(٢)، فلا يجوز الشفاعة في الحدود.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٥)، ومسلم (٨) (١٦٨٨) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَاللَّهُعَنْهَا، أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللهِ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ**»، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**».

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (٥/ ١٢٢١) من حديث الزبير رَضِيَاللَّهُعَنْهُ.

وفي الحديث: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا**»(١)، والشفاعة في الحد إيواء للمحدث، فإذا تقرر الحد -حد السرقة، أو حد الزنا، أو حد الشرب للمسكر- على أحد، فلا يجوز لأحد أن يتوسط في إسقاطه عنه، بل يجب إقامة الحدود، إذا تقررت وثبتت، والشفاعة فيها حرام.

هذه هي الشفاعة السيئة المحرمة، التي يترتب عليها إسقاط حد من حدود الله، أو إضرار بالآخرين وأخذ لحقوقهم، فهذه الشفاعة محرمة، وهي شفاعة سيئة: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾ [النساء:٨٥]، هذه الشفاعة عند المخلوقين.

والشفاعة عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ **حق**، ولكن بشرطين:

الشرط الأول: إذن الله للشافع أن يشفع؛ كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥]، لابد من إذن الله جَلَّ وَعَلَا، وقال تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ

---

(١) أخرجه مسلم (٤٣) (١٩٧٨) عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ**». وأخرجه البخاري (١٨٧٠)، ومسلم (٢٠) (١٣٧٠)، واللفظ للبخاري عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ إِلَّا كِتَابُ اللهِ، وَهَذِهِ الصَّحِيفَةُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المَدِينَةُ حَرَمٌ، مَا بَيْنَ عَائِرٍ إِلَى كَذَا، مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحْدِثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ**»، وَقَالَ: «**ذِمَّةُ المُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ، فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ، وَلَا عَدْلٌ، وَمَنْ تَوَلَّى قَوْمًا بِغَيْرِ إِذْنِ مَوَالِيهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ، وَلَا عَدْلٌ**».

لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾ [النجم:٢٦]، وليست الشفاعة عند الله مثل الشفاعة عند الملوك؛ الشفاعة عند الملوك تجري، ولو لم يأذنوا، يشفع الشافع، ولو لم يأذن الملك. وأما الشفاعة عند الله، فإنها لاتحصل، إلا بعد إذن الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ؛ لعظمته جَلَّ وَعَلَا، فلا أحد يتجرأ أن يشفع عنده بدون إذنه: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، هذا الشرط الأول.

الشرط الثاني: أن يرضى الله عن المشفوع فيه؛ بأن يكون من أهل الإسلام والإيمان، لكن عنده ذنوب، استحق بها دخول النار، فيأذن الله جَلَّ وَعَلَا لمن يشاء من عباده أن يشفع فيه؛ إكرامًا للشافع، ومنفعة للمشفوع، قال تعالى: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء:٢٨]، وهو المؤمن الذي استحق العقوبة، فيأذن الله جَلَّ وَعَلَا لبعض عباده الصالحين أن يشفعوا فيه بأن يعفو الله عنه.

وتنفع الشفاعة بإذن الله بهذين الشرطين.

أما الكافر، فإن الله لا يقبل فيه شفاعة، قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ [المدثر:٤٨]، ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ﴾ [غافر:١٨]، إنما يقبل الله الشفاعة في أهل الإيمان فقط: ﴿إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء:٢٨]، ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾ [النجم:٢٦] تضمنت هذه الآية الشرطين المذكورين: ﴿يَأۡذَنَ ٱللَّهُ ﴾، هذا الشرط الأول، ﴿وَيَرۡضَىٰٓ ﴾؛ يعني: عن المشفوع فيه، هذا الشرط الثاني. هذه هي الشفاعة الصحيحة، التي توفر فيها هذان الشرطان.

والشفاعة أنواع:

منها: ما هو خاص بنبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومنها: ما هو عام له ولغيره من النبيين والمرسلين، والملائكة والصالحين، والأفراط[١]، الذين ماتوا صغارًا يشفعون -أيضًا-، هذه هي الشفاعة الصحيحة.

فالخاص بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنواع:

أولًا: الشفاعة العظمى: الشفاعة في أهل الموقف في أن يفصل الله القضاء بينهم، ويُريحهم من الموقف، هذه خاصة بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حين يتأخر عنها أولو العزم من الرسل، ويتقدم لها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٢].

ثانيًا: شفاعته في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة: فهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أول من يستفتح باب الجنة[٣].

ثالثًا: شفاعته في عمه أبي طالب: وأبو طالب كافر، مات على الكفر، ولكن لكونه حمى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودافع عنه، فإن الله جَلَّ وَعَلَا أذن لنبيه أن يشفع فيه في أن يُخفف عنه العذاب، لا أن يخرج من النار. هذه خاصة بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخاصة بأبي طالب، فلا أحد من الكفار تنفعه الشفاعة إلا هذا

---

(١) **الأفراط:** هم الأولاد الصغار الذين ماتوا قبل آبائهم. انظر: لسان العرب (٧/ ٣٦٦) مادة (فرط).

(٢) كما في حديث الشفاعة الذي سبق تخريجه (ص٢٦٧).

(٣) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٣٣٣) (١٩٧) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ**».

الشخص، أبو طالب تنفعه شفاعة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تخفيف العذاب عنه(١). هذه الشفاعات خاصة بنبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٢).

وأما الشفاعة في أهل الكبائر من الأمة، فهي عامة: يشفع من أذن الله له من الملائكة(٣)، ومن الأنبياء والمرسلين، ومن الأولياء والصالحين(٤)، ومن الأفراط الذين يموتون صغارًا، يشفعون لآبائهم يوم القيامة(٥).

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٨٨٣، ٦٢٠٨)، ومسلم (٢٠٩): عَنِ الْعَبَّاسِ ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**».

وكما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٨٨٥، ٦٥٦٤)، ومسلم (٢١٠): عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ: «**لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ**».

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٤٦).

(٣) كما في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه مسلم (١٨٣) أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**شَفَعَتْ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**».

(٤) كما في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه مسلم (١٨٣) أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً للهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ للهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا، وَيُصَلُّونَ، وَيَحُجُّونَ. فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ**».

(٥) كما في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الذي أخرجه الترمذي (١٠٦٢)، وأحمد في المسند (١/ ٣٣٤)، وأبو يعلى (٥/ ١٣٨)، والطبراني في الكبير (١٢٨٨٠)، والبيهقي في الكبرى (٤/ ٦٨) أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ مَاتَ لَهُ فَرَطَانِ مِنْ أُمَّتِي أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ**»، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَمَنْ مَاتَ لَهُ فَرَطٌ؟ قَالَ: «**وَمَنْ مَاتَ له فَرَطٌ يَا مُوَفَّقَةُ**»، قَالَتْ: فَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فَرَطٌ؟ قَالَ: «**فَأَنَا فَرَطُ أُمَّتِي لَمْ يُصَابُوا بِمِثْلِي**». =

هذه الشفاعة في أهل الكبائر، وهذه الشفاعة حق باتفاق أهل السنة والجماعة، وإنما أنكرها المعتزلة والخوارج؛ فهم ينفون الشفاعة في أهل الكبائر، ويقولون: (من دخل النار، فإنه لا يخرج منها، ولو كان من أهل التوحيد ومن أهل الإيمان)، ويخالفون بذلك الأحاديث الصحيحة عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. هذا ضلال عظيم -والعياذ بالله!

في حين أن القبوريين على العكس: أثبتوا الشفاعة، وطلبوها من كل أحد، طلبوها من الأموات، وطلبوها من أصحاب القبور، فهم على طرفي نقيض مع المعتزلة؛ المعتزلة ينفون الشفاعة في أهل الكبائر من المؤمنين، والقبوريون يثبتونها بدون إذن الله وبدون الضوابط الشرعية، فلذلك يعكفون على القبور والأضرحة، ويطلبون منها الشفاعة، وهذا مثل ما عليه المشركون الأولون الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]، يعبدون الأولياء والصالحين، ويذبحون لهم، وينذرون لهم، ويطوفون بقبورهم، وإذا قيل لهم: (هذا شرك)، قالوا:

= وأخرج النسائي في المجتبى (٤/ ٢٢)، وأحمد في المسند (٣/ ٤٣٦)، وابن أبي شيبة (٣/ ٣٦)، وابن حبان في صحيحه (٧/ ٢٠٩)، والطبراني في الكبير (٥٤)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٤١) من حديث معاوية بن قرة عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِرَجُلٍ مَاتَ لَهُ وَلَدٌ: «أَمَا يَسُرُّكَ أَلَا تَأْتِي بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ إِلَّا وَجَدْتَهُ يَنْتَظِرُكَ». فَقَالَ رَجُلٌ: أَلَهُ خَاصَّةٌ أَوْ لِكُلِّنَا؟ قال: «بَلْ لِكُلِّكُمْ».

(إنما قصدنا أن يشفعوا لنا عند الله)، يعبدونهم، ويقولون: (لأجل أن يشفعوا لنا عند الله)، هذا ما عليه المشركون الأولون، وهو ما عليه القبوريون اليوم.

وأما أهل السنة والجماعة، فيثبتون الشفاعة بشرطيها:

أولًا: إذن الله للشافع.

وثانيًا: أن يكون المشفوع فيه ممن تجوز فيه الشفاعة، وهم أهل التوحيد من عصاة المؤمنين.

فأهل الضلال بين طرفي إفراط وتفريط، أما أهل السنة، فهم الوسط في هذه المسألة؛ كما هم الوسط -ولله الحمد- في كل أمور الدين وأمور العقيدة. هذا هو مُحصل الكلام في هذه المسألة.

فَـإِنَّـهَـا ثَـابِـتَـةٌ لِلْمُصْطَفَى ... كَـغَـيْرِهِ مِـنْ كُـلِّ أَسْـبَـابِ الْوَفَا
مِـنْ عَـالِمٍ كَـالـرُّسْـلِ وَالأَبْـرَارِ ... سِـوَى الَّـتِي خُـصَّتْ بِـذِي الأَنْـوَارِ

الشَّرح

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَإِنَّهَا)**؛ أي: الشفاعة في أهل الكبائر **(ثَابِتَةٌ لِلْمُصْطَفَى)**، وهو محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كما أنها ثابتة لغيره من الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين، بعد إذن الله جَلَّ وَعَلَا وبعد أن يرضى الله عن المشفوع فيه، بهذين الشرطين وهذين القيدين العظيمين.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مِنْ عَالِمٍ كَالرُّسْلِ وَالْأَبْرَارِ)** من الأنبياء وغيرهم؛ كما سبق تفصيله.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(سِوَى الَّتِي خُصَّتْ بِذِي الْأَنْوَارِ)**، سوى الشفاعة التي خُصت بالرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي التي بيَّناها.

فصل

فِي الْكَلَامِ عَنِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ

الشَّرح

الجنة في الأصل: البستان والخضرة والأنهار، مأخوذة من الاجتنان والاستتار؛ لأنها تستر من فيها بين أشجارها(١)، والنار -والعياذ بالله- هي دار العذاب. فهما داران مخلوقتان، خلقهما الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، خلق الجنة، وجعلها دار المتقين، وخلق النار، وجعلها دار الكافرين.

قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٢٤-٢٥]، الجنة أُعدت للمتقين، والنار أُعدت للكافرين، فيجب على المؤمن أن يُصدق بهاتين الدارين، ويصدق بأنهما موجودتان الآن، وأنهما تبقيان، ولا تفنيان؛ لأن الله قال: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤]، ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣]، ومعنى أُعدت: هذا فعل ماضي، يدل على أنها موجودة.

---

(١) انظر: العين (٦/ ٢٠)، وتهذيب اللغة (١٠/ ٢٦٥)، والصحاح (٥/ ٢٠٩٤)، ومقاييس اللغة (١/ ٤٢١).

والميت إذا وضع في قبره، إن كان من أهل السعادة، فُتح له باب إلى الجنة، وجاءه من روحها وطيبها، وإن كان شقيًا، فُتح له باب إلى النار، وجاءه من حرها وسمومها[(١)]، هذا دليل على وجود الجنة والنار.

وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالسًا في أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فسمعوا وجبة -يعني: سمعوا شيئًا ثقيلًا سقط-، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟»** قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: **«هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا»**[(٢)]، هذا دليل على أنها موجودة.

وأخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن شدة الحر من فيح جهنم[(٣)]، وشدة البرد -أيضًا- من فيح جهنم؛ لأن الله جعل لها نفسين: نفسًا في الشتاء، وذلك أشد ما يجد الناس من البرد، ونفسًا في الصيف، وذلك أشد ما يجد الناس من الحر[(٤)]. دل على أنها مخلوقة وموجودة.

---

(١) كما في حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي سبق تخريجه (ص٢٣٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٤٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٥٣٣) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَنَّهُمَا حَدَّثَاهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: **«إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ»**. وأخرجه مسلم (١٨٠) (٦١٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه البخاري (٥٣٧)، ومسلم (١٨٥) (٧١٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا، فَقَالَتْ: يَا رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ، نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ، وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ، فَهْوَ أَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ»**.

وأيضًا الجنة والنار لا تفنيان؛ خلافًا لأهل الضلال:

فمنهم من قال: إنهما غير موجودتين الآن، وإنما توجدان فيما بعد.

ومنهم من قال: إنهما تفنيان، ولا يبقى لهما أثر.

ومنهم من قال: الجنة تبقى، والنار تفنى.

إلى آخر هذه الأقوال الخاطئة، والصواب: أنهما موجودتان باقيتان، لاتفنيان، ولا تبيدان أبد الأبد، خلقهما الله للبقاء.

وَكُــلُّ إِنْسَــانٍ وَكُــلُّ جِنَّــةٍ فِي دَارِ نَــارٍ أَوْ نَعِـيـمِ جَنَّــةٍ

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَكُلُّ إِنْسَانٍ)** يعني: من بني آدم، الإنسان: هو الإنسي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَكُلُّ جِنَّةٍ)**، وهم الجن، والجن: خلق من عالم الغيب نؤمن بوجودهم؛ لأن الله أخبرنا عنهم، لكننا لا نراهم: ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [الأعراف:٢٧]، ولذلك سموا بالجن من الاجتنان، وهو الاستتار[١]، وإلا فهم موجودون، ويعيشون معنا، وقد يراهم بعض الناس أحيانًا، لكن هم من عالم الغيب، ونحن نؤمن بوجودهم.

وهم مكلفون مثلنا بالأوامر والنواهي والحلال والحرام ومتعبدون، فهم مثلنا، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرسل إلى الإنس وإلى الجن، استمع إليه نفر من الجن؛ كما في القرآن في آخر سورة الأحقاف وفي سورة الجن، أنهم استمعوا للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وآمنوا به، فمنهم المؤمن، ومنهم الكافر، ومنهم البر، ومنهم الفاجر مثل بني آدم تمامًا في التكليف، والعمل، والجزاء، وهم يعيشون، ويموتون، ويبعثون، الكافر منهم يدخل النار، والمؤمن منهم يدخل الجنة، على خلاف في ذلك: هل الجن المؤمنون يدخلون الجنة، أو لا يدخلون؟ والصحيح أنهم يدخلون الجنة بإيمانهم مثل الإنس.

---

(١) انظر: (ص٢٨٧).

فالإيمان بوجود الجن أمر واجب، وهو من الإيمان بالغيب؛ بناءً على الخبر الصادق، ومن أنكر وجودهم، فهو كافر؛ لأنه مُكذب لله ولرسوله ولإجماع المسلمين، وليس عنده حجة إلا أنه لا يراهم. وهل كل شيء لابد أن تراه؟ هناك أشياء لا تراها، هل أنت ترى روحك التي تمشي بها، وتأكل وتشرب، وتقوم وتقعد، هل تراها؟ هناك مخلوقات لا تراها، لا يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هل الإنسان يرى عقله؟ هل يوجد فرق بين جسم العاقل وجسم غير العاقل؟ لا فرق في الأجسام، وإنما الفرق في وجود العقل وعدمه، هل الناس يرون العقل؟ لا يرونه، وهو خلق من خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فهناك أشياء مخلوقة لا يعلمها إلا الله، منها الجن، ومنها الملائكة، ومنها عذاب القبر ونعيمه، هذه من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

هُمَا مَصِيرُ الْخَلْقِ فِي كُلِّ الْوَرَى ... فَالنَّارُ دَارُ مَنْ تَعَدَّى وَافْتَرَى

وَمَنْ عَصَى بِذَنْبِهِ لَمْ يَخْلُدِ ... وَإِنْ دَخَلَهَا يَا بَوَارَ الْمُعْتَدِي

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(هُمَا)** أي: الجنة والنار مصير الخلق (فِي كُلِّ الْوَرَى)؛ أي: الخلق، فالمؤمنون في الجنة، والكفار في النار من الجن والإنس ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا﴾ [الأنعام:١٣٠] قالوا: بلى ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾ [الأنعام:١٢٨].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَالنَّارُ دَارُ مَنْ تَعَدَّى)** حدود الله جَلَّ وَعَلَا، (وَافْتَرَى) أي: كذب على الله عَزَّ وَجَلَّ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَمَنْ عَصَى بِذَنْبِهِ لَمْ يَخْلُدِ وَإِنْ دَخَلَهَا يَا بَوَارَ الْمُعْتَدِي)**، هذه مسألة أصحاب الكبائر، عند أهل السنة والجماعة أن عصاة الموحدين وإن دخلوا النار، فإنهم لا يُخلدون فيها، بل يخرجون منها؛ إما برحمة الله جَلَّ وَعَلَا، وإما بشفاعة الشافعين، ولا يُخلد فيها إلا الكافر والمشرك، أما عصاة أهل الإيمان وأصحاب الكبائر، فقد يدخلون النار إذا أراد الله جَلَّ وَعَلَا، ولكنهم لا يُخلدون فيها، وإن طال مكثهم فيها، فإنهم لا يُخلدون فيها، إنما الخلود في النار يكون بسبب الكفر والشرك بالله عَزَّ وَجَلَّ، خلافًا للخوارج والمعتزلة، الذين يقولون: (إن أصحاب الكبائر مُخلدون في النار)[1].

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (٣/ ١٥١-١٥٢). انظر: (العقيدة الواسطية) ضمن

❁❁❁

مجموع الفتاوى (فَصْلٌ: وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ: أَنَّ الدِّينَ وَالْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ: قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ. وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ كَمَا يَفْعَلُهُ الْخَوَارِجُ؛ بَلْ الْأُخُوَّةُ الْإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ الْمَعَاصِي كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي آيَةِ الْقِصَاصِ: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ وَقَالَ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ وَلَا يَسْلُبُونَ الْفَاسِقَ الْمِلِّي اسْمَ الْإِيمَانِ بِالْكُلِّيَّةِ وَلَا يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ كَمَا تَقُولُهُ الْمُعْتَزِلَةُ بَلْ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ فِي مِثْلِ قَوْله تَعَالَى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾. وَقَدْ لَا يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ الْمُطْلَقِ كَمَا فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا﴾ وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**». وَيَقُولُونَ: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الْإِيمَانِ أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ؛ فَلَا يُعْطَى الِاسْمَ الْمُطْلَقَ وَلَا يُسْلَبُ مُطْلَقَ الِاسْمِ).

وَجَنَّةُ النَّعِيمِ لِلأَبْرَارِ مَصُونَةٌ عَنْ سَائِرِ الْكُفَّارِ
وَاجْزِمْ بِأَنَّ النَّارَ كَالْجَنَّةِ فِي وُجُودِهَا وَأَنَّهَا لَمْ تَتْلَفِ
فَنَسْأَلُ اللهَ النَّعِيمَ وَالنَّظَرْ لِرَبِّنَا مِنْ غَيْرِ مَا شَيْنٍ غَبَرْ

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَجَنَّةُ النَّعِيمِ**)، هذا من أسماء الجنة، فالجنة لها أسماء: جنة النعيم، وجنة الخلد، وجنات عدن، لها أسماء كثيرة، وهي دار المتقين خاصة، ولا يدخلها كافر أومشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَاجْزِمْ بِأَنَّ النَّارَ كَالجَنَّةِ فِي * وُجُودِهَا وَأَنَّهَا لَمْ تَتْلَفِ**)، واجزم بأن النار مثل الجنة بأنها موجودة، وأن وجودها مستمر، وأنها لاتفنى، وفي هذا رد على الذين يقولون: (إن النار تفنى).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَنَسْأَلُ اللهَ النَّعِيمَ وَالنَّظَرْ لِرَبِّنَا مِنْ غَيْرِ مَا شَيْنٍ غَبَرِ**)، ومما يكون لأهل الجنة يوم القيامة النظر إلى وجه الله الكريم، لما آمنوا به في هذه الدنيا، ولم يروه، ولكن استدلوا عليه بآياته القرآنية وآياته الكونية، لما آمنوا به من غير أن يروه، أباح لهم الله النظر إليه يوم القيامة؛ لتقر بذلك أعينهم، ويجدوا من اللذة في النظر إلى وجه الله أعظم مما يجدون في الجنات.

وأما الكفار، لما لم يؤمنوا به في هذه الدنيا، حجبهم الله عن رؤيته يوم القيامة، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥]، لا يرون

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ عقوبة لهم، لما لم يؤمنوا به في هذه الدنيا، حجبهم الله عن رؤيته يوم القيامة؛ لأن الجزاء من جنس العمل(١).

ورؤية المؤمنين لربهم ثابتة متواترة في القرآن وفي السنة، في القرآن في آيات، منها: قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]، الحسنى: يعني الجنة، وزيادة: وهي النظر إلى وجه الله الكريم؛ كما فسرها بذلك رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صحيح مسلم؛ أن الزيادة هي النظر إلى وجه الله الكريم(٢)، وفي قوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:٣٥]، والمزيد هو النظر إلى وجه الله(٣)، يراه أهل الجنة كما يرون القمر ليلة البدر(٤)،

---

(١) قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لَمَّا حَجَبَ قَوْمًا بِالسُّخْطِ، دَلَّ عَلَى أَنَّ قَوْمًا يَرَوْنَهُ بِالرِّضَا). انظر: تفسير الثعلبي (١٠/ ١٥٤)، والتفسير البسيط (٢٣/ ٣٢٧)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٢٦١)، والبحر المحيط في التفسير (١٠/ ٤٢٩).

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (١٨١): عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: **تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ** عَزَّ وَجَلَّ».

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٤٥٤)، وزاد المسير (٤/ ١٦٤)، والقرطبي (١٧/ ٢١)، وابن كثير (٧/ ٤٠٧).

(٤) أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٢١١) (٦٣٣) عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةً -يَعْنِي البَدْرَ- فَقَالَ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق:٣٩]».

وكما يرون الشمس صحوًا ليس دونها سحاب(١)، كلٌ يراه من غير زحام ومن غير مشقة، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَضَامُون**»، وفي رواية: «**لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»، العادة أن الشيء الواحد إذا أراد الناس رؤيته وهم كثيرون، يتزاحمون عليه، أما الرب جَلَّ وَعَلَا، فإنهم يرونه من غير زحام.

وهذا موجود في الخلق، فالقمر يراه الناس كلهم، ولا يتزاحمون، كذلك الشمس لا يتزاحم الناس في رؤيتها، إذا كان هذا في المخلوق، فالخالق جَلَّ وَعَلَا من باب أولى، ولهذا مثَّل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لرؤية الله برؤية الشمس ورؤية القمر؛ لأنهما يحصلان من غير مشقة ومن غير زحام، ولا يحصل ارتياب فيه أو شك، تواترت بذلك الأحاديث(٢).

وكذلك في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، ناضرة: الأولى بالضاد، من النضرة، وهي الحسن والبهاء، أما ناظرة: الثانية، فهي بالظاء؛ من النظر، والنظر إذا عُدي بنفسه، فمعناه: المكث والانتظار؛ كما في قوله تعالى: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد:١٣]؛ أي: انتظرونا، يقول المنافقون للمؤمنين يوم القيامة، إذا كان مع المؤمنين نور، والمنافقون يطفأ

---

(١) أخرجه البخاري (٨٠٦، ٦٥٧٣)، ومسلم (١٨٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «قَالَ أُنَاسٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ**»، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ**»، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَذَلِكَ**...».

(٢) أحاديث الرؤية متواترة كما ذكر هذا عدد من أهل العلم، منهم العلامة ابن أبي العز في شرح الطحاوية (ص١٥٨-١٦٠)، وانظر: صحيح البخاري (٥٧٣)، ومسلم [٢٩٦(١٨٠)، ٢٩٧(١٨١)، ٢٩٨(١٨٢)].

نورهم، ويتعثرون، يقولون للمؤمنين: (انظرونا)؛ يعني: انتظروا، لا تذهبوا بعيد عنا، فإذا عُدي بنفسه، فمعناه: التوقف والانتظار، وإذا عُدي بـ«في»، فمعناه: التفكر والاعتبار، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف:١٨٥]، ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس:١٠١]، فإذا عُدي بفي، فمعناه: التفكر والاعتبار، أما إذا عُدي بإلى فمعناه: المعاينة بالأبصار؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٣]، فمعناه أن الأبصار تراه يوم القيامة، وأما قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [الأنعام:١٠٣]، فليس فيها نفي الرؤية، إنما فيها نفي الإدراك، بمعنى أن الأبصار، وإن رأته، فإنها لا تُدركه، بمعنى أنها لا تُحيط به جَلَّ وَعَلَا، وإن رأته، ففيها إثبات الرؤية ونفي الإدراك. هذا رد على الذين نفوا الرؤية، واستدلوا بهذه الآية، يقولون: (الله لا يُرى يوم القيامة؛ لأنه يقول: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾)، نقول: هذا غلط في الاستدلال، الآية لم تنف الرؤية، ما قالت: (لا تراه الأبصار)، وإنما قالت: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾؛ يعني: لا تُحيط به. فأنت مثلًا -ولله المثل الأعلى- إذا نظرت إلى الشمس، هل أنت تحيط بها؟ لا يمكن أن تحيط بجرم الشمس، وإنما تراها مجرد رؤية، فما كل ما يُرى يُدرك جميعًا، ويُحاط به كله، فمعنى قوله: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾؛ أي: لا تُحيط به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه:١١٠]، هذا من القرآن.

وأما الأدلة على إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة من السنة النبوية، فالأحاديث كثيرة، منها قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ**

دُونَهَا سَحَابٌ»، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ»، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَذَلِكَ»[1].

(١) سبق تخريجه (ص١٠٩).

فَـإِنَّــهُ يُـنْـظَـرُ بِـالأَبْـصَـارِ ... كَـمَا أَتَـى فِي الـنَّصِّ وَالأَخْـبَارِ
لِأَنَّــهُ سُـبْـحَـانَـهُ لَمْ يُحْـجَـبِ ... إِلَّا عَــنِ الْـكَـافِـرِ وَالْمُـكَـذِّبِ

الشَّرح

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَإِنَّهُ يُنْظَرُ بِالْأَبْصَارِ * كَمَا أَتَى فِي النَّصِّ وَالْأَخْبَارِ)، كما أتي ثبوت النظر إليه سُبْحَانَهُ في النص من القرآن ومن الأخبار المتواترة عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(١)، ويرونه في الجنة(٢)، ويرونه سُبْحَانَهُ في عرصات القيامة(٣).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يُحْجَبِ * إِلَّا عَنِ الْكَافِرِ وَالْمُكَذِّبِ)، من أدلة إثبات الرؤية للمؤمنين قوله تعالى في الكفار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥]، فإذا حجب الكفار عن رؤيته، دل هذا على

(١) انظر: حادي الأرواح (ص٢٨٥-٣٤٤).

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٢٩٧) (١٨١) من حديث صهيب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ولفظه: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ».

(٣) كما في حديث الشفاعة الذي سبق تخريجه (ص ٢٨٧)، وفيه: «... فَيَأْتِيهِمُ الْجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَلَا يُكَلِّمُهُ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ؟ فَيَقُولُونَ: السَّاقُ، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ للهِ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا....».

أن المؤمنين لا يُحجبون من رؤيته. وبهذا استدل الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ على إثبات الرؤية بهذه الآية؛ بأنه إذا حجب منها الكفار عن رؤيته، فيدل هذا على أن المؤمنين لا يُحجبون من رؤيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ [1].

---

(١) انظر: (ص٢٩٥).

البَابُ الخَامِسُ

فِي ذِكْرِ النُّبُوَّة وَذِكْرِ مُحَمَّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذِكْرِ بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ وَفَضْلِهِ وَفَضْلِ أَصْحَابِهِ وَأُمَّتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَسَلَّمَ وَعَظَّمَ وَكَرَّمَ

الشَّرْح

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الْبَابُ الخَامِسُ**)؛ يعني: من أبواب العقيدة (فِي ذِكْرِ النُّبُوَّةِ)، النبوة والرسالة بمعنى واحد، إلا أن الرسالة أعم من النبوة، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولًا؛ لأن الرسول: هو من أوحي إليه بشرع، وأُمر بتبليغه[(١)]، والنبي: من أوحي إليه بشرع، ولم يؤمر بتبليغه[(٢)].

ومعنى التبليغ: إلزام الناس به وقتالهم عليه، أما أن النبي يدعو إلى الله، ويحكم بين الناس، ويبين الحق من الباطل، فهذه وظيفة الأنبياء والرسل والمؤمنين جميعًا.

لكن التبليغ معناه الإلزام وقتال الناس على ما جاء به.

---

(١) انظر: التعاريف للمناوي (ص٣٦٣)، والقاموس المحيط (٤/ ٣٨٥) مادة (رسل)، ولسان العرب (١١/ ٢٨٤).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (النبوات) (ص٢٨١): (فالنبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبئ بما أنبأ الله به، فإن أُرْسِلَ مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالةً من الله إليه فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله، ولم يُرْسَلْ هو إلى أحدٍ يبلغه عن الله رسالةً؟، فهو نبي وليس برسول) اهـ. وانظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٤٢٨)، وتفسير القرطبي (٧/ ٢٩٨).

والنبي يوحى إليه كما يوحى إلى الرسول، ولكن النبي يوحى إليه ببعض المسائل، ولا يوحى إليه بشريعة كاملة، وإنما هذا للرسول، فالرسول هو الذي يوحى إليه بشرع كامل، وأما النبي، فيوحى إليه في بعض الأمور، وأما بقية الأمور، فهو يتبع من كان قبله من الرسل، ويحكم بشريعة من قبله؛ مثل: أنبياء بني إسرائيل، يحكمون بالتوراة التي أنزلها الله على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولم يؤت أحدٌ منهم كتابًا، إلا داود عَلَيْهِ السَّلَامُ أُوتي الزبور، والزبور ليس كتاب تشريع، وإنما هو كتاب أذكار وابتهالات وعبادة، وأما الشريعة، فهي شريعة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، بخلاف عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فإن الله أنزل عليه الإنجيل، وهو كتاب مستقل من الكتب السماوية، وهو مصدق ومُكمل للتوراة، وينسخ بعض الأحكام التي فيها.

فالحاصل: أن النبي والرسول كلٌّ منهما يوحى إليه، ولكن النبي لاينزل عليه كتاب مستقل، والرسول لا يتبع من قبله في التشريع والأحكام: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨]، وإنما يُبعث بشريعة مستقلة في الأحكام.

وأما العقائد، فعقيدة الأنبياء كلهم واحدة، عقيدة التوحيد كل الأنبياء عليها، أما التشريعات والأحكام العملية، فإنها تختلف من نبي إلى نبي: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾، فالشرائع تختلف، وتُنسخ، وتنتهي في وقتها، وتخلفها شريعة ثانية، إلى أن خُتمت الشرائع بشريعة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، التي لا تُنسخ إلى أن تقوم الساعة.

والنبي: قيل مأخوذ من النبأ، وهو الإخبار(١)؛ لأن النبي يُخبر عن الله، فيكون نبيْء بالهمز، ويُقرأ بهذا في بعض القراءات: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾(٢) [الأنفال:٦٤]، وقيل: النبيء مأخوذ من النَبْوَة، وهي الارتفاع(٣)؛ لأن النبي له مكانة مرتفعة على غيرة، وعلى هذا ليس فيها همز.

وبعثة الرسل -عليهم الصلاة والسلام- رحمة من الله لعباده ومنة منه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ عليهم، وحاجتهم إلى بعثة الرسل أشد من حاجتهم إلى المطر وإلى الهواء، وأشد من حاجتهم إلى الروح التي تحيا بها أبدانهم، فالناس بدون نبوة يهلكون، وأيضًا الناس في ظلام، حتى تأتي النبوة بالنور والوحي والبرهان: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ ﴾ [إبراهيم:١]، فحاجة الناس إلى الرسل أشد من حاجتهم إلى الماء وإلى الهواء وإلى حياة الأبدان، ولهذا من رحمة الله جَلَّوَعَلَا وفضله ومنته وإحسانه إلى خلقه؛ أنه يبعث الرسل مبشرين ومنذرين، فيبعثهم لحكمة عظيمة، وهي أنهم يُرشدون إلى الحق، ويدلون عليه، وينهون عن الباطل والهلاك، ويُحذرون منه.

---

(١) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ١١٣)، وتهذيب اللغة (١٥/ ٣٤٩)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٣)، ولسان العرب (١٥/ ٣٠٣).

(٢) انظر: نقط المصحف لأبي عمرو الداني (ص١٣٥)، وإتحاف فضلاء البشر لابن البنا الدمياطي (ص٨٢).

(٣) انظر: التعاريف للمناوي (ص٣٠٧)، والقاموس المحيط (٣/ ٣٧٢) مادة (نبا)، ولسان العرب (١/ ١٦٣).

وأيضًا يبعثهم ليقيم الحجة على الخلق؛ لئلا يقولوا: (ما جاءنا من بشير ولا نذير)، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥]، ولهذا يقول ملائكة النار لأهل النار إذا سيقوا إليها: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الزمر:٧١]، يعترفون يوم القيامة، أما في الدنيا، فيعاندون، لكن في يوم القيامة يعترفون أن الرسل جاءتهم، وأنها بيَّنت لهم وأنذرتهم وحذرتهم، فإرسال الرسل فيه منة من الله جَلَّ وَعَلَا على عباده؛ لأن العقول لا تُدرك المنافع والمضار استقلالًا، وإن كانت تُدركها إجمالًا، لكن لا تُدركها تفصيلًا، وهذا يحتاج إلى الرسل؛ ليبينوا ويفصلوا للناس المنافع والمضار العاجلة والآجلة في الدنيا والآخرة، وفيها إقامة حجة على الخلق.

وَمِـــنْ عَـظِـيـمِ مِـنَّــةِ الـسَّـلَامِ ... وَلُـطْـفِـهِ بِـسَـائِـرِ الْأَنَـــامِ
أَنْ أَرْشَـدَ الْخَـلْـقَ إِلَى الْوُصُولِ ... مُـبَـيِّـنًـا لِـلْـحَـقِّ بِـالـرَّسُـولِ

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(المنة)** هي العطاء بدون مقابل، يُقال: من عليه بكذا؛ أي: أعطاه بدون مقابل(١)، ومن أسماء الله المنان، الذي يُعطي تفضلاً وإحسانًا بدون مقابل من المُعطى.

أما المنان من الخلق، فهو مذموم؛ لأن المنان من الخلق هو الذي يُعجب بعطيته، ويؤذي من أعطاه بذكر عطيته، وهذا من الذين لا ينظر الله إليه يوم القيامة؛ كما في الحديث: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**»، قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ مِرَارًا، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ**»(٢).

فالمنان هو الذي يتمنن بعطائه، ويؤذي الناس الذين أعطاهم، قال تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾ [البقرة:٢٦٤]، فالمنان من الخلق مذموم، وأما المنان من أسماء الله جَلَّ وَعَلَا، فهو محمود، فالله جَلَّ وَعَلَا بفضله وكرمه مَنَّ بإرسال الرسل، لا أن ذلك واجب عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بل تفضلًا منه على خلقه.

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٥/ ٣٣٩)، والإبانة في اللغة العربية (٤/ ٣٠٥)، ولسان العرب (١٣/ ٤١٨).

(٢) أخرجه مسلم (١٧١) (١٠٦) عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والسلام: من أسماء الله جَلَّ وَعَلَا، ومعناه: السالم من النقائص والعيوب(١)، والمُسَلِّم لغيره من الآفات والأمراض، فالسلام معناه: السالم، ومعناه المُسَلِّم(٢). واللطف: هو الرفق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أَنْ أَرْشَدَ الخَلْقَ)**، من منته سُبْحَانَهُ أن أرشد الخلق؛ أي: دل الخلق إلى الوصول إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإلى جنته وكرامته في بعثة الرسول؛ أي: الرسل، اسم جنس. فبعثة الرسل منة من الله عَزَّ وَجَلَّ ولطف من الله عَزَّ وَجَلَّ وإحسان من الله، قال تعالى: ﴿**فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [البقرة:٣٨]، وفي الآية الأخرى: ﴿**فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ**﴾ [طه:١٢٣-١٢٦].

الله جَلَّ وَعَلَا من لطفه ورحمته بعباده أنه يرشدهم، ولا يتركهم لأنفسهم وعقولهمن ولا يتركهم لشياطين الإنس والجن، بل إنه يرسل الرسل مبشرين ومنذرين، وداعين الناس لسلامتهم وحسن عاقبتهم في الدنيا والآخرة.

❁❁❁

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَهُوَ السَّلَام على الْحَقِيقَة سَالم ... من كل تَمْثِيل وَمن نُقْصَان

انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (٢/ ٢٣٣).

(٢) انظر: العين (٧/ ٢٣٥)، وتهذيب اللغة (١٢/ ٣٠٩)، والصحاح (٥/ ١٩٥١)، ومقاييس اللغة (٣/ ٩٠).

وَشَــرْطُ مَــنْ أُكْــرِمَ بِالنُّبُوَّةِ حُــرِّيَّــةٌ ذُكُــورَةٌ كَـقُــوَّةِ

الشَّرْح

لما ذكر أن بعثة الرسل ضرورة، وأنها فضل من الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ذكر ما يُشترط في النبي من صفات:

أولها: الحرية: بأن يكون حرًا غير مملوك؛ لأن المملوك فيه نقص لا يليق بالنبي، ولأن المملوك نفعه مملوك لسيده، فلا يتمكن من القيام بمهام الرسالة وبيان الرسالة؛ لأنه محجوز بالرق.

الصفة الثانية: الذكورة: فلا يكون الرسول إلا من الذكور، ولا يكون من الإناث، فليس في النساء نبي، بل النبوة والرسالة كلها في الرجال؛ لأن الرجل أقدر على تبليغ الرسالة، وأصبر على أذى الناس، وأقدر على الجهاد في سبيل الله من المرأة: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران:٣٦]، فمواهب الرجل أكثر من مواهب الأنثى، والمرأة لا تستطيع القيام بأعباء الرسالة، فلذلك لم يُرسل الله رسولًا من النساء؛ كما قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [يوسف:١٠٩]؛ يعني: من أهل المدن، فالنبي لا يُبعث من البادية، وإنما يُبعث من الحاضرة، ومن أمهات القرى؛ لأن الناس يرجعون إليها، ويرتادونها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَشَرْطُ مَنْ أُكْرِمَ بِالنُّبُوَّةِ)**؛ لأن النبوة إكرام من الله جَلَّ وَعَلَا واختيار من الله، كما يأتي أنها ليست تُكتسب، وإنما هي اختيار واصطفاء

من الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج:٧٥]، فالرسالة منة من الله، ولا تُكتسب، أو تحصل بالكسب، وإنما تحصل بالاختيار من الله؛ لأن الله أعلم بمن يصلح لها؛ كما قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:١٢٤].

الصفة الثالثة من صفات النبي: القوة: أن يكون قويًا في عزيمته وإرادته وبدنه؛ حتى يتمكن من القيام بأعباء الرسالة، أما الضعيف، فلايصلح لتحمل الرسالة: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ﴾ [مريم:١٢]، ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ [البقرة:٦٣]، فالرسالة تحتاج إلى قوة عزيمة وإرادة؛ حتى يقوى على تحملها وأدائها، ومواجهة الاعتراضات والمشاق من الخلق والشدائد، فالذي ليس عنده قوة لايستطيع أن يُقابل الشدائد، ويقابل الصعوبات، لا يقابلها إلا من أعطاه الله القوة على تحمل الرسالة وتحمل الأذى، فهذا من صفات الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- أن الله أعطاهم القوة لتحمل هذه الرسالة.

وَلَا تُـنَـالُ رُتْـبَـةُ الـنُّـبُـوَّةِ	بِـالْـكَـسْـبِ وَالـتَّـهْـذِيـبِ وَالْفُتُوَّةِ
لَكِنَّهَا فَضْلٌ مِـنَ الْمَـوْلَى الأَجَـلِّ	لِمَـنْ يَشَـا مِـنْ خَـلْـقِـهِ إِلَى الأَجَـلْ

الشَّرْح

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَا تُنَالُ رُتْبَةُ النُّبُوَّةِ * بِالْكَسْبِ وَالتَّهْذِيبِ وَالْفُتُوَّةِ)؛ كما يقوله بعض الفلاسفة، يقولون: (إن الإنسان يمكن أن يصير نبيًّا بصفاته، إذا هذَّب نفسه، وروضها على العبادة، وتغذى بالحلال؛ فإنها تُشرق نفسه، وحينئذٍ يتصور الأشياء على ما هي عليها لشفافية نفسه وصلاحيتها)، هذا كلام ملاحدة، وهو كلام باطل، بل النبوة -كما سبق- اختيار من الله واصطفاء من الله، والله أعلم حيث يجعل رسالته.

وكذلك لا تنال النبوة بـ(الْفُتُوَّةِ)، وهي منزلة عند الصوفية إذا بلغها، فإنه يكون حاد الذهن، زكي النفس، مهيئًا لاستقبال الخواطر الطيبة، ويمكن أن يرى الملائكة ينزلون عليه لصفاء نفسه. وهذا هذيان وكلام باطل؛ مهما بلغ الإنسان من الصلاح ومن الاستقامة ومن العبادة، فإنه لا يكون بمجرد ذلك يستحق النبوة، إنما النبوة اختيار من الله جَلَّ وَعَلَا، وهو أعلم بمن يصلح لها.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لَكِنَّهَا فَضْلٌ مِنَ الْمَوْلَى الْأَجَلِّ * لِمَنْ يَشَا مِنْ خَلْقِهِ إِلَى الْأَجَلْ)، لكن النبوة فضل من الله، هو الذي يختار لها، ويتفضل بها على من يمن بها عليه من عباده المصطفين.

(إِلَى الْأَجَـلْ) يعني: من خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى ختم النبوة بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالنبوة ماضية منذ خلق الله آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أول نبي، فهو: «**نَبِيٌّ مُكَلَّمٌ**»[1]، ومن جاء بعده من الأنبياء إلى أن خُتموا بنبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا هو أجل النبوة، وأجل الرسالة انتهى ببعثة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❁❁❁

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣٥/ ٤٣٢)، والبخاري في تاريخه (١/ ٢٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٢٦٥)، وابن حبان في صحيحه (٢/ ٧٦)، والبزار في مسنده (٩/ ٤٢٦، ٤٢٧)، والطيالسي في مسنده (ص٦٥)، والطبراني في الكبير (٧٨٧١)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ١٤٨) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الْأَنْبِيَاءِ كَانَ أَوَّلُ؟ قَالَ: «**آدَمُ**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَنَبِيٌّ كَانَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ نَبِيٌّ مُكَلَّمٌ**»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَمِ الْمُرْسَلُونَ؟ قَالَ: «**ثَلَاثُ مِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ، جَمًّا غَفِيرًا**»، وَقَالَ مَرَّةً: «**خَمْسَةَ عَشَرَ**»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، آدَمُ أَنَبِيٌّ كَانَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، نَبِيٌّ مُكَلَّمٌ**».

وَلَمْ تَـزَلْ فِـيمَـا مَضَـى الأَنْبَـاءُ مِـنْ فَضْلِـهِ تَـأْتِـي لِمَـنْ يَشَـاءُ

الشَّرح

(الْأَنْبَاءُ) جمع مفرده نبي، وما زالت النبوات تتعاقب من عهد آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى بعثة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ﴾ [المؤمنون:٤٤]؛ يعني: متتابعين، كلما مات نبي، خلفه نبي، إلى أن خُتموا بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما خُتموا بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صارت شريعته كافية للناس، إلى أن تقوم الساعة، لا تحتاج إلى شريعة ثانية؛ لأنها كافية، فلاحاجة إلى بعثة نبي، وإنما العلماء من أتباع محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخلفون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تبليغ هذه الرسالة، ونشرها في الناس؛ كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ**»(١)، والرسل لا يعلم عددهم إلا الله؛ كما قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ** ﴾ [غافر:٧٨]، فلا يعلم عددهم إلا الله جَلَّ وَعَلَا، لكن منهم من ذكره الله

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وأحمد في المسند (٥/ ١٩٦)، والدارمي (٣٤٢)، والطبراني في مسند الشاميين (٢/ ٢٢٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٦٢) من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِرْهَمًا وَلَا دِينَارًا، وَإِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**».

في القرآن، فنؤمن به باسمه وعينه، ومنهم من لم يذكره الله، فنؤمن بهم جملة، نؤمن بالرسل جميعًا جملة في من لم يسمهم الله جَلَّ وَعَلَا، وتفصيلًا في من ذكرهم الله جَلَّ وَعَلَا، نؤمن بجميع الرسل من أولهم إلى آخرهم، ولا حصر لعددهم، ولا يعلمه إلا الله.

وأما الحديث الذي ورد في أن عددهم مائة وأربعة وعشرون ألف نبي، وأن الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولًا، هذا حديث ضعيف، لا تقوم به حجة(١).

---

(١) أخرجه أحمد (٣٦/ ٦١٩)، وابن حبان (٢/ ٧٦)، والحاكم (٢/ ٢٨٨)، ولفظه عند ابن حبان: قال أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ... قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ كَمِ الأَنْبِيَاءُ؟ قَالَ: «**مِئَةُ أَلْفٍ وَعِشْرُونَ أَلْفًا**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ: كَمِ الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: «**ثَلاثُ مِائَةٍ وَثَلاثَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا**»، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: مَنْ كَانَ أَوَّلُهُمْ؟ قَالَ: «**آدَمُ...**» الحديث.

حَتَّى أَتَى بِالْخَاتَمِ الَّذِي خَتَمْ ... بِهِ وَأَعْلَانَا عَلَى كُلِّ الْأُمَمْ

الشَّرْح

حتى جاء الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخاتم، وهو محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خُتمت به الرسالات، وخُتمت به النبوة، فهو خاتم النبيين؛ كما قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب:٤٠]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيُّهُمْ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي**»[(١)]، فخُتمت الرسالة بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالذي يدعي النبوة بعد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كافر مرتد عن دين الإسلام؛ لأنه مُنكر لما عُلم من الدين بالضرورة، مُكذب لكتاب الله وسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. مثل: مسيلمة الكذاب، والأسود العنسي، ومن جاء بعدهم من الكذابين، والذين فضحهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأكذبهم، وأهلكهم، فلم يبق لهم أثر؛ لأنهم كذبة.

فكل من يدعي النبوة بعد محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو يُصدق من يدعيها أو يقول: (إنه يمكن أن يُبعث نبي)، هذا كافر مرتد عن دين الإسلام؛ ولهذا حكم المسلمون بكفر القاديانية[(٢)]، الذين صدقوا الكذاب غلام القادياني،

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٥٢)، وابن ماجه (٣٩٥٢)، وأحمد (٥/ ٢٧٨)، وأصله في مسلم (٢٨٨٩)، من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) هي فرقة نشأت عام ثمانية عشر وثلاثمائة وألف في شبه القارة الهندية، بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم، ورأس هذه الفرقة هو ميرزا غلام أحمد القادياني، المولود في قرية =

الذي ادعى النبوة في الباكستان، ففرقة القاديانية كافرة خارجة عن الإسلام، حكم العلماء بكفرها وردتها، وعزلوها عن المسلمين، واعتبروها فرقة كافرة مرتدة عن دين الإسلام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(خَتَمْ بِهِ)**؛ لأن الله ختم بمحمد الرسالات، وجعل خاتم النبوة بين كتفيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علامة على أنه خاتم النبيين صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اطلع عليها من أراد الاطلاع، وهو حي، وفي القرآن: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب:٤٠]، وفي السنة: «**وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ**»(١)، حتى ولو لم ير الإنسان هذا الخاتم الذي بين كتفيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٢)، فإنه يعتقد، ويؤمن بأنه خاتم النبيين؛

=قاديان في البنجاب بالهند سنة ١٢٥٥هـ، كان معروفًا عند أتباعه باختلال المزاج وكثرة الأمراض وإدمان المخدرات، وله أكثر من خمسين كتابًا ونشرة ومقالاً، على هذا المعتقد الخبيث، منها: «إزالة الأوهام»، و«إعجاز أحمدي»، و«براهين أحمدية»، و«أنوار الإسلام»، وغيرها، وقد هلك بالطاعون في سنة ١٣٢٦هـ.

ويعيش معظم القاديانيين الآن في الهند وباكستان، ومن معتقدهم الخبيث أن الله يصوم ويصلي وينام ويصحو -تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا- كما يعتقدون أن النبوة لم تُختم بمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل هي جارية، وأن الله يرسل الرسول حسب الضرورة، وأن غلام أحمد هو أفضل الأنبياء جميعًا، وكل مسلم عندهم كافر حتى يدخل القاديانية.

وفي شهر ربيع الأول سنة ثماني وتسعين وثلاثمائة وألف أصدر مجمع الفقه الإسلامي المنعقد في مكة المكرمة، قراره الذي أعلن فيه كفر هذه الطائفة وخروجها عن الإسلام.

انظر: القاديانية لإحسان إلهي ظهير، والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة لعبد القادر شيبة الحمد.

(١) سبق تخريجه الصفحة السابقة.

(٢) أخرجه مسلم (١١٠) (٢٢٤٤) عن جابر بن سمرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ قال: «رَأَيْتُ خَاتَمًا فِي ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَأَنَّهُ بَيْضَةُ حَمَامٍ». =

كما جاء في القرآن، وكما جاء في السنة، وكما أجمع عليه المسلمون قديمًا وحديثًا، فلا مجال لادعاء النبوة بعد بعثته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

***

= قال الحافظ في الفتح: (قَالَ الْقُرْطُبِيُّ اتَّفَقَتِ الْأَحَادِيثُ الثَّابِتَةُ عَلَى أَنَّ خَاتَمَ النُّبُوَّةِ كَانَ شَيْئًا بَارِزًا أَحْمَرَ عِنْدَ كَتِفِهِ الْأَيْسَرِ قَدْرُهُ إِذَا قُلِّلَ قَدْرُ بَيْضَةِ الْحَمَامَةِ وَإِذَا كُبِّرَ جُمْعُ الْيَدِ، وَاللهُ أَعْلَمُ). انظر: فتح الباري (٦/ ٥٦٣).

فصل

فِي بَعْضِ خَصَائِصِ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الشَّرْح

نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له خصائص تميز بها على سائر الأنبياء والمرسلين:

أولها: أنه خاتم النبيين، لا نبي بعده، أما من قبله، فإن الأنبياء يتعاقبون فيهم، هذا بعد هذا.

الثانية: أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُعث إلى الناس كافة[1]، إلى الجن والإنس: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:١٥٨]، فالذي يقول: (محمد نبي، ولكنه نبي إلى العرب خاصة)؛ كما تقول فرقة من النصارى، هذا كافر؛ لأنه لا يؤمن بعموم رسالته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كافر ولو قال: (إنه نبي)، فهو كافر؛ لأنه مُكذب لله، ومُكذب لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومُكذب لإجماع المسلمين؛ لكونه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرسل إلى الناس

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١)، بلفظ: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً». واللفظ للبخاري.

كافة؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ:٢٨]، كاتب الملوك -ملوك الأرض-، وكاتب الأمراء والأقيال، كاتبهم يدعوهم إلى الإسلام، كاتب ملوك النصارى، وكاتب ملوك المجوس والفرس، وكاتب أهل الأرض، كتب إلى كسرى، وكتب إلى قيصر، وكتب إلى ملوك الأرض والأمراء وجميع القادة، يدعوهم إلى اتباعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويبلغهم رسالة ربه عَزَّ وَجَلَّ[(١)]، ثم أُمر بجهاد من عاند وكفر، هذا دليل على عموم رسالته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الثالثة من خواصه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: المقام المحمود، وهو الشفاعة العظمى يوم القيامة، فلا يقوم بهذه الشفاعة إلا هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين يتأخر عنها أولو العزم، ويتقدم لها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كما في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء:٧٩][(٢)].

❀❀❀

(١) انظر: زاد المعاد: (فَصْلٌ فِي كُتُبِهِ وَرُسُلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُلُوكِ) (١/ ١١٦).
(٢) كما في حديث الشفاعة الذي سبق تخريجه (ص٢٦٧).

وَخَصَّهُ بِذَاكَ كَالْمَقَامِ وَبَعْثِهِ لِسَائِرِ الْأَنَامِ
وَمُعْجِزِ الْقُرْآنِ وَالْمِعْرَاجِ حَقًّا بِلَا مَيْنٍ وَلَا اعْوِجَاجِ

الشَّرْح

هذا معنى قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَخَصَّهُ بِذَاكَ)**؛ يعني: بختم النبوة، **(كَالمَقَامِ)**؛ يعني: كما خصه بالمقام المحمود، وهو الشفاعة العظمى.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَبَعْثِهِ لِسَائِرِ الْأَنَامِ)**، وخصه ببعثه إلى سائر الناس بشيرًا ونذيرًا، فمن لم يؤمن بهذا الرسول وخصائصه، فهو كافر، ولو كان يدعي أنه على شريعة نبي سابق كاليهود والنصارى، فإن الشرائع السابقة نُسخت بشريعة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأُمر جميع الناس باتباعه، اليهود والنصارى وغيرهم، فمن لم يؤمن به، فهو كافر خالد مُخلد في النار. وبهذا يبطل قول المروجين الآن والكذبة والجهال، الذين يقولون: (إن اليهود والنصارى مؤمنون)، وهؤلاء إن كانوا على علم بما يقولون، فهم كفار، أما إن كانوا جهالًا، ولا يدرون أو يقلدون غيرهم ممن قال ذلك، فهم ضلال.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَمُعْجِزِ الْقُرْآنِ وَالْمِعْرَاجِ حَقًّا بِلَا مَيْنٍ وَلَا اعْوِجَاجِ)**.

الرابعة من خصائصه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن الله أعطاه القرآن الذي لم ينزل كتاب يماثله، فهو الكتاب المهيمن العظيم الكافي الشافي للناس إلى أن تقوم الساعة، لا يعدله كتاب.

الخامسة أن الله خصه بالمعراج: وهو الصعود إلى السماء بواسطة المعراج، والمعراج: هو آلة العروج؛ يعني: الصعود[(١)]، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُسري[(٢)] به من مكة إلى بيت المقدس في فلسطين، ثم عُرج به من هناك إلى السماء في ليلة واحدة، وجاوز السبع الطباق، وبلغ إلى سدرة المنتهى، وسمع كلام الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وفرض الله عليه الصلوات الخمس، وعاد إلى مكة في ليلة واحدة، ولم يُعرج بنبي غيره[(٣)].

القرآن هو المعجز حقًّا، معجز من جميع الوجوه، لا يقدر أحد أن يحاكيه، أو يأتي بمثله، والله تحدى الجن والإنس على أن يأتوا بمثله: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء:٨٨]، ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ [هود:١٣]، ثم تحداهم أن يأتوا بسورة: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ ﴾ إلى يوم القيامة، هذا خبر عن المستقبل، ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٢٣-٢٤]،

---

(١) انظر: مادة: (ع ر ج) في لسان العرب (٢/ ٣٢٠)، ومختار الصحاح (ص٤٦٧)، والقاموس المحيط (ص٢٥٣).

(٢) انظر: مادة: (س ر ى) في لسان العرب (١٤/ ٣٨٢)، ومختار الصحاح (ص١٢٥)، والقاموس المحيط (ص١٦٦٩).

(٣) حديث الإسراء والمعراج رواه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم [ح٢٥٩(١٦٢)]. من حديث أنس ابن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفي بعض الروايات يرويه أنس عن مالك بن صعصعة.

مع عداوتهم للرسول صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وبغضهم للرسول صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وتكذيبهم بالقرآن، ومع هذا ما استطاعوا أن يأتوا بمثل أقصر سورة منه، لم يأتوا بمثل سورة العصر، أو الكوثر، أو سورة الإخلاص، عجزوا عن ذلك.

والتحدي مفتوح إلى أن تقوم الساعة، ولا أحد أتى بسورة، فدل على أن القرآن من عند الله سُبْحَانَهُ؛ لأن الله قال: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ ﴾؛ أن تأتوا بسورة من مثله، ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ ﴾ هذا للمستقبل.

فهذا دليل على أن القرآن من عند الله، وهو كرامة لهذا الرسول ومعجزة له صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ معجز في ألفاظه، معجز في معانيه، معجز في سياقه وأسلوبه، معجز في لذته وطراوته وحلاوته، معجز في أخباره الماضية والمستقبلة، معجز في أحكامه وتشريعاته النافعة العادلة، فهو معجز من جميع الوجوه. هو المعجزة الكبرى لنبينا محمد صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، والمعجزة الباقية إلى أن تقوم الساعة الدالة على رسالته صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وصدقه صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

فَـكَـمْ حَـبَـاهُ رَبُّـهُ وَفَـضَّـلَـهْ　　　وَخَـصَّـهُ سُبْـحَـانَـهُ وَخَـوَّلَـهْ

الشَّرح

خصائص الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيرة، ليست مقصورة على هذه المذكورات في القرآن والسنة، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي...**»، ثم بينها بقوله:

الأولى: « **نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ**».

الثانية: «**وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ**»، فمن أدركته الصلاة في أي مكان، فليصلِّ، إن كان عنده ماء، يتوضأ، وإذا لم يكن عنده ماء، يتيمم بالتراب. بينما الأمم السابقة لا تصح عبادتهم إلا في كنائسهم، أما المسلمون، فإن الله جعل لهم الأرض كلها مسجدًا؛ يعني: صالحة للصلاة فيها، وجعل أجزاءها كلها طهور، يرتفع بها الحدث، فيتوضأ بالماء، إن وجده، وقدر على استعماله.

الثالثة: «**وَأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي**»، كانت الغنائم محرمة على الأمم السابقة، إذا حصلوا عليها بالجهاد، جمعوها، فتنزل نار من السماء، وتحرقها. أما هذا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأُحلت له الغنائم، قال تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الأنفال:٦٩].

الرابعة: «**وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ**»، وقد تكلمنا عن الشفاعة عند قوله: (فَإِنَّهَا ثَابِتَةٌ لِلْمُصْطَفَى كَغَيْرِهِ مِنْ كُلِّ أَسْبَابِ الْوَفَا).

الخامسة: «وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إلى النَّاسِ عَامَّةً»[١]، كان النبي من الأنبياء السابقين يُبعث إلى قومه خاصة، أما نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد بُعث إلى الناس كافة، ولا تُنسخ شريعته ولا رسالته إلى أن تقوم الساعة.

والخصائص كثيرة، من العلماء من عد منها ما يستطيع عده؛ مثل: الإمام السيوطي، والقاضي عياض في (الشفاء)، وبعضهم أوصلها إلى مئتين.

---

(١) سبق تخريجه (ص٣١٦).

فصل

في التَّنْبِيهِ عَلَى بَعْضِ مُعْجِزَاتِهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ

الشَّرْح

المعجزات: جمع معجزة، والمعجزة: هي الأمر الخارق للعادة، يُجريه الله عَزَّوَجَلَّ على يد نبي من أنبيائه؛ معجزة له[1]، والخارق للعادة من حيث العموم يُجريه الله على يد النبي؛ معجزة له، و يُجريه الله على يد الولي من أوليائه؛ كرامة له، فالخارق للعادة إن كان معه ادعاء للنبوة، فإنه معجزة، وإن كان ليس معه ادعاء للنبوة، فإنه يقال له: (كرامة من كرامات الأولياء)[2]، وفي نفس الوقت هو معجزة للنبي؛ لأن هذا الولي ما حصل عليه إلا باتباعه للرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فهو كرامة للولي ومعجزة للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

فالمعجزات هي خوارق العادات، وأعظمها القرآن الكريم، وانشقاق القمر فلقتين، قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر:١][3]، ومن معجزاته صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ تكثير الطعام القليل والماء القليل حتى يصدر

---

(١) انظر: القاموس المحيط (ص ٥١٦)، والعين (١/ ٢١٥)، وتهذيب اللغة (١/ ٢١٩)، ومقاييس اللغة (٤/ ٢٣٢).

(٢) انظر تعريف الكرامة في اللغة: لسان العرب (١٢/ ٥١٠)، وأساس البلاغة (١/ ٥٤١)، والمعجم الوسيط (٢/ ٧٨٤).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٣٦)، ومسلم (٤٥) (٢٨٠٠) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: انْشَقَّ القَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ شِقَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**اشْهَدُوا**».

الجماعات من الناس عنه(١).

ومعجزات الأنبياء هي ما يقيمه الله على أيديهم من خوارق العادات؛ دالًّا على صدقهم؛ مثل: العصا والحية لموسى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومثل: إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومثل: ما أوتي نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٠٧٠)، ومسلم (٢٠٣٩) عن سَعِيد بْن مِينَاءَ، قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا، وَطَحَنْتُ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، فَتَعَالَ أَنْتَ وَنَفَرٌ، فَصَاحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: **«يَا أَهْلَ الخَنْدَقِ إِنَّ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ سُؤْرًا، فَحَيَّ هَلًا بِكُمْ»**.
وكما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٤٤)، ومسلم (٦٨٢) «...وَدَعَا عَلِيًّا فَقَالَ: اذْهَبَا، فَابْتَغِيَا المَاءَ، فَانْطَلَقَا، فَتَلَقَّيَا امْرَأَةً بَيْنَ مَزَادَتَيْنِ -أَوْ سَطِيحَتَيْنِ- مِنْ مَاءٍ عَلَى بَعِيرٍ لَهَا، فَقَالَا لَهَا: أَيْنَ المَاءُ؟ قَالَتْ: عَهْدِي بِالمَاءِ أَمْسِ هَذِهِ السَّاعَةَ وَنَفَرُنَا خُلُوفٌ، قَالَا لَهَا: انْطَلِقِي، إِذًا قَالَتْ: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَا: إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: الَّذِي يُقَالُ لَهُ الصَّابِئُ، قَالَا: هُوَ الَّذِي تَعْنِينَ، فَانْطَلِقِي، فَجَاءَا بِهَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَحَدَّثَاهُ الحَدِيثَ، قَالَ: فَاسْتَنْزَلُوهَا عَنْ بَعِيرِهَا، وَدَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِنَاءٍ، فَفَرَّغَ فِيهِ مِنْ أَفْوَاهِ المَزَادَتَيْنِ -أَوْ سَطِيحَتَيْنِ- وَأَوْكَأَ أَفْوَاهَهُمَا وَأَطْلَقَ العَزَالِيَ، وَنُودِيَ فِي النَّاسِ اسْقُوا وَاسْتَقُوا، فَسَقَى مَنْ شَاءَ وَاسْتَقَى مَنْ شَاءَ وَكَانَ آخِرُ ذَاكَ أَنْ أَعْطَى الَّذِي أَصَابَتْهُ الجَنَابَةُ إِنَاءً مِنْ مَاءٍ، قَالَ: اذْهَبْ فَأَفْرِغْهُ عَلَيْكَ، وَهِيَ قَائِمَةٌ تَنْظُرُ إِلَى مَا يُفْعَلُ بِمَائِهَا، وَايْمُ اللهِ لَقَدْ أُقْلِعَ عَنْهَا، وَإِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيْنَا أَنَّهَا أَشَدُّ مِلْأَةً مِنْهَا حِينَ ابْتَدَأَ فِيهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«اجْمَعُوا لَهَا»** فَجَمَعُوا لَهَا مِنْ بَيْنِ عَجْوَةٍ وَدَقِيقَةٍ وَسَوِيقَةٍ حَتَّى جَمَعُوا لَهَا طَعَامًا، فَجَعَلُوهَا فِي ثَوْبٍ وَحَمَلُوهَا عَلَى بَعِيرِهَا وَوَضَعُوا الثَّوْبَ بَيْنَ يَدَيْهَا، قَالَ لَهَا: تَعْلَمِينَ، مَا رَزِئْنَا مِنْ مَائِكِ شَيْئًا، وَلَكِنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي أَسْقَانَا»، وكما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٠٧٠، ٣٤٤، ٣٥٧٤، ٣٥٧٦)، ومسلم (٢٧، ٦٨٢، ١٨٥٦، ٢٠٣٩، ٢٢٧٩).

المعجزات الكثيرة(١).

ولكن ليست دلائل النبوة مقصورة على المعجزات، بل منها المعجزات؛ كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب النبوات، وتُسمى بالآيات، وكونها تُسمى بالآيات أحسن من تسميتها بالمعجزات.

يقول: (لأن لفظ المعجزة لم يأت في القرآن ولا في السنة، إنما جاء ذكر الآيات؛ يعني: العلامات الدالة على الأنبياء(٢))، وهي كثيرة:

منها: أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يخرج عن سيرة من قبله من الأنبياء.

ومنها: صدقه وعدم تجريب الكذب عليه.

ومنها: صفاته الخَلقية، كان عبد الله بن سلام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من أحبار اليهود، فلما قدم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة مهاجرًا، ذهب إليه ليتعرف عليه، فلما نظر إلى وجهه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ»، بمجرد ما نظر إلى وجه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عرف أنه ليس وجه كذاب، فآمن به، واتبعه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ(٣)، وابن رواحة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول في شعره:

---

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١/ ٣٣٩) مبحث معجزات النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي الباب أيضًا دلائل النبوة للبيهقي، والفريابي، وأبي نعيم.

(٢) انظر: النبوات (١/ ٢١٥).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجه (١٣٣٤)، وأحمد (٣٩/ ٢٠١)، والدارمي (١٥٠١) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِسَلَامٍ**».

فِي وَجْهِهِ شَاهِد مِنَ الخَبَرِ[(١)].

فدلائل النبوة كثيرة، ليست محصورة على المعجزة، وإنما المعجزات بعض الأدلة على صدقهم.

---

(١) عجز بيت صدره: لَا تَسْأُلِ المَرْءَ عَنْ خَلَائِقِهِ. وقائل البيت هو سلم الخاسر. انظر: الإعجاز والإيجاز (ص ١٥٤)، والتمثيل والمحاضرة (ص ٧٧)، وزهر الآداب وثمر الألباب (٤/ ١٠٣٠)، والدر الفريد وبيت القصيد (١١/ ١٤٨)، ونهاية الأرب في فنون الأدب (٣/ ٨١).

وَمُعْجِزَاتُ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ كَثِيرَةٌ تَجِلُّ عَنْ إِحْصَائِي

مِنْهَا كَلَامُ اللهِ مُعْجِزُ الْوَرَى كَذَا انْشِقَاقُ الْبَدْرِ فِي غَيْرِ امْتِرَا

الشَّرْح

ومعجزات نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (**تَجِلُّ عَنْ إِحْصَائِي**)؛ يعني: لا تُعد؛ لأنها كثيرة، لا تحصى لكثرتها.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (**مِنْهَا كَلَامُ اللهِ مُعْجِزُ الْوَرَى**)، أعظم المعجزات المحمدية كلام الله جَلَّ وَعَلَا، الذي أعجز الورى؛ يعني: الخلق الجن والإنس ما استطاعوا أن يحاكوه، أو يأتوا بسورة من مثله، بل أعجز الجن والإنس: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾ [الإسراء:٨٨]، هذا في المستقبل، وفي وقت نزوله، وفيما بعد، إلى أن تقوم الساعة: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾، شيء نفاه الله، لا يمكن أن يحصل أبدًا.

فكل من تمعن في هذا القرآن عن إنصاف، ودرسه حق دراسة، فإنه يُسلم إن كان كافرًا، الآن المسلمون كما ترون ضعفهم لا جهاد ولا قوة، وكم الذين يسلمون الآن؟ بالمئات والآلاف من غير جهاد، بل بمجرد ما ينظر في القرآن، ويتمعن آياته، وهو يريد الحق، فإنه يسلم، وعلى العكس تجد النصارى يبذلون الجهد والمال فيما يسمونه بالتبشير والدعوة إلى النصرانية، ولا يؤمن إلا أفراد قليلون؛ طمعًا في المال، ولا يلبثون أن يتحولوا عن النصرانية.

أما هذا الدين، فما دخل فيه أحد عن صدق، إلا وتمسك به؛ يعني: إذا دخله عن اقتناع وعن رغبة، فإنه لا يمكن أن يرتد، لكن إذا دخله عن طمع

من غير تأمل، فقد يرتد، أما من دخله عن اقتناع ومعرفة به، فإنه لا يرتد؛ لأنه الحق الذي إذا باشر القلوب، فإنها تثبت عليه.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما من الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إلا أُعْطِيَ ما مِثْلُهُ آمَنَ عليه الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كان الذي أوتيته وَحْيًا أَوْحَاهُ الله إلي، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يوم الْقِيَامَةِ**»[1].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (كَذَا انْشِقَاقُ الْبَدْرِ فِي غَيْرِ امْتِرَا)، من المعجزات الكبرى انشقاق القمر، لما تمرد كفار قريش على دعوة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقالوا له: (إن كنت صادقًا، فشق لنا هذا القمر)، فدعا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فانشق القمر، فصار شقين؛ شق على جبل، والشق الثاني على جبل آخر[2]، وهم ينظرون إلى ذلك، لكنهم لم يُسلموا؛ لأنهم لا يريدون الحق، وإلا فإن الذي يريد الحق يُسلم بمجرد ما يسمع القرآن، أما هؤلاء، فهم متعنتون، يريدون تعجيز الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا جاءهم بما يطلبون، كفروا، وأبوا؛ لأنهم لا يريدون الحق، والذي لا يريد الحق لا حيلة فيه مهما عملت، إنما يهتدي من يريد الحق وخفي عليه، هذا هو الذي يهتدي، أما الذي لا يريد الحق، فهذا لا يمكن أن تقنعه أبدًا. ولذلك لم يؤمنوا لما انشق القمر: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ [القمر:١-٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٨١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) سبق تخريجه (ص٣٢٣).

فصل

فِي ذِكْرِ فَضِيلَةِ نَبِيِّنَا وَأُولِي الْعَزْمِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ

وَأَفْضَلُ الْعَالَمِ مِنْ غَيْرِ امْتِرَا   نَبِيُّنَا الْمَبْعُوثُ فِي أُمِّ الْقُرَى
وَبَعْدَهُ الأَفْضَلُ أَهْلُ الْعَزْمِ   فَالرُّسْلُ ثُمَّ الأَنْبِيَا بِالْجَزْمِ

الشَّرح

أفضل العالم وأفضل الرسل من غير شك هو نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَلَا فَخْرَ»(١)، فهو أفضل الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، والأنبياء يتفاضلون فيما بينهم؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة:٢٥٣]، فالأنبياء يتفاضلون، بعضهم أفضل من بعض، ولكن كلهم أنبياء الله عَزَّ وَجَلَّ، لا يجوز أن يُتنقص أحد منهم على وجه المفاخرة، فيقول: (نبينا أفضل من نبيكم) من باب المفاخرة، لا يقال هذا، ولا يُتنقص نبي من الأنبياء، ولو كان مفضولًا، ولهذا قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللهِ»(٢)، أما ذكر أن رسولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل من باب التحدث بنعمة الله، فلابأس

---

(١) أخرجه مسلم (٣) (٢٢٧٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤١٤)، ومسلم (١٥٩) (٢٣٧٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

بذلك، ذكر الرسول أنه أفضل الخلق، فهذا من التحدث بنعمة الله، ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَلَا فَخْرَ**»؛ أي: لم يذكر هذا من باب الافتخار، وإنما ذكره من باب التحدث بنعمة الله عَزَّ وَجَلَّ.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(الْمَبْعُوثُ فِي أُمِّ الْقُرَى)**، وهي مكة، وهذه هي سنة الله جَلَّ وَعَلَا؛ أنه يبعث الرسل في القرى؛ أي: المدن، ولا يبعثهم من البادية، بل يبعثهم من المدن: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا﴾ [القصص:٥٩]، ونبينا بُعث في مكة، وهي أم القرى، ومعنى أم القرى أي: أعظم القرى وأشرفها وأعظمها، وهي البلد الذي ترجع إليه بقية البلدان، قال تعالى: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى:٧]؛ لأن النبي إذا بُعث في المدينة، انتشر خبره في الآفاق، أما لو بُعث في بادية أو في مكان صغير، فإنه لا يُدرى عنه، فكونه يكون في أكبر المدن، هذا يسبب انتشار خبره؛ لأن الناس يأتون إلى المدن، ويروون الأخبار، ويتناقلونها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَبَعْدَهُ الْأَفْضَلُ أَهْلُ الْعَزْمِ فَالرُّسْلُ ثُمَّ الْأَنْبِيَا بِالْجَزْمِ)**، الرسل يتفاضلون، أفضلهم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الإطلاق، ثم من بعده أولو العزم الخمسة، وهم المذكورون في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ﴾ [الشورى:١٣]، هؤلاء هم أولو العزم، وهم أفضل الرسل، قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٣٥]، ثم من بعد أولى العزم في الفضيلة بقية الرسل، ثم الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

فصل

فِيمَا يَجِبُ لِلْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَمَا يَجُوزُ عَلَيْهِمْ وَمَا يَسْتَحِيلُ فِي حَقِّهِمْ

وَإِنَّ كُـلَّ وَاحِـدٍ مِـنْـهُـمْ سَلِمْ ... مِنْ كُلِّ مَا نَقْصٍ وَمِنْ كُفْرٍ عُصِمْ

كَـذَاكَ مِـنْ إِفْـكٍ وَمِـنْ خِيَانَه ... لِوَصْفِهِمْ بِالصِّدْقِ وَالْأَمَانَه

الشَّرْح

الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- سالمون من كل نقص خُلقي ونقص خَلقي، كمَّلهم الله جَلَّوَعَلَا، وهيأهم لحمل رسالته إلى خلقه.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَإِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ سَلِمْ * مِنْ كُلِّ مَا نَقْصٍ وَمِنْ كُفْرٍ عُصِمْ)**، وكذلك هم معصومون من الكفر، ومعصومون من كبائر الذنوب، وإن وقع من أحد منهم خطأ، فإنه معصوم من الاستمرار عليه، بل إن الله جَلَّوَعَلَا ينبهه عليه، فيتوب، ما ذُكر خطأ من نبي، إلا ذُكرت معه التوبة، فهم معصومون -عليهم الصلاة والسلام- في البداية وفي النهاية.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كَذَاكَ مِنْ إِفْكٍ وَمِنْ خِيَانَه لِوَصْفِهِمْ بِالصِّدْقِ وَالْأَمَانَه)**، وكذلك هم معصومون في أخلاقهم من الإفك والكذب، ومعصومون من الخيانة بالعهود، والخيانة بالمواثيق، وخيانة الأمانات؛ لأنهم -عليهم الصلاة والسلام- أطهار بررة، معصومون من كل وصف ذميم ومن كل خلق ذميم، فهم أكمل الخلق على الإطلاق.

وَجَائِزٌ فِي حَقِّ كُلِّ الرُّسُلِ   النَّوْمُ وَالنِّكَاحُ مِثْلُ الأَكْلِ

الشَّرح

لما ذكر ما يتصف به الرسل -عليهم الصلاة والسلام- من الصفات التي تميزهم عن غيرهم، ذكر ما يجوز في حقهم، ولا يكون فيه عيبًا عليهم، وذلك مثل الأحوال البشرية التي تجري على بني آدم -مثل: المرض، والموت، والجوع-، فهذا يجري على الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، بل هم أشد الناس ابتلاءً، وقد يجري عليهم القتل؛ كما قُتل جماعة منهم، وكذلك مما يحتاجون إليه، وليس بعيب في حقهم: الأكل والشرب؛ فإنهم بحاجة إليه، اتخاذ الزوجات والأولاد، فهم كغيرهم في هذا؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد:٣٨]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان:٢٠]، ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ﴾ [الأنبياء:٨]، بل كلهم يأكلون الطعام، ويحتاجون إليه، والله يجري عليهم الموت: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأنبياء:٣٤-٣٥]، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران:١٤٤]، فهم يجري عليهم ما يجري على البشر من الأشياء التي ليس فيها نقص في حقهم، وإنما فيها كمال حياتهم، وكذلك ينامون كما ينام غيرهم؛ لأن النوم من الحاجة والصحة، فهم ينامون، ولهذا لما جاء جماعة إلى أزواج

النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وسألوا عن عبادة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ؛ ليقتدوا به فيها، فلما ذكر لهم عبادة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كأنهم تقالوها -كما في الحديث-، وقالوا: أين نحن من رسول الله؛ لأنه غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟! فقال أحدهم: (أنا أقوم، ولا أنام)، وقال الآخر: (أنا أصوم ولا أفطر)، وقال الثالث: (أنا لا أتزوج النساء)، وقال الرابع: (أنا لا أكل اللحم)، يظنون أن هذا عبادة لله عَزَّوَجَلَّ، فلما بلغ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قولهم، أنكر عليهم، وقال لهم صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أَمَا إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلّهِ** عَزَّوَجَلَّ **وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي، فَلَيْسَ مِنِي**»(١).

❁❁❁

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) من حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، قال: «جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا بِهَا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَأُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ الآخَرُ: إِنِّي أَصُومُ الدَّهْرَ فَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ الآخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ وَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: «**أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا إِنِّي لأَخْشَاكُمْ للهِ** عَزَّوَجَلَّ **وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي، فَلَيْسَ مِنِّي**».

فصل

فِي ذِكْرِ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

الشَّرْح

لما فرغ من ذكر الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- عمومًا، وذكر نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خصوصًا، انتقل إلى أفضل الخلق بعد الأنبياء، وهم صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقرنهم خير القرون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»(١)، فهم خير القرون وأفضل الأمة على الإطلاق، ولا أحد يساويهم في فضلهم؛ لأن الله اختصهم بصحبة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجهادهم معه، ومجالسته، ورؤيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مما لم يحصل لمن يأتي بعدهم، وأيضًا هم الذين حملوا الرسالة من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحملوا هذا العلم، وبلغوه لمن بعدهم، فهم الواسطة بيننا وبين الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تبليغ العلم والشرع، وفضائلهم كثيرة، لا يلحقهم فيها أحد، ولا يسبقهم أحد -رضي الله عنهم وأرضاهم-، وقد أثنى الله عليهم في القرآن، قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى

---

(١) سبق تخريجه (ص٩٥).

ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [الفتح:٢٩]، هذه صفاتهم، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر:٨-٩]، فهؤلاء هم صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المهاجرون والأنصار، هم أفضل الأمة، ولا أحد يلحقهم في فضلهم، ولا يجوز الكلام فيهم بما ينقص قدرهم أو ينتقدهم، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلا نَصِيفَهُ»**(١)، اختارهم الله لصحبه نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والجهاد مع رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهم أغزر الناس علمًا، وأقلهم تكلفًا، فهم خيرة هذه الأمة على الإطلاق، وقرنهم خير قرونها(٢)، وهم يتفاضلون فيما بينهم، فلا شك أن المهاجرين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أفضل من الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لأن الله قدم المهاجرين على

---

(١) رواه البخاري (٣٦٧٣)، مسلم [٢٢٢(٢٥٤١)]، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) كما في الحديث الذي رواه رزين كما في المشكاة (١/ ٦٧)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣٠٥) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «مَنْ كَانَ مُسْتَنًّا، فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ، فَإِنَّ الْحَيَّ لَا تُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ، أولئك أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانُوا أَفْضَلَ هَذِهِ الْأمة، أبرَّها قلوبًا، وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا، وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا، اخْتَارَهُمُ اللهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ، ولإقامة دِينه، فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ، واتبعُوهم على أثرهم، وتمسَّكوا بما استطَعْتُم من أخلاقِهم وسيرِهم، فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ».

الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأفضلهم الخلفاء الأربعة، ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة، ثم أهل بدر، ثم أهل بيعة الرضوان، وكذلك الذين أسلموا قبل الفتح أفضل من الذين أسلموا بعد الفتح، وكلًا وعد الله الحسنى، كلهم صحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وإن كانوا يتفاضلون فيما بينهم، فكلهم صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا يجوز الكلام فيهم، ولا يجوز الحط من قدرهم، ولا يجوز تنقصهم، ولا يجوز اتهامهم بالتهم الباطلة التي تفتريها في حقهم الطوائف الضالة كالخوارج والشيعة(١)، ومن نحا نحوهم، فيجب على المسلم أن يعتقد هذه العقيدة في صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) هم الذين شايعوا عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصًا ووصية، إما جليًا وإما خفيا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده، وهم ثلاث طوائف: الغالية، والروافض، والزيدية.
انظر: مقالات الإسلاميين (ص٥ وما بعدها)، والملل والنحل (ص١٤٦)، والتعريفات (ص١٧١).

وَلَيْسَ فِي الأُمَّةِ بِالتَّحْقِيقِ ... فِي الفَضْلِ وَالْمَعْرُوفِ كَالصِّدِّيقِ

الشَّرْح

أفضلهم الخلفاء الراشدون رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وأفضل الخلفاء الراشدين أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهو خليفة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اسمه عبد الله، والصديق لقبه، لقَّبه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصديق، وكنيته أبو بكر، واسمه عبد الله بن عثمان، وهو أول من آمن بالرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الرجال الأحرار، ولازمه وجاهد معه، ولم يفارقه منذ أن أسلم إلى أن توفي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان رفيقه في أسفاره، لا يفارقه، وكان يعطي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ماله ما يستعين به على مهام الدعوة والرسالة، وشهد مع الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المشاهد كلها، فهو أفضل الأمة على الإطلاق -رضي الله عنه وأرضاه-، وكان صاحبه في الغار: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠]، فهو صاحب الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الغار، ورفيقه في سفر الهجرة، وخليفته بعد وفاته، وهو الذي نصر الله به الإسلام بعد وفاة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لما ارتد من ارتد من العرب، واضطرب الأمر، فقام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وثبت ثبوت الجبال، وقاتل المرتدين حتى أخضعهم لحكم الإسلام، وثبت الله به الدين، ثم إنه عند وفاته اختار أفضل الأمة من بعده، وهو عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فعهد إليه بالخلافة من بعده، وفضائله كثيرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وَبَعْدَهُ الْفَارُوقُ مِنْ غَيْرِ افْتِرَا وَبَعْدَهُ عُثْمَانُ فَاتْرُكِ الْمِرَا

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَبَعْدَهُ الْفَارُوقُ مِنْ غَيْرِ افْتِرَا)**، وبعد الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عمر الفاروق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، سمي بالفاروق؛ لأن الله فرق به بين الحق والباطل، وأعز الإسلام بإسلامه، لما أسلم، قوي المسلمون، قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ»[(١)]، فأعز الله به الإسلام، ولي الخلافة بعد أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ثم قام بها خير قيام، وجاهد في سبيل الله، وفتح الفتوح في المشارق والمغارب، حتى انتشر الإسلام في عهده، وقوي الإسلام في عهده رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فهو في الدرجة الثانية في الفضل بعد أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَبَعْدَهُ عُثْمَانُ فَاتْرُكِ الْمِرَا)**، والثالث الخليفة الثالث عثمان بن عفان بن أبي العاص من بني عبد شمس بن عبد مناف الأموي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أسلم قديمًا، فهو من السابقين الأولين إلى الإسلام، وهاجر الهجرتين؛ الهجرة الأولى إلى الحبشة، والهجرة الثانية إلى المدينة، وجاهد مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتزوج بنتي الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تزوج رقية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، ثم لما ماتت، زوجه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأم كلثوم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، ولذلك سمي ذا النورين؛ لأنه تزوجَ بنتي الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وولي الخلافة بعد عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وذلك لأن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لما طعن، وحضرته الوفاة، أوصى إلى الستة الباقين من العشرة المبشرين بالجنة، الذين توفي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٨٤).

وهو عنهم راض، فاتفق هؤلاء على تقديم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبايعوه، وبايعه المسلمون، وانعقدت خلافته -رضي الله عنه وأرضاه-، وهو الذي جهز جيش العسرة، وهو الذي كان ينفق ماله في سبيل الله، وفي حاجة المسلمين، وهو الذي أمر بكتابة المصحف؛ لأن القرآن كان ينزل على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمر بكتابته، فيُكتب على أشياء مختلفة؛ على أوراق، وعلى عظام، وعلى جلود، وعلى ما تيسر، وما توفي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلا وقد كُتب القرآن كله، إلا أنه كان متفرقًا في هذه الأشياء، ولما كانت وقعة اليمامة، وقُتل كثير من قراء الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، واستشهدوا في اليمامة، خشي الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على القرآن، فقاموا وجمعوه في عهد أبي بكر، جمعوا القرآن من هذه المكتوبات المتفرقات في مصحف واحد، فكانت مع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مصاحف مختلفة، كل له مصحف قد تختلف قراءته عن قراءة الآخر، ولما كان في خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رأى حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اختلاف الناس في القراءة، فخشي على القرآن، وخشي على الأمة من الاختلاف، فجاء إلى عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخليفة الراشد، وقال له: «أَدْرِكْ هَذِهِ الْأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ اخْتِلَافَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى»[(١)]، فعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جمع جماعة من أشهر

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٧٨) عن ابْن شِهَابٍ أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدَّثَهُ: «أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّأْمِ فِي فَتْحِ إِرْمِينِيَةَ وَأَذْرَبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلَافُهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَدْرِكْ هَذِهِ الْأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ اخْتِلَافَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ وَعَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ =

القراء من صحابة رسول الله ﷺ، وأمرهم أن يجمعوا المصاحف على مصحف واحد، هو مصحف عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الباقي إلى الآن بأيدي الناس، ولما كتبوه، استنسخ منه نسخًا، وأرسلها إلى الأقطار في الخلافة الإسلامية، وأمر بإحراق ما عدا هذا المصحف؛ لأجل أن يجمع الناس على مصحف واحد، ولا يتفرقوا، فاجتمعوا على مصحف عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولذلك يُسمى المصحف العثماني، أو المصحف الإمام، وهو هذا المصحف الموجود اليوم -ولله الحمد-، فهذا من فضائل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو الذي أمر بالأذان الأول في الجمعة؛ لأجل أن يتنبه الناس لصلاة الجمعة؛ فيذهبوا لصلاة الجمعة؛ لأنهم لو تُركوا، لانشغلوا في بيعهم وشرائهم ومزارعهم، فأمر بالأذان الأول؛ حتى يتهيأ الناس لصلاة الجمعة، فكان هذا الأذان من سنة الخلفاء الراشدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فقد قال ﷺ: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي**»(١).

❁❁❁

=فَنَسَخُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلَاثَةِ: إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنْ الْقُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِفِ رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنْ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ».

(١) سبق تخريجه (ص٧٤).

وَبَعْدُ فَالْفَضْلُ حَقِيقًا فَاسْمَعِ ... نِظَامِي هَذَا لِلْبَطِينِ الأَنْزَعِ
مُجَدِّلِ الأَبْطَالِ مَاضِي الْعَزْمِ ... مُفَرِّجِ الأَوْجَالِ وَافِي الْحَزْمِ

الشَّرْح

وبعد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صارت الخلافة إلى الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ابن عم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وزوج ابنته فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، الشجاع البطل المجاهد الحافظ لكتاب الله، الراوي للعلم الغزير، فبايعه المسلمون، وانعقدت خلافته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فصار رابع الخلفاء الراشدين، الذين قال فيهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي**»(١)، وفضائله كثيرة:

أولها: أنه ابن عم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وثانيها: أنه كان زوج فاطمة بنت الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأبا الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وثالثها: أنه الخليفة.

ورابعها: أنه الذي أعز الله به الإسلام، وقمع به الخوارج والفرق الضالة.

فله فضائل كثيرة، وقد قال فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم خيبر: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ يَفْتَحُ اللهُ على يَدَيْهِ**»(٢)،

---

(١) سبق تخريجه (ص٧٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٠١)، ومسلم (٢٤٠٦) عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ**=

فكان علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو ذلك الرجل المشهور بشجاعته وصرامته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(لِلْبَطِينِ الْأَنْزَعِ)**، هذا من صفاته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (الْأَنْزَعِ): يعني أنه منحسر شعر رأسه عن النزعتين من جانبي الجبهة، (البطين) أنه عظيم البطن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(مُجَدِّلِ الْأَبْطَالِ)** أي: مجندل الأبطال، ولكن الناظم قال: (مُجَدِّلِ) من أجل النظم؛ أي: الذي يصرع الأبطال حين يبارزهم لشجاعته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(مَاضِي الْعَزْمِ)** كان قوي العزيمة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(مُفَرِّجِ الْأَوْجَالِ)** الأوجال: جمع وجل؛ أي: أنه عند الخوف كان مقدامًا، يفرج الله به للمسلمين في المعارك، وملاقاة العدو.

=**يَفْتَحُ اللهُ على يَدَيْهِ**». قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا على رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا. فَقَالَ: «**أَيْنَ علي بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟**» فَقَالُوا: يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**فَأَرْسِلُوا إليهِ فَأْتُونِي بِهِ**»، فَلَمَّا جَاءَ بَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ. فَقَالَ علي: يَا رَسُولَ اللهِ أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا. فَقَالَ: «**انْفُذْ على رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عليهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ، فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**».

وَافِي النَّدَى مُبْدِي الْهُدَى مُرْدِي الْعِدَا مُجْلِي الصَّدَى يَا وَيْلَ مَنْ فِيهِ اعْتَدَى
فَحُبُّهُ كَحُبِّهِمْ حَتْمًا وَجَبْ وَمَنْ تَعَدَّى أَوْ قَلَى فَقَدْ كَذَبْ

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَافِي النَّدَى)**؛ يعني: كثير العطاء؛ لأنه كان جوادًا في الإنفاق في سبيل الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مُبْدِي الهُدَى)**، بما أعطاه الله من العلم، كان من علماء الصحابة الأجلاء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مُرْدِي الْعِدَا)**، مثل: (مُجَدِّلِ الْأَبْطَالِ)؛ أنه كان يصرع الكفار بسيفه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مُجْلِي الصَّدَى)**، الصدى: يعني العطش؛ أنه كان يروي العطش، يعني: يروي عطش الجهل بعلمه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(يَا وَيْلَ مَنْ فِيهِ اعْتَدَى)** بأن سبه أو تنقصه؛ كما تفعله النواصب، الذين يبغضون عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ويسبونه، وكذلك الخوارج.

وكذلك من الاعتداء في حق علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الغلو فيه، وتفضيله على الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ كما تقوله الشيعة؛ أنه أفضل من أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وأنه هو الأحق بالخلافة، وأنه هو وصي رسول الله، وأن الخلافة له، وأن أبا بكر وعمر وعثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ظلموه، واغتصبوا الخلافة، هذا قول الشيعة، وهذا من العدوان في حق علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من الخلفاء الراشدين

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهو الخليفة الرابع في الترتيب وفي الفضل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، نحن لا نجحد فضله وخصاله الطيبة، ولكن لا نغلو فيه كما تغلو الشيعة، ولا نجفو في حقه كما جفت الخوارج والنواصب الذين ينتقصونه، بل إن الخوارج كفروه.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فَحُبُّهُ كَحُبِّهِمْ حَتْمًا وَجَبْ)**، حب علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كحب إخوانه من الخلفاء الراشدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ واجب على الأمة، ومحبتهم دين، وبغضهم نفاق وكفر.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَمَنْ تَعَدَّى أَوْ قَلَى فَقَدْ كَذَبْ)**، ومن تعدى بأن غلا في علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفضله على أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -كالشيعة-، أو ادعى أن الخلافة له بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد كذب، وخالف إجماع الأمة، ومن تنقصه وحط من قدره، فقد كذب أيضًا -كالخوارج والنواصب-، فالواجب: الاعتدال ومعرفة الحق بأدلته، وعدم الذهاب مع الأهواء والنزعات الشيطانية، والتقليد الأعمى للفرق الضالة، بل يكون الإنسان على هدى وعلى دليل من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من غير إفراط ومن غير تفريط في حق الخلفاء الراشدين.

وَبَعْدُ فَالْأَفْضَلُ بَاقِي الْعَشَرَهْ فَأَهْلُ بَدْرٍ ثُمَّ أَهْلُ الشَّجَرَهْ

الشَّرْح

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَبَعْدُ فَالْأَفْضَلُ بَاقِي الْعَشَرَهْ**)، ثم بعد الخلفاء الراشدين في الفضيلة بقية العشرة المشهود لهم بالجنة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ الخلفاء الأربعة، والخامس: طلحة بن عبيد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، والسادس: الزبير بن العوام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، والسابع: سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، والثامن: سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، والتاسع: أبو عبيدة عامر بن الجراح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، والعاشر: عبد الرحمن ابن عوف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ(١).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَأَهْلُ بَدْرٍ ثُمَّ أَهْلُ الشَّجَرَهْ**)، ثم بعد العشرة أهل بدر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وهم الذين حضروا وقعة بدر، وكانت في السنة الثانية من الهجرة، وقعت عند ماء يُقال له: بدر، بين المسلمين والكفار، فأعز الله بها المسلمين، وسماها يوم الفرقان؛ لأن الله فرق فيها بين الحق والباطل، وهي أول غزوة في الإسلام، قتل الله فيها صناديد قريش، الذين كفروا برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وآذوا المسلمين، وضايقوهم في مكة، قتلهم الله في هذه الوقعة، واستشهد

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٤٩)، والترمذي (٣٧٤٧)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٥٦)، وابن ماجه (١٣٣)، وأحمد (١/ ١٨٨)، ولفظ عند الترمذي: عن عبد الرحمن بن عَوْفٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أبو بَكْرٍ في الجَنَّةِ، وَعُمَرُ في الجَنَّةِ، وَعُثْمانُ في الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ في الجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ في الجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ في الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرحمن بن عَوْفٍ في الجَنَّةِ، وَسَعْدٌ في الجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ في الجَنَّةِ، وأبو عُبَيْدَةَ بن الجَرَّاحِ في الجَنَّةِ**».

فيها من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أربعة عشر، وقُتل فيها من كبار المشركين سبعون رجلًا، وأسر منهم سبعون رجلًا، وغنم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ما معهم من السلاح ومن الإبل والخيل، واشتهر ذكرها في الجزيرة وفي الأقطار البعيدة، عند ذلك خاف المشركون خوفًا شديدًا، وكل من سمع بهذه الواقعة وقع في قلبه الخوف من المسلمين، وأعز الله بها الإسلام وأهله، وأذل بها الشرك وأهله، فمن حضرها، فله فضل على غيره ممن لم يحضرها(١)، وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ على أَهْلِ بَدْرٍ فقال اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»(٢).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**ثُمَّ أَهْلُ الشَّجَرَهْ**)، ثم بعد أهل بدر أهل الشجرة، أهل بيعة الرضوان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:١٨]، وكانت في السنة السابعة من الهجرة، خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ -وكانوا ألفًا وأربعمائة-، يريدون العمرة، ما أرادوا قتالًا، فلما وصلوا إلى الحديبية -وهي ماء قريب من مكة، يُقال لها الآن: الشميسي، على طريق القادم من جدة، قريبة من التنعيم-، لما وصل هذا المكان، خرج إليه المشركون؛ ليمنعوه من دخول مكة، ويصدوه عن العمرة، فحصل ما حصل من المفوضات بينه وبينهم، وانتهى الأمر

---

(١) انظر أخبار غزوة بدر في: تاريخ الطبري (٢/ ٢٦٥)، وسيرة ابن هشام (١/ ٦٠٦)، ودلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (١/ ٤٦٩)، ودلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٢٣)، والروض الأنف (٥/ ٥٩)، والسيرة النبوية لابن كثير (٢/ ٣٨٠)، ونور اليقين (ص٩٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٠٨)، ومسلم (٢٤٩٤).

بالصلح المسمى صلح الحديبية -الذي كان نصرًا للإسلام والمسلمين- على أن يرجع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ تلك السنة، وأن يعتمروا من العام القادم، وجرى بينه وبينهم الصلح على ترك القتال، وعلى ترك المضايقة للمسلمين الذين يريدون الهجرة، والذين يريدون الإسلام، فحصل الصلح على هذا، فكانت فتحًا من الله عَزَّ وَجَلَّ، أزال به الضيق عن المسلمين الذين يريدون الإسلام، والذين يريدون الهجرة، ووضع القتال بين الكفار وبين الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبعدها فتح الله للمسلمين خيبر أرض اليهود وما فيها من النخيل، والمزارع والخيرات الكثيرة، وسماها الله فتحًا، وأنزل فيها سورة الفتح: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح:١]، إلى آخر السورة، وقد شق صلح الحديبية على المسلمين؛ لأنهم يريدون العمرة، ولا يريدون الذلة -بزعمهم-، ظنوا أن هذا ذلة للمسلمين، ولكن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صمم على هذا؛ لأن الله أمره بهذا، فكان فيه الخير الكثير للمسلمين: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة:٢١٦](١)، فالذين حضروا هذه البيعة، وبايعوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجبت لهم الجنة، ورضي الله عنهم.

وسبب هذه البيعة: أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما صده المشركون، أرسل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى أهل مكة يخبرهم بأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما قدم للقتال، وإنما قدم للعمرة، فأُشيع أن عثمان قُتل في مكة، فعند ذلك عزم

---

(١) انظر قصة صلح الحديبية في: سيرة ابن هشام (٢/ ٣٠٨-٣٢٣)، والروض الأنف (٧/ ٧٦)، وتاريخ الطبري (٣/ ٧١)، والسيرة النبوية لابن كثير (٣/ ٣١٢-٣٣٧).

النبي ﷺ على القتال، وبايعه أصحابه رضي الله عنهم على الموت تحت هذه الشجرة[1]، ثم بعد ذلك تم الصلح، الذي صار عزًّا للإسلام والمسلمين، وإن كان في ظاهره أنه دنيّة على المسلمين، ولكن صار في الحقيقة عزًا للإسلام والمسلمين.

(١) انظر: بيعة الشجرة في: البخاري (٤١٦٩)، ومسلم (١٨٦٠). وانظر: دلائل النبوة للبيهقي (٤/ ١٣٥)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٣١٥)، والروض الأنف (٧/ ٨٢)، والسيرة النبوية لابن كثير (٣/ ٣١٩).

وَقِيـلَ أَهْـلُ أُحُـدٍ الْمُقَـدَّمَـهْ   وَالأَوَّلُ أَوْلَى لِلنُّصُوصِ المُحْكَمَهْ

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَقِيلَ: أَهْلُ أُحُدٍ المُقَدَّمَهْ)**، وقيل: إن الذين شهدوا وقعة أحد أفضل من الذين شهدوا بيعة الرضوان، وقعة أحد حصلت في السنة الثالثة من الهجرة، بعد غزوة بدر الغزوة المشهورة، سميت وقعة أحد؛ لأنها وقعت عند جبل أحد، شمالي شرقي المدينة، وحصل فيها ما حصل، وأنزل الله فيها آيات كثيرة من سورة (آل عمران)، ما يزيد عن ستين آية، فبعض العلماء يرى أن من حضرها أفضل ممن حضر بيعة الرضوان، والصحيح الأول؛ أن أهل بيعة الرضوان أفضل؛ لأن الله نوه بشأنها، قال: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح:١٨-١٩][1].

❁❁❁

(١) انظر أخبار غزوة أحد في: سيرة ابن إسحاق (ص ٣٢٢)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٦٠)، ودلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٢٠١)، والروض الأنف (٥/ ٢٩٦)، والبداية والنهاية (٥/ ٣٣٧)، والسيرة النبوية لابن كثير (٣/ ١٨).

وَعَائِشَـهْ فِي الْعِلْمِ مَعْ خَدِيجَة ... فِي السَّبْقِ فَافْهَمْ نُكْتَةَ النَّتِيجَهْ

الشَّرْح

ومن أفضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ -أيضًا- أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ؛ لأنهن أمهات المؤمنين وأزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اختارهن الله له في الدنيا والآخرة، فهن زوجاته في الدنيا، وزوجاته في الجنة، وفضلهن معروف، وهن يتفاضلن فما بينهن.

والخلاف وقع أيهما أفضل: خديجة الزوجة الأولى لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأم أولاده، التي تزوج بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة، ولما بُعث آزرته، وأيدته، وآمنت به، فهي أول من آمن من النساء، وآزرت الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكانت تُسري عنه، وتقوي من عزمه، وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الصديقة بنت الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، التي كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحبها حبًّا شديدًا، ولما مرض صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، استأذن نساءه أن يُمرض في بيتها، فمرض في بيتها، ومات صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورأسه في حجرها[١]، فهذا يدل على فضلها، وأيضًا هي عالمة النساء، روت من أحاديث الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشيء الكثير، وعلمت من الأحكام والفقه الشيء الكثير، فهي فقيهة النساء، وكان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يرجعون إليها في رواية الحديث والفتوى؟ واختلف العلماء: أيهما أفضل عائشة

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٩)، ومسلم (٨٤) (٢٤٤٣) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «إِنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيَتَعَذَّرُ فِي مَرَضِهِ: أَيْنَ أَنَا الْيَوْمَ، أَيْنَ أَنَا غَدًا، اسْتِبْطَاءً لِيَوْمِ عَائِشَةَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمِي، قَبَضَهُ اللهُ بَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي وَدُفِنَ فِي بَيْتِي».

أو خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؟ والصحيح: أن لكل منهما فضائل ليست عند الأخرى، فخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لها فضيلة السبق إلى الإسلام ومؤازرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنها أم أكثر أولاده، وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لها فضيلة العلم والفقه، والرواية عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنها حظيت بمحبته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لها، وأنه توفي في بيتها وفي حجرها، بين سحرها ونحرها -رضي الله عنها وأرضاها.

فصل

فِي فَضْلِ الصَّحَابَةِ جُمْلَةً وَحَقِّهِمْ

وَلَيْسَ فِي الْأُمَّةِ كَالصَّحَابَةِ فِي الْفَضْلِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِصَابَةِ

الشَّرْح

ما زال الكلام في صحابة رسول الله ﷺ، وفضل الصحابة رضي الله عنهم على غيرهم ممن يأتي بعدهم من الأمة فضل لا يلحقهم فيه أحد، ولايسبقهم أحد، ولا يلحق بهم أحد؛ بما خصهم الله عز وجل به على غيرهم من مزايا، لا توجد في غيرهم، أعظمها: صحبتهم لرسول الله ﷺ، ورؤيتهم له، وتلقيهم العلم عنه ﷺ، وجهادهم معه، ونصرتهم له، وثانيًا: ما خصهم الله به من العلم؛ فإنهم أعلم قرون الأمة، فإن الله سبحانه وتعالى هيأهم لحمل العلم عن رسول الله ﷺ، ورزقهم الله صفاء الذهن، وزكاة النفوس، وطهارة القلوب، وأعطاهم قوة الفهم، والحفظ، فهم أعلم قرون الأمة، بما أعطاهم الله من الفضل والكرم والبذل في سبيل الله عز وجل، فقد بذلوا أنفسهم وأموالهم في سبيل الله عز وجل، ونشروا هذا الدين في المشارق والمغارب، فلهم من الفضائل ما لايلحق بهم غيرهم ممن جاء بعدهم، فهم أفضل قرون الأمة على الإطلاق؛ كما قال ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»(١)، قال الراوي: «وَاللهُ أَعْلَمُ، أَذَكَرَ

---

(١) سبق تخريجه (ص٩٥).

الثَّالِثَ أَمْ لَا»[١]، فهم أفضل القرون، ويجب على المسلمين معرفة قدرهم ومكانتهم، ويجب عليهم محبتهم، والاقتداء بهم، والترضي عنهم؛ لأن الله رضي عنهم، لأن الله أخبر أنه رضي عنهم، ﴿وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠]، هذا هو الواجب، وهذا من مسائل أو من أصول العقيدة؛ معرفة قدر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وفضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومحبتهم والاقتداء بهم، هذا من أصول العقيدة، لا يبغضهم إلا منافق، ولا يحبهم إلا مؤمن، قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح:٢٩]، فلا يغتاظ من الصحابة ويبغضهم إلا من فيه كفر؛ إما كفر أكبر، أو كفر أصغر، بحسب ما يقع في قلبه من بغض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التوبة:١٠٠]، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ**»[٢]، فالمد: هو ربع الصاع، ونصف المد إذا تصدق به الصحابي خير من الصدقة بمثل جبل أحد من غيرهم، وذلك لفضلهم وسابقتهم، فهل يشك بعد هذا

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٥) (٢٥٣٥).
(٢) سبق تخريجه (ص٣٣٥).

من في قلبه إيمان في فضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومكانتهم في الإسلام، وهل يبغضهم إلا من في قلبه نفاق وكفر وزيغ وإلحاد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَالْإِصَابَةِ)**؛ أي: الإصابة للحق، فهم أقرب إلى إصابة الحق من غيرهم؛ لما منحهم الله من المؤهلات التي بها يعرفون الحق، فهم أعلم من غيرهم بإصابة الحق في المسائل المختلف فيها، وقول الصحابي حجة، إذا لم يخالفه غيره من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فهو حجة عند الأصوليين[١].

---

(١) انظر: المسودة (٣٣٥)، وإعلام الموقعين (٤/ ١٢٠)، وشرح الكوكب المنير (٢/ ٢١٢، ٤/ ٤٢٢).

فَـإِنَّـهُـمْ قَـدْ شَـاهَـدُوا الْمُـخْـتَـارَا وَعَـايَـنُـوا الْأَسْـرَارَ وَالْأَنْـوَارَا
وَجَـاهَـدُوا فِي اللهِ حَـتَّـى بَانَا دِيـنُ الْهُـدَى وَقَـدْ سَمَـا الْأَدْيَـانَـا

الشَّرْح

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فَإِنَّهُمْ قَدْ شَاهَدُوا الْمُخْتَارَا وَعَايَنُوا الْأَسْرَارَ وَالْأَنْوَارَا)**، من أدلة فضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على غيرهم: أنهم شاهدوا المختار صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، شاهدوه، وعاشوا معه، وليس من لازم ذلك أن يراه الصحابي ببصره، فلو كان أعمى، ما دام أنه حضر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وآمن به، واستمع له، فلو كان أعمى -كعبد الله بن أم مكتوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وغيره ممن ليس لهم بصر-، فهم صحابة، فقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (شَاهَدُوا)؛ يعني: حضروا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذه واحدة.

الثانية: أنهم حضروا التنزيل، وهو الوحي على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكان الوحي ينزل في عصرهم على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُلقي ما نزل عليه من الوحي على أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فيتلقونه عنه، ويرونه عنه، ويتحملونه عنه، ويبلغونه لغيرهم، فهم الواسطة بيننا وبين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهم حملة الشريعة عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن جاء بعدهم فإنه يتلقى عنهم.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَجَاهَدُوا فِي اللهِ حَتَّى بَانَا دِينُ الْهُدَى وَقَدْ سَمَا الْأَدْيَانَا)**، الميزة الثالثة من ميزات الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: جهادهم مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

فإنهم جاهدوا مع الرسول ﷺ، وصبروا، جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وألسنتهم، ودافعوا مع الرسول ﷺ، وصبروا معه على ما يلقون من المشقة والقتل والجراح، فلا شك أن الذي جاهد مع الرسول ﷺ أفضل ممن جاهد بعده، وإن كان الجهاد في حد ذاته بابًا عظيمًا في الإسلام، وللمجاهدين فضل عظيم: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:٩٥-٩٦]، ولكن الذين جاهدوا مع رسول الله ﷺ هم أفضل المجاهدين على الإطلاق.

وَقَـدْ أَتَـى فِي مُحْكَـمِ التَّنْزِيلِ ... مِـنْ فَضْلِهِمْ مَـا يَشْفِي لِلْغَلِيلِ
وَفِي الْأَحَـادِيـثِ وَفِي الْآثَـارِ ... وَفِي كَـلَامِ الْـقَـوْمِ وَالْأَشْـعَـارِ
مَا قَدْ رَبَا مِنْ أَنْ يُحِيطَ نَظْمِي ... عَنْ بَعْضِهِ فَاقْنَعْ وَخُذْ عَنْ عِلْمِ

الشَّرْح

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَدْ أَتَى فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ * مِنْ فَضْلِهِمْ مَا يَشْفِي لِلْغَلِيلِ)، الميزة الرابعة: (أَتَى فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ)، وهو القرآن (مِنْ فَضْلِهِمْ مَا يَشْفِي لِلْغَلِيلِ)، وهو العطش، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة:١٠٠]، ومثل قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الفتح:٢٩]، ومثل قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر:٨]، هذه الآية في المهاجرين، وهذه في الأنصار: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩]، وكما في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:١٨]، كل هذه آيات من كتاب الله في فضل الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، والثناء عليهم، ورضوان الله عنهم.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَفِي الْأَحَادِيثِ وَفِي الْآثَارِ * وَفِي كَلَامِ الْقَوْمِ وَالْأَشْعَارِ)**، وفي الأحاديث -أيضًا- جاء ذكر فضلهم والثناء عليهم؛ مثل: قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ**»[(١)]، وقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**اللهَ اللهَ فِي أَصْحَابِي، لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهَ، وَمَنْ آذَى اللهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ**»[(٢)]، الذي يحب الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يحب الصحابة، والذي يبغض الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يبغض الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، هذه علامة فارقة، فإذا رأيت رجلًا يبغض الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، فاعلم أنه يبغض الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ومن أبغض الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، كفر، وإذا رأيت من يحب الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، فاعلم أنه يحب الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ومن أحب الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فهو مؤمن.

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَفِي الْأَحَادِيثِ وَفِي الْآثَارِ)**، كذلك الآثار الواردة عن السلف الصالح في الثناء على الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ ومدحهم والاعتراف بفضلهم كثيرة، موجودة في كتب السنة والعقائد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَفِي كَلَامِ الْقَوْمِ وَالْأَشْعَارِ)**؛ أي: في كلام المؤمنين من الثناء على الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، فالمؤمنون يمدحون الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في النثر وفي النظم، ففي مدحهم قال الشعراء القصائد العديدة يمدحونهم بها؛

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٣٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٨٦٢)، وأحمد (٤/ ٨٧)، والبيهقي في الشعب (٢/ ١٩١) من حديث عبد الله بن مغفل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

مثل: شعر حسان بن ثابت، وشعر عبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك، وكعب بن زهير، وغير ذلك من أشعار الشعراء في مدح الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والثناء عليهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(مَا قَدْ رَبَا مِنْ أَنْ يُحِيطَ نَظْمِي عَنْ بَعْضِهِ فَاقْنَعْ وَخُذْ عَنْ عِلْمِ)**، يقول: إن ما ورد من مدحهم -في الآيات، وفي الأحاديث، وثناء الناس عليهم، وفي الأشعار- ما لا أستطيع ذكره في هذه المنظومة، فقد زاد عن: (أَنْ يُحِيطَ نَظْمِي) به.

وفي وقعة الحديبية لما جاء عروة بن مسعود مندوبًا عن الكفار قبل أن يسلم، جاء مندوبًا عن الكفار؛ ليفاوض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما رأى الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورأى تعظيمهم له، ورأى احترامهم له، تعجب، ورجع إلى قومه، وقال: «**أَيْ قَوْمِ، وَاللهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ، وَكِسْرَى، وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا، وَاللهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً، إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ، ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ، كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمُوا، خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ النَّظَرَ إِلَيْهِ؛ تَعْظِيمًا لَهُ، وَإِنَّهُ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ، فَاقْبَلُوهَا**»(١)، وذكر أشياء أعجبته من صنيع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) سبق تخريجه في قصة صلح الحديبية (ص٣٤٧-٣٤٨).

وَاحْذَرْ مِنَ الْخَوْضِ الَّذِي قَدْ يُزْرِي   بِفَضْلِهِمْ مِمَّا جَرَى لَوْ تَدْرِي

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَاحْذَرْ)** من القول الذي **(يُزْرِي)**؛ يعني: يتنقص حق الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ لأن هناك من يتكلمون في الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وينتقصونهم، ويتلمسون لهم المعائب، وهذا موجود في الفرق الضالة من الخوارج والشيعة وغيرهم ممن يتنقصون صحابة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويجهلونهم، ويزدرونهم، هذا شيء موجود، ومكتوب -أيضًا- في كتب الضلال، فاحذر أيها المسلم، احذر -يا طالب العلم- من أن تغتر بهذه الأقوال السمجة الخاسئة التي تتنقص أصحاب الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو تتنقص أحدًا منهم، احذر من أن تؤثر عليك هذه المقالات، أو هذه المؤلفات الضالة، احذرها؛ لئلا يقع في قلبك شيء على أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتهلك، وما أكثر من يخوض اليوم في شأن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ويتلمسون لهم العيوب، ويأخذون من هذه الكتب الضالة، وينشرونه في الصحف وغيرها، أو في الكتب، ويزعمون أن هذا من التحقيق التاريخي، ومن البحث، يزعمون أنه من البحث، ومن حرية القول، وهذا خطر عظيم على من قاله، ومن استمع إليه، وقرأه؛ لأن الله يبتلي المؤمنين بأعدائهم، يبتلي الرسل -عليهم الصلاة والسلام- بالمنافقين: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان:٣١]، يبتلي الله الرسل، ويبتلي المؤمنين،

ومنهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، يبتليهم بأن يجعل لهم أعداء يتنقصونهم، ويعيبونهم؛ حكمة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ﴾ [الفرقان:٢٠].

وهذا فيه رفع لقدر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فإن الذين يتكلمون فيهم يرفع الله الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بسبب ذلك؛ لأنهم تأتيهم حسنات، وهم أموات، فإن حسنات هؤلاء -إن كان لهم حسنات- تذهب إلى الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أو إن لم يكن لهم حسنات، فإن الله يرفع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ويرفع شأنهم، وينزه ذاتهم عن هذه الأقوال، ويظهر سُبْحَانَهُ فضلهم: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ ﴾، لاحظ! ﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ [الأنعام:١١٢-١١٣]، فيجدون لهم زبائن، يتأثرون بقولهم، و لما ذكر الله المنافقين وشرهم، قال: ﴿ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ﴾ [التوبة:٤٧]، في المسلمين من يستمع لأقوال هؤلاء، ويتأثر بها، فعلى المسلم أن يحذر من هذه المقالات، وهذه الكتابات، وهذه المؤلفات الضالة؛ لأنها من زخرف القول؛ كما قال الله تعالى، وهي من وحي الشيطان: ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام:١١٢]؛ لِيَغُرُّوا الناس بذلك. فلا يقع في قلوبنا شك في صحابة نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مهما قالوا، ومهما حاولوا، هذه عقيدة، وهذا دين، وليس هوى، إنما هو عقيدة ودين، ندين لله به؛ أن نحترم صحابة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن نعترف بفضلهم، وأن نثني عليهم، و نترضى عنهم، وأن نقتدي بهم، نعق الناعق أو لم ينعق، ما علينا، وكما يقولون: (لا يضر السحاب نبح الكلاب).

فَـإِنَّـهُ عَـنِ اجْـتِـهَـادٍ قَـدْ صَـدَرْ فَـاسْـلَـمْ أَذَلَّ اللهُ مَـنْ لَهُـمْ هَجَرْ

الشَّـرْح

يحصل من المنافقين وأعداء الدين من التنقص لأصحاب الرسول ﷺ شيء كثير، ولكن عليك أن تعرض عنه، وأن لا تلتفت إليه.

وقد جرى بين الصحابة رضي الله عنهم ما جرى بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، جرى بينهم ما جرى من الفتن والحروب، وهم فعلوا هذا عن اجتهاد، كل منهم يريد أن ينصر الحق، ما فعلوه عن هوى، أو عن بغض لبعضهم، وإنما فعلوه عن اجتهاد، كل منهم يريد نصرة الحق، الذين قاتلوا مع علي رضي الله عنه من الصحابة رضي الله عنهم، يريدون نصرة الحق، أما الذين قاتلوا مع علي من المدسوسين، فلا عبرة بهم، ولكن الذين قاتلوا مع على رضي الله عنه من الصحابة رضي الله عنهم أرادوا نصرة الحق، والذين قاتلوا مع معاوية رضي الله عنه -أيضًا- أرادوا نصرة الحق والقصاص ممن قتل عثمان رضي الله عنه؛ لأنهم اندسوا في جيش علي رضي الله عنه، فهم مجتهدون، كلا الفريقين مجتهد، والمجتهد إما مصيب، فيكون له أجران، وإما أن يكون مخطئًا، فيكون له أجر واحد، والخطأ مغفور، وعليك أن لا تدخل في هذا الشأن، ولا تبحث فيه، فإن دخلت فيه، فاعتذر عن الصحابة رضي الله عنهم، ولا تخطِّئ، إياك أن تخطِّئ أحدًا من الصحابة رضي الله عنهم، بل التمس لهم العذر، ولا تخطِّئ أحدًا منهم، أو تتنقص أحدًا منهم، احذر هذا، أو لا تدخل فيه، فإن دخلت فيه، وابتليت، فعليك أن تعذر الصحابة

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأن تترحم عليهم، وأن تعذرهم فيما جرى بينهم؛ لأنه عن اجتهاد، وليس عن هوى، ولا عن عداوة فيما بينهم، حاشا وكلا!

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فَاسْلَمْ)** من أن تتنقص أحدًا منهم، أو أن تخطّئ أحدًا منهم، فلا تدخل في هذا المجال أبدًا، بل ترضَّ عنهم كلهم، واعتبر ما جرى بينهم من باب الاجتهاد، الذي يريدون به الحق، فمنهم من أصاب، فله أجران، ومنهم من أخطأ، فله أجر واحد، وهو معذور، ولهم من السوابق والفضائل والكرامات والمكانة عند الله ما يكفر الله به عنهم ما قد يحصل من بعضهم من خطأ أو تقصير، فلهم من الفضائل ما يغمر ما حصل من بعضهم؛ لأنهم كما سبق لهم فضائل عظيمة(١).

(١) قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (إِنَّ هَذِهِ الْآثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مساويهم مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ وَالصَّحِيحِ مِنْهُ: هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الْإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ؛ بَلْ تَجُوزُ عَلَيْهِمْ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ وَلَهُمْ مِنْ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ إنْ صَدَرَ حَتَّى إنَّهُ يُغْفَرُ لَهُمْ مِنْ السَّيِّئَاتِ مَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ لِأَنَّ لَهُمْ مِنْ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ). انظر: العقيدة الواسطية ضمن مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٥).

وَبَعْدَهُمْ فَالتَّابِعُونَ أَحْرَى ... بِالْفَضْلِ ثُمَّ تَابِعُوهُمْ طُرًّا

الشَّرْح

وبعد قرن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في الفضل القرن الذي يليه، وهو قرن التابعين.

والتابعون: جمع تابعي، وهو: من لقي الصحابي، وتلقى عنه العلم، ولم يدرك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنما أدرك أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[(١)]؛ كسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، وغيرهم من سادة التابعين، ومحمد بن سيرين، وغيرهم من أئمة التابعين.

وبعد التابعين أتباع التابعين، وهم الذين تلقوا العلم عن التابعين، وهم القرن الثالث من القرون التي أثنى عليها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»[(٢)]، (قَرْنِي)، هؤلاء هم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، (ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)، هؤلاء هم التابعون، (ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)، هؤلاء هم أتباع التابعين، فأتباع التابعين لهم فضل؛ لأنهم تلقوا عن التابعين، وكلما تقدم الوقت وقرب من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كان أفضل، وأصفى في العلم والعمل، وكلما تأخر الزمان، كثر الاختلاط.

(١) انظر: رسالة في أصول الفقه للعكبري (١/ ١١٩)، والكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (١/ ٢٢)، والتوضيح لشرح الجامع الصحيح (٢/ ١٠٢).

(٢) سبق تخريجه (ص ١٠٠).

فصل

فِي ذِكْرِ كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ وَإِثْبَاتِهَا

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كَرَامَاتِ): جمع كرامة، وهي الأمر الخارق للعادة، وليس من صنع البشر[١]، وإنما هو من صنع الله عَزَّوَجَلَّ، والخارق للعادة إن جرى على يد نبي، فهو معجزة[٢]؛ مثل: الناقة لصالح، ومثل: العصا والحية لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ومثل: إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، وتكليم الأموات، وهذا لعيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ومثل: المعجزة الكبرى الخالدة، وهي القرآن الكريم، الذي أعطاه الله لمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذي أعجز الجن والإنس: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء:٨٨]، هذه هي المعجزة الكبرى، المعجزة الخالدة الباقية لمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا القرآن.

وإن جرى أمر خارق للعادة على يد رجل صالح، صالح في قوله وعمله، وهو من أولياء الله المتقين، فإنه يكون كرامة من الله سُبْحَانَهُ له، فهو كرامة للولي ومعجزة للنبي؛ لأن هذا الولي ما حصل على هذه الكرامة إلا بسبب اتباعه للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) انظر تعريف الكرامة في اللغة: لسان العرب (١٢/ ٥١٠)، وأساس البلاغة (١/ ٥٤١)، والمعجم الوسيط (٢/ ٧٨٤).

(٢) انظر: (ص٣٢٣).

وإن حصل الأمر الخارق على يد فاجر أو كذاب، فإنه يكون من الأحوال الشيطانية، وليس كرامة، وليس معجزة، وإنما هو حال شيطانية، فإنه يمكن لأولياء الشيطان أن يطيروا في الهواء، وأن يمشوا على الماء بسبب الشياطين؛ لأن الشياطين تحملهم، وليس ذلك بجهودهم هم، ولكنهم يخضعون للشياطين، والشياطين تخدمهم؛ لأنهم يكفرون بالله عَزَّوَجَلَّ، ويخضعون للشيطان، فالشيطان يخدمهم؛ يطير بهم في الهواء، ويمشي بهم على الماء إلى آخره، فيظن الجاهل أن هذا كرامة، وأنه من أولياء الله، وقد يكون من التدجيل، ويكون من السحر، والسحرة عندهم حيل يعملونها للناس، يُخيل للناس أنها حقيقة، وإنما هي في الحقيقة تدجيل وتزييف وحيل خفية، وليست كرامة، فهذه ليست معجزة ولاكرامة، وإنما هي أحوال شيطانية؛ كما يجري على أيدي الضلال والصوفية وغيرهم، مما يموهون به على الناس، فيقول الناس: (هذه كرامات، وهؤلاء أولياء)، وفي الواقع ليست كرامات، وإنما هي أحوال شيطانية.

فإذا رأيت شيئًا يخرج عن العادة مع رجل، فانظر إلى حاله، فإن كان تقيًّا صالحًا عبدًا لله، فهذه كرامة، وإن كان فاجرًا فاسقًا، فهذه حال شيطانية، أو تدجيل وتزييف، ومنه ما يأتي مع الدجال في آخر الزمان، هو من هذا الباب، ومن الأحوال الشيطانية، ومن السحر التخييلي الذي يروج به على الناس، ولذلك إذا رأى نبي الله المسيح ابن مريم، ذاب، وعجز عن المشي؛ لأنه يبطل ما معه من الكيد والمكر، فلا يستطيع حينئذٍ أن يعمل شيئًا، وكذلك حيل الشياطين إذا جاء ذكر الله، بطلت، وإذا جاء ذكر الشياطين وذكر الطلاسم

والشرك، وجدت هذه الأشياء، وهذا من الفارق بين الأحوال الشيطانية والكرامات؛ أن الكرامات تزيد وتثبت مع ذكر الله، وأما الأحوال الشيطانية والمخاريق الباطلة، فإنها تذهب مع ذكر الله عَزَّوَجَلَّ.

ومن كرامات الأولياء ما قصه الله عن مريم في نشأتها، وأنها اعتزلت عن الناس، تعبد الله عَزَّوَجَلَّ، فكان يأتيها رزقها، وهي في مكانها: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ [آل عمران:٣٧].

ومثل: ما وقع لأصحاب الكهف من نومهم الطويل، وبقائهم على قيد الحياة مدة طويلة، ثلاثمائة سنة وتسع سنين، أو أزيد من ذلك -والله أعلم-، وبقوا على حالهم وعلى حياتهم، هذا من كرامات الأولياء.

ومثل: ما حصل على يد الخضر، الذي جاءه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مما قصه الله في آخر سورة (الكهف)، هذا من الكرامات، ومن العلماء من يقول: (إن الخضر نبي)، فيكون هذا من المعجزات -والله أعلم.

وَكُلُّ خَارِقٍ أَتَى عَنْ صَالِحِ ... مِنْ تَابِعٍ لِشَرْعِنَا وَنَاصِحِ

الشَّرْح

هذا ضابط الكرامة، وهو ما يجري على يد مؤمن تقي، فما يجري على يديه من الأمور الخارقة يكون كرامة، وليس من لازم الولي أن تجري على يده الكرامة، لكن قد تقع له كرامة، وقد لا تقع، والكرامة إنما تقع إما لحاجة، وإما لحجة؛ إما لحاجة للمسلمين، وإما لحجة في الدين، وكثير من الأولياء ليس لهم كرامات، ولا يلزم من عدم الكرامة عدم الولاية أبدًا، وإنما هذا شيء يجريه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لحكمة بحسب الحاجة.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتاب مستقل في هذا الموضوع، سماه: (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان)، وهو كتاب مطبوع ومفيد جدًّا في هذا الموضوع، ومزيل للبس، فهو كتاب حافل في هذه المسألة[١]، وله -أيضًا- رسالة اسمها: (قاعدة في الكرامات والمعجزات) ضمن (مجموع الفتاوى)[٢].

❁❁❁

(١) كتاب «الفرقان بين أوليا الرحمن وأولياء الشيطان» لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ مطبوع ولله الحمد بشرح شيخنا العلامة/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان -حفظه الله- في مجلدين، مكتبة الإمام الذهبي بالكويت.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٣١١-٣٦٢).

فَـإِنَّـهَـا مِـنَ الْـكَـرَامَـاتِ الَّـتي بِـهَـا نَـقُـولُ فَـاقْـفُ لِـلأَدِلَّـةِ

الشَّرْح

إذا جرى خرق العادة على يد مؤمن تقي متبع للكتاب والسنة، فإنها كرامة، وهذا من عقيدة أهل السنة والجماعة، قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢]، ثم بيّنهم، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٣]، هؤلاء هم أولياء الله عَزَّوَجَلَّ، وهذه علامة الكرامة، وإثبات كرامات الأولياء هو مذهب أهل السنة والجماعة بهذا الضابط، ونفي الكرامات الصحيحة مذهب المعتزلة؛ كعادتهم أنهم يصدقون عقولهم فقط، وما لم يتوافق مع عقولهم ينكروه، هذه قاعدة المعتزلة، ومن ذلك الكرامات، فالمعتزلة أنكروا الكرامات، قالوا: (لو أثبتناها، لاشتبه الولي بالنبي)، نقول لهم: لا يشتبه النبي بالولي، لايشتبه هذا بهذا؛ لأن النبوة لها أدلة كثيرة غير المعجزات، لا توجد عند الولي.

وهناك طرف من الغلاة والقبوريين والصوفية اتخذوا الكرامات دليلًا على أن هذا الشخص ينفع ويضر، فيعبدونه من دون الله، ويذبحون له، وينذرون له، يتقربون إليه، ويطوفون بقبره، ويقولون: (هذا ولي، وله كرامات).

وكرامة الولي لا تقتضي أن يُعبد من دون الله، وإنما تقتضي محبته، والاقتداء به في التقوى والصلاح، أما أن يُعبد من دون الله، فهذا مذهب الكفرة والمشركين، فالحاصل أن مسألة الكرامات الناس فيها ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الذين غلو في إثباتها -كالصوفية والقبورية-، حتى أثبتوها لمن هم ليسوا من أولياء الله، وإنما هم من الفسقة والفجار، وعبدوا من جرت على يده من دون الله عَزَّوَجَلَّ.

القسم الثاني: منهم من غلا في نفيها، وهم المعتزلة؛ حيث نفوا الكرامات نهائيًا، وخالفوا الكتاب والسنة.

القسم الثالث: وهم الوسط، وهم أهل السنة والجماعة، الذين آمنوا بثبوت الكرامات، ولكن لم يغتروا بها، ولم يعتقدوا في أصحابها أنهم ينفعون أو يضرون من دون الله عَزَّوَجَلَّ.

وَمَــنْ نَفَـاهَـا مِـنْ ذَوِي الضَّلَالِ ... فَـقَـدْ أَتَــى فِي ذَاكَ بِـالْمُحَــالِ

فَـإِنَّـهَـا شَـهِـيرَةٌ وَلَمْ تَــزَلْ ... فِي كُلِّ عَصْرٍ يَا شَقَا أَهْلِ الزَّلَلْ

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَمَنْ نَفَاهَا مِنْ ذَوِي الضَّلَالِ)**؛ أي: من نفى الكرامات، فهو ضال، وهم المعتزلة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(أَتَى فِي ذَاكَ بِالْمُحَالِ)**؛ لأنه نفى شيئًا ثابتًا في كتاب الله وسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحاول أن يعارض ما في كتاب الله وسنة رسوله، وهذا محال.

يُرد عليهم بثلاثة أمور:

الأمر الأول: أنها ثابتة في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ.

والأمر الثاني: أنها ثابتة في سنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد جرى لبعض أصحابه كرامات في عهد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والأمر الثالث: أن هذا الذي ينفي يخالف الواقع، فالواقع أن الكرامات موجودة، فإنكارها من إنكار الواقع، ومن إنكار المحسوس، وهذا باطل.

فصل

فِي الْمُفَاضَلَةِ بَيْنَ الْبَشَرِ وَالْمَلَائِكَةِ

وَعِنْدَنَا تَفْضِيلُ أَعْيَانِ الْبَشَرْ عَلَى مَلَاكِ رَبِّنَا كَمَا اشْتُهِرْ
قَالَ وَمَنْ قَالَ سِوَى هَذَا افْتَرَى وَقَدْ تَعَدَّى فِي الْمَقَالِ وَاجْتَرَى

الشَّرْح

هذه المسألة -وهي المفاضلة بين صالح البشر والملائكة- مسألة فضولية، ليس تحتها طائل، وما كان العلماء يذكرونها في كتب العقائد فيما أعلم، ولكن الناظم -غفر الله له- ذكرها، وإلا فهي مسألة غير ذات أهمية، والناس فيها على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن الملائكة أفضل من صالح البشر.

القول الثاني: أن صالح البشر أفضل من الملائكة. وكل قول له أدلته، وقد ذكر الشارح أدلة كل فريق.

القول الثالث: التوقف، وعدم الدخول في هذا. وهذا هو الحق، وقد ذكر ذلك شارح الطحاوية في هذه المسألة[1]، ورجح القول الأخير، وهو التوقف، وممن توقف فيها أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره من أهل العلم، فلاداعي للدخول في هذه المسألة؛ لأنها لا طائل تحتها، والله أعلم.

(١) انظر: شرح الطحاوية (٢/ ٤٢٠).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَعِنْدَنَا تَفْضِيلُ أَعْيَانِ الْبَشَرْ * عَلَى مَلَاكِ رَبِّنَا كَمَا اشْتُهِرْ)**، هذا على القول بأن صالح البشر يفضلون على الملائكة، يُقال: الأعيان من البشر -مثل: الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والرسل- أفضل من الملائكة.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قَالَ وَمَنْ قَالَ سِوَى هَذَا افْتَرَى * وَقَدْ تَعَدَّى فِي الْمَقَالِ وَاجْتَرَى)**، من أنكر تفضيل أعيان البشر على الملائكة، فقد افترى، هكذا يقول الناظم، والمسألة الواقع أن تركها أحسن؛ الملائكة لهم فضائل، وصالح البشر لهم فضائل، أما التفضيل بينهم، فإنه يحتاج إلى دليل، وأيضًا ما الفائدة من وراء هذا؟ وما هي الثمرة؟

❁❁❁

الباب السادس

في ذكر الإمامة ومتعلقاتها

الشرح

الإمامة: المراد بها قيادة المسلمين وتولي شؤونهم، فالإمام هو الأمير الذي تنعقد له الإمامة، ويُطلق الإمام، ويراد به القدوة -أيضًا-؛ كما في قوله تعالى في إبراهيم: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة:١٢٤]؛ أي: قدوة للناس.

وهذا الباب باب مهم، يذكره العلماء في كتاب العقائد؛ لأنه باب مهم، لما حصل فيه من الفرق الضالة من مخالفات، كالخوارج وبعض المعتزلة، الذين لهم آراء شاذة، ومثل الشيعة الذين يعتقدون أن الإمامة من نوع خاص عندهم، فحصل في هذا الباب مخالفات لمذهب أهل السنة والجماعة، ولذلك صاروا يذكرونه في كتب العقائد، يبينون حكم نصب الإمام، وشروط الإمام، واختصاصات الإمام، ويذكرون ما يجب على الرعية مع الإمام، هذه متعلقات الإمامة.

ولما كان الناس بطبيعتهم لا يعيشون إلا مجتمعين؛ لأن الاجتماع من طبيعة البشر، فلا يصلح أن يعيشوا فرادى، وإنما يعيشون مجتمعين، ولما كان من طبيعة البشر التعديات بعضهم على بعض والظلم، صار لابد من إمام يقوم بالأمر، ويُجري أحكام الإمامة على الناس؛ لما في ذلك من استتباب الأمن ومن المصالح العظيمة، ومن القيام بالجهاد، وقيام الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر، والحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، ورد الظالم عن ظلمه، وإنصاف المظلوم، إلى غير ذلك من المصالح العظيمة التي تتعلق بالإمامة. فلذلك صار هذا البحث من مرتكزات العقيدة عند أهل السنة والجماعة؛ لأن الناس لابد لهم من إمام؛ لئلا يكون الأمر فوضى، قال الشاعر(١):

لَا يَصْلُحُ النَّاسُ فَوْضَى لَا سَرَاةَ لَهُمْ ... وَلَا سَرَاةَ إِذَا جُهَّالُهُمْ سَادُوا

لابد من إمام يرجعون إليه، وهو يقوم بمصالحهم، ولهذا يقول ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢):

لَوْلَا الْأَئِمَّةُ لَمْ تُؤَمَنْ لَنَا سُبُلٌ ... وَكَانَ أَضْعَفُنَا نَهْبًا لِأَقْوَانَا

(لَمْ تُؤَمَنْ لَنَا سُبُلٌ) يعني: يختل الأمن، (وَكَانَ أَضْعَفُنَا نَهْبًا لِأَقْوَانَا): فالقوي يأكل الضعيف. فالله يدرأ بالإمام هذه المحاذير عن المجتمع المسلم، ولهذا اهتم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بتنصيب الإمام بعد وفاة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قبل أن يدفنوا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اجتمعوا، وتشاوروا فيمن يولونه الأمر بعد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واجتمع رأيهم على أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ثم إنهم اتجهوا لتجهيز الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصلاة عليه ودفنه، لما عقدوا الإمامة لواحد منهم، هذا يدل على أهمية نصب الإمام، وأنه لا يصلح أن يمضي وقت، وليس هناك إمام للمسلمين.

---

(١) البيت للأفوه الأودي صَلاءة بن عمرو بن مالك اليمني (المتوفى: ٥٦٠ م). انظر: ديوانه (١/ ٦٦)، والشعر والشعراء (١/ ٢١٧)، والعقد الفريد (١/ ١١)، والصحاح (٣/ ١٠٩٩).

(٢) انظر: حلية الأولياء (٨/ ١٦٤)، والاستذكار (٨/ ٥٧٨)، والتمهيد (٢١/ ٢٧٥).

وَلَا غِنَى لِأُمَّةِ الْإِسْلَامِ ... فِي كُلِّ عَصْرٍ كَانَ عَنْ إِمَامِ
يَذُبُّ عَنْهَا كُلَّ ذِي جُحُودِ ... وَيَعْتَنِي بِالْغَزْوِ وَالْحُدُودِ

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَلَا غِنَى لِأُمَّةِ الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ عَصْرٍ)** من عصور المسلمين عن إمام يقيمونه بينهم، فإن لم يكن لهم إمام، فإن الأمر يكون فوضى، ويحصل الفساد في الأرض.

بدأ يذكر مصالح نصب الإمام، ومنها: أنه يذب عن المسلمين كل كافر جاحد لرب العالمين، وكل متلاعب بالعقيدة، فالإمام يحمي الله به عقيدة المسلمين.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَيَعْتَنِي بِالْغَزْوِ وَالْحُدُودِ)**: هو الجهاد في سبيل الله، فهو من صلاحيات الإمام، هو الذي يأمر به، ويختار الجند، ويختار القائد، أو يقود الجيش بنفسه؛ كما كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكذلك الإمام يقيم الحدود، والحدود: جمع حد[1]، وهو عقوبة مقدرة شرعًا على معصية؛ لتردع من الوقوع في مثلها[2]؛ مثل: حد الزنا، وحد السرقة، وحد القذف، وحد المسكر، وغير ذلك. لا يقيمها إلا الإمام، ولا يقيمها غير الإمام إلا بأمره وإذنه؛ كي لا تكون المسألة فوضى.

---

(١) انظر: مادة (حدد) في لسان العرب (٣/ ١٤٠)، ومقاييس اللغة (٢/ ٣)، ومختار الصحاح (١/ ٥٣)، والمعجم الوسيط (١/ ١٦٠).

(٢) انظر: منار السبيل (٢/ ٣٦٠)، والشرح الممتع (١٤/ ٣١٦).

وَفِـعْـلِ مَـعْـرُوفٍ وَتَـرْكِ نُـكْـرِ ... وَنَـصْـرِ مَـظْـلُـومٍ وَقَـمْـعِ كُـفْـرِ
وَأَخْـذِ مَـالِ الْـفَـيْءِ وَالْخَـرَاجِ ... وَنَحْـوِهِ وَالـصَّـرْفِ فِي مِنْهَاجِ

الشَّرْح

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَفِعْلِ مَعْرُوفٍ وَتَرْكِ نُكْرِ**)، كذلك من صلاحيات الإمام القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا سيأتي له باب خاص، سيذكره الناظم بعد هذا بقليل، فالإمام هو الذي يتولى هذا، أويقيم من ينوب عنه؛ فهو من صلاحيات الإمام أو نائب الإمام.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَنَصْرِ مَظْلُومٍ وَقَمْعِ كُفْرِ**)، كذلك من صلاحيات الإمام قمع الظالم عن ظلمه، ونصرة المظلوم، فلو لم يكن هناك إمام، لأكل القوي الضعيف.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَأَخْذِ مَالِ الْفَيْءِ وَالخَرَاجِ**)، كذلك من صلاحيات الإمام أنه يتولى المال العام للرعية؛ بأن يجمعه، وينفقه في مصارفه، والفيء: مأخوذ من فاء يفيء، إذا رجع، سمي مال بيت المال فيئًا؛ لأن الله خلق المال في الأصل للمؤمنين، وإنما يكون بيد الكفار تبعًا، وإنما هو في الأصل للمؤمنين، فإذا قاتل المسلمون الكفار، وغنموا أموالهم، فاءت إلى المسلمين؛ يعني: رجعت إليهم، رجعت إلى الأصل[١]، والفيء المراد به موارد بيت المال من

(١) انظر: تهذيب اللغة (٨/ ١٤١)، والفروق اللغوية للعسكري (١/ ١٧٠)، والنظم المستعذب (١/ ١٨٠)، وتحرير ألفاظ التنبيه (١/ ٣١٦)، والمطلع على ألفاظ المقنع (١/ ٢٥٩)، ولسان العرب (١/ ١٢٤ -١٢٧).

الجزية التي تؤخذ من أهل الذمة والخراج الذي يؤخذ على متاجرة الكفار في بلاد المسلمين، وما تركه الكفار من أموالهم فزعًا من المسلمين وخوفًا من المسلمين بدون قتال، كل هذه من موارد الفيء، ومن موارد بيت المال.

ومن موارد بيت مال المسلمين الخراج، وما يؤخذ على أموال الكفار إذا تاجروا في بلادنا، وكذلك من الخراج التأجير الذي يكون على الأراضي والمزارع التي تتبع بيت المال.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَنَحْوِهِ وَالصَّرْفِ فِي مِنْهَاجِ)**، فالإمام يتولى هذه الموارد؛ يجمعها، ثم يصرفها في مصالح المسلمين، يصرفها في الجهاد وتجهيز الغزاة في سبيل الله، يصرفها لمن يقومون بأعمال المسلمين ويتفرغون لأعمال المسلمين -كالقضاء، والإفتاء، والإمامة، والتدريس-؛ لأنهم يتفرغون لمصالح المسلمين، ويتركون التكسب، ويتركون البيع والشراء، يُجرى لهم من بيت المال، وكذلك رواتب المؤذنين وأئمة المساجد كلها تجري من بيت المال؛ لأن هذا من مصالح المسلمين، ولأن الناس لا يقومون بها، إذا لم يعطوا شيئًا يغنيهم فيما ينفقونه على أنفسهم وعلى أولادهم، فيؤَمَّن لهم من بيت المال ما يكفيهم.

وكذلك الموظفون الذين يقومون في مصالح الدولة، رواتبهم تكون من بيت المال؛ لأن هذا من الصالح العام.

وَنَصْبُهُ بِالنَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ وَقَهْرِهِ فَحُلْ عَنِ الْخِدَاعِ

الشَّرْح

انتهى من بيان صلاحيات الإمام، وانتقل إلى ما تنعقد به الإمامة، وهي تنعقد بأحد ثلاثة أشياء:

الأمر الأول: اختيار أهل الحل والعقد من المسلمين: كالعلماء وأمراء الأجناد، ومن لهم رأي، يختارون من يقوم بالإمامة، ويبايعونه، وينوبون في ذلك عن بقية المسلمين.

فما يُتبع الآن من الانتخابات هذا من التضليل؛ لأنها ليست بانتخابات صحيحة، بل هي شراء وبيع، وما يحصل بسببها من القتل وما يحصل من الفتن، كل هذا يخالف منهج الإسلام، منهج الإسلام: أنه إذا بايع أهل الحل والعقد، فإنهم يكفون عن بقيةالرعية، وتلزم الطاعة جميع المسلمين، ويكونون داخلين في بيعة أهل الحل والعقد.

الأمر الثاني مما تنعقد به الإمامة: عهد الإمام إلى أحد من بعده: فإذا عهد الإمام إلى أحد يتولى من بعده، فإنه يلزم المسلمين طاعته؛ كما عهد أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولم يعترض أحد؛ لأنهم يعلمون أن هذا شيء واجب عليهم.

فتحصل الإمامة بولاية العهد، وهو هنا سماها (النص)؛ يعني: ينص الإمام على من يتولى الأمر من بعده، فيلزم الرعية الطاعة؛ لأن الإمام نائب

عنهم، وينظر في مصالحهم، فإذا اختار لهم من يقوم من بعده، لزم طاعته؛ لأنه لم يعترض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على اختيار أبي بكر لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بل سمعوا وأطاعوا.

الأمر الثالث مما تنعقد به الإمامة: إذا تغلب الإمام بسيفه، وخضع الناس له، فإنه تلزم طاعته؛ لما في مخالفته من المفاسد.

فهذه طرق انعقاد الإمامة: أولًا: الاختيار، ثانيًا: العهد، ثالثًا: التغلب بالسيف على الناس؛ حتى يخضعوا له.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَنَصْبُهُ بِالنَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ)**، بالنص: الذي هو العهد كما عهد أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (الإجماع) يعني: الاختيار، إذا أجمع أهل الحل والعقد على اختيار واحد منهم، وجبت طاعته على الجميع؛ كما أن أهل الحل والعقد اختاروا أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأطاعه الناس كلهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَقَهْرِهِ فَحُلْ عَنِ الْخِدَاعِ)**، إذا قهر الناس بسيفه، وهو مسلم، فإنهم يخضعون له؛ لأجل جمع الكلمة؛ كما حصل من عبد الملك بن مروان، وخضوع الناس له، وصار في ذلك الخير الكثير.

وَشَرْطُهُ الْإِسْلَامُ وَالْحُرِّيَّهْ ... عَدَالَةٌ سَمِعٌ مَعَ الدِّرِيَّهْ
وَأَنْ يَكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ عَالِمًا ... مُكَلَّفًا ذَا خِبْرَةٍ وَحَاكِمَا

الشَّرح

انتهى من طرق انعقاد الإمامة، وانتقل إلى بيان الصفات التي يجب أن تتوافر في الإمام عند الاختيار.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَشَرْطُهُ الْإِسْلَامُ)**، فلا تصح ولاية كافر على المسلمين؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء:١٤١]، ولأن الكافر لا يُنفذ أحكام الإسلام، فلا يُبايع لكافر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَالْحُرِّيَّهْ)** الشرط الثاني: الحرية: أن يكون الإمام حرًّا، أما المملوك، فلا يصلح للإمامة؛ لأنه محبوس على مصالح سيده، ولايتفرغ للقيام بالإمامة.

الثالث: العدالة، فلا يولي الفاسق، هذا عند الاختيار، أما إذا نُصب وانتهى، وحصل منه فسق بعد هذا، فهذا يأتي حكمه، لكن عند الاختيار لايختارون فاسقًا، وإنما يختارون العدل، وهو المستقيم على طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، الذي لم يرتكب كبيرة من كبائر الذنوب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(سَمِعٌ)** الرابع: يشترط في ولي الأمر أن يكون سميعًا، هذا عند الاختيار لا يختارون أصم؛ لأنه لا يسمع مشاكل الناس.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مَعَ الدِّرِيَّهْ)** الخامس: يعني أن يكون عنده دراية بأحكام الشرع؛ من أجل أن ينفذها.

السادس: **(وَأَنْ يَكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ)**: إذا كان فيه صلاحية وفيه مزية أنه من قريش، فإنه يُقدم على غيره؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَدِّمُوا قُرَيْشًا، وَلَا تَقَدَّمُوهَا**»[١]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ**»[٢]، هذا عند الاختيار، أما القرشي الذي ليس فيه صلاحية، فلا يصلح، والقرشي يُطلق على كل من كان من نسل فهر بن مالك بن كنانة، فمن كان فهريًا، فهو قرشي، ومن كان فوق فهر، فليس من قريش.

السابع: **(عَالِمًا مُكَلَّفًا)** أن يكون مكلفًا: فإن كان صغيرًا، لم يبلغ سن التكليف، لم يصلح اختياره؛ لأنه هو بحاجة إلى من يتولى عليه، فلا يكون وليًّا على المسلمين.

الثامن: **أن يكون (ذَا خِبْرَةٍ)**؛ أي: ذا معرفة بأمور السياسة وأمور الرعية.

التاسع: **(وَحَاكِمًا)** أن يكون حاكمًا: يعني يصلح للحكم بين الناس، عنده علم بأحكام الشريعة.

هذه صفات من يُختار للإمامة، هذا عند الاختيار، إذا توفرت، لكن يختار في كل زمان الأمثل فالأمثل، وليس بلازم أن تتوفر فيه كل هذه الصفات، لكن يُختار من لديه صفات أكثر من غيره منها، ولو لم يستكلمها.

---

(١) أخرجه الشافعي في مسنده (٢/ ١٩٤)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٦٣٧)، والبزار (٢/ ١١٢)، وأبو نعيم في الحلية (٩/ ٦٤)، والبيهقي في الصغير (١/ ١٩٦)، وفي شعب الإيمان (٣/ ١٥٥)، وفي معرفة السنن والآثار (١/ ١٥٤).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١٢٩)، وأبو يعلى (٦/ ٣٢١)، والحاكم (٤/ ٨٥)، والبيهقي في الكبرى (٣/ ١٢١).

وَكُـنْ مُـطِـيـعًـا أَمْـرَهُ فِـيمَـا أَمَـرْ   مَـا لَمْ يَـكُـنْ بِـمُـنْـكَـرٍ فَـيُحْـتَـذَرْ

الشَّرْح

لما انتهى من أحكام الإمام وما يلزم في حقه ومن يصح اختياره بتوفر الصفات فيه، انتقل إلى ما يجب على الرعية نحو الإمام.

ذكر الله جَلَّ وَعَلَا في آيتين ما يجب على الإمام، وما يجب على الرعية، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء:٥٨]، هذه في الأئمة، ثم قال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:٥٩]، هذه في الرعية، وقد كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالة جيدة اسمها (السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية)، وهي مشهورة، وصدرها بهاتين الآيتين.

فقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَكُنْ مُطِيعًا أَمْرَهُ فِيمَا أَمَرْ)**؛ أي: يلزم على الرعية طاعة الإمام فيما أمر؛ لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:٥٩]، ولما وعظ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ: «مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا. فَقَالَ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا**

كَثِيرًا»(١)، فأمرهم بالسمع والطاعة لولي الأمر، ولو لم يكن له نسب رفيع؛ بأن كان عبدًا، إذا انعقدت بيعته وولايته، فإنها تلزم طاعته؛ لقول النبي ﷺ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ**»، وقال ﷺ: «**مَنْ يُطِعْ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي**»(٢)، إلا إذا أمر بمعصية، فإنه لا يُطاع في تلك المعصية، لكن لاتنخلع بيعته، بل لا يُطاع في تلك المعصية، وتبقى طاعته فيما عداها، قال ﷺ: «**لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ**»(٣)، فلو قال لك: (لا تُصلِّ في المسجد)، فلا تُطعه؛ لأن هذه معصية، فإذا أمر بمعصية، فـ«**لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ**»، وقال ﷺ: «**إنما الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**»(٤).

❁❁❁

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد في المسند(٤/ ١٢٦، ١٢٧)، والدارمي (٩٥)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٧، ٢٠)، والطبراني في الكبير (٦١٧ـ٦٢٤)، وفي الأوسط (١/ ٢٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٥٧)، ومسلم (١٨٣٥).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٥٤٥)، وأحمد (١/ ١٣١)، والقضاعي في مسند الشهاب (٢/ ٥٥)، والطبراني في الكبير (١٨/ ١٦٥)، والأوسط (٤/ ١٨٢)، وذكره الهيثمي في المجمع (٥/ ٢٢٦)، وقال: رجال أحمد رجال الصحيح.

(٤) أخرجه البخاري (٤٣٤٠)، ومسلم (١٨٤٠) من حديث علي رضي الله عنه.

فصل

فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ

الشَّرح

عرفنا أن حق الراعي المسلم على الرعية السمع والطاعة، إلا في المعصية، حتى ولو ظلم، ولو جار، ولو فسق، ما لم يصل إلى حد الكفر، فلا يجوز الخروج عليه، فإذا خرج من الإسلام، وارتكب ناقضًا من نواقض الإسلام، فإنه لا تصح إمامته، أما ما دام أنه باقٍ على الإسلام، ولو كان مرتكبًا لمعاصٍ تقتضي الفسق، كان يرتكب كبيرة من كبائر الذنوب دون الشرك ودون الكفر، فإنه تجب طاعته؛ لما في طاعته من المصالح، ولما في الخروج عليه من المضار، التي هي أضعاف أضعاف الصبر عليه مع معصيته، وما خرجت رعية على ولي أمرها، إلا كان عاقبة ذلك الشر، وهذا مُجرب في التاريخ.

وهذا خلافًا للخوارج الذين يرون الخروج على الإمام إذا ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب دون الكفر، يرون الخروج عليه، ويعتبرون هذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا ليس أمرًا بالمعروف ولا نهيًا عن المنكر، بل هذا هو المنكر ذاته؛ لأن نقض البيعة والثورة على ولي الأمر يلزم عليها من المفاسد، وسفك الدماء، واختلال الأمن، وتسلط الأعداء أشد مما يفعله الإمام من المنكر الذي هو دون الشرك.

فلا شك أن ارتكاب أخف المفسدتين لدفع أعلاهما واجب، وهذا باب معروف في الإسلام، فلا شك أن فعله معصية ومفسدة، لكن الخروج عليه أشد من تلك المعصية، وفسقه عليه إثمه، أما إذا خرجوا عليه، صار النقص على المسلمين، أما معاصيه هو، فنقصه عليه هو، وهذا باب عظيم، ينبغي معرفته؛ لأن مذهب الخوارج هو الخروج على الأئمة، فقد خرجوا على علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بل خرجوا على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقتلوه. وهم في كل ذلك يزعمون أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وماذا حصل بخروجهم على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من سفك الدماء، ومن الفتن، ومن الشرور؟! ماذا حصل على الأمة والويلات؟! كله بسبب هذه التصرفات الهوجاء.

والآن هناك نابتة على مذهب الخوارج من شباب المسلمين -مع الأسف- يتبنون هذا المذهب، ويرون أن الإمام إذا حصل منه مخالفة، فليس له بيعة، وليس له إمامة، ولم يعلموا أنه لما ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الفتن في حديث حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «**تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ**»، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: «**فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ**»[(١)]، فإذا كانت المخالفة من ولي الأمر لا تقتضي الكفر، فلا يجوز الخروج عليه ونقض البيعة؛ لأن هذا مذهب الخوارج أهل الضلال ومن شاركهم من المعتزلة، ويظنون أن هذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يدرون أن هذا هو المنكر، بل هذا أشد المنكر؛ لأن

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (٥١) (١٨٤٧).

الخروج على ولي الأمر وتشتيت المسلمين والإخلال بالأمن هذا هو المنكر العظيم.

وليس بلازم أن يكون الخروج على ولاة الأمور أن يكون بالسيف، بل الكلام الذي يتكلمون به في ولاة الأمور، ويسبونهم فيه، هذا خروج عليهم؛ لأن هذا يسبب بالنهاية الثورة، ويسبب شق عصا الطاعة، والشر أوله كلام، فلا تجوز هذه الأمور؛ لأنها تسبب شرورًا على المسلمين، فيجب الفقه في هذا الأمر، والتفقه في هذا الباب؛ لأنه باب عظيم.

فالمسلمون الآن في حاجة إلى دِراسة أحكام مسألة الإمامة وأحكام الإمامة، وما يلزم من طاعة ولاة الأمر، وما يترتب على مخالفتهم والخروج عليهم من الشرور؛ ليعلموا أنه لا تجوز هذه الأمور، ولا يقرها الإسلام، ولا يقرها دين ولا عقل.

لا يجوز الخروج على الإمام، ولو ظلم، ولو جارن ولهذا قال ﷺ: «**تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ**»(١)، ولما سُئل عن الولاة الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، «**أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ عِنْدَ ذلك؟**» قال: «**لَا ما أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ، لَا ما أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ**»(٢)، ولما ذكر ما يحصل من الأئمة من الأشياء التي ينكرونها عليهم، سألوه ماذا يعملون معهم؟ وفي الحديث: «**دَعَانَا النبي ﷺ فَبَايَعْنَاهُ، فقال فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا**

---

(١) أخرجه مسلم (٥٢) (١٨٤٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٥) من حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه.

أَنْ بَايَعَنَا على السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ في مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةً عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، إلا أَنْ ترو كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ من اللهِ فيه بُرْهَانٌ»[١]، فما دام الأمر دون الكفر، فلابد من السمع والطاعة.

والتكفير اليوم سهل على ألسنة كثير من الجهال، وهذا فيه خطر على الفرد والجماعة.

فالأمر مهم جدًا، خصوصًا في هذا الزمان، الذي حصل فيه ما حصل من ظهور مذهب الخوارج، وحصل فيه ما حصل من الكلام السيئ في حق ولاة أمور المسلمين، وذكر معايبهم في المجالس وعلى المنابر، مما يؤول في النهاية إلى القتال؛ لأن الشر أوله كلام، ثم يتطور إلى أن يكون سلاحًا.

فيجب على طلبة العلم وعلى أهل الخير أن يبينوا هذا الأمر، وأن ينشروه في الناس، وأن يُحذروا من مبادرات هؤلاء الجهلة، أو الذين لهم أغراض، يريدون أن يشقوا عصا الطاعة، وأن يفرقوا كلمة المسلمين؛ إما لأنهم جهال، وإما لأن لهم غرضًا سيئًا، فيجب الحذر منهم.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري (٧٥٠٠)، ومسلم (٤٢)(١٧٠٩).

وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ مَعَا فَرْضًا كِفَايَةٍ عَلَى مَنْ قَدْ وَعَا
وَإِنْ يَكُنْ ذَا وَاحِدًا تَعَيَّنَا عَلَيْهِ لَكِنْ شَرْطُهُ أَنْ يَأْمَنَا

الشَّرْح

ذكر فيما سبق أن القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من صلاحيات الإمام أو من ينيبه الإمام؛ أعني: الإنكار باليد، أما الإنكار باللسان والإنكار بالقلب، فهذا حسب استطاعة العبد، لكن الإنكار باليد وإزالة المنكر باليد هذا إنما هو من صلاحيات الإمام أو من يكله الإمام إليهم من رجال الحسبة.

والمعروف: المراد به كل طاعة لله عَزَّوَجَلَّ، فكل ما أمر الله به، فإنه معروف، سُمي معروفًا؛ لأن الفطر السليمة تعرفه، ولا تنكره(١).

والمنكر: هو كل ما نهي الله عنه، سُمي منكرًا؛ لأن الفطر السليمة تستنكره(٢).

هذا هو المعروف والمنكر، وأعظم ما أمر الله به التوحيد، وأعظم ما نهى الله عنه الشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ مَعَا)**، لا يكفي أمر بالمعروف فقط، أو نهي عن المنكر فقط، لابد من اجتماع الاثنين؛ الأمر بالمعروف والنهي

---

(١) انظر مادة (عرف) في: العين (٢/ ١٢١)، والصحاح (٤/ ١٤٠٠)، ومقاييس اللغة (٤/ ٢٨١)، ولسان العرب (٩/ ٢٣٦).

(٢) انظر مادة (نكر) في: العين (٥/ ٣٥٥)، والصحاح (٢/ ٨٣٦)، ومقاييس اللغة (٥/ ٤٧٦)، ولسان العرب (٥/ ٢٣٢).

عن المنكر؛ لأن الله ذكرهما مقترنين في القرآن: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران:١١٠]، ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران:١٠٤]، ﴿الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة:١١٢]، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة:٧١]، فهما مقترنان، لايكفي الأمر بالمعروف فقط، ولا يكفي النهي عن المنكر فقط، بل لابد منهما، ولهذا قال الناظم: (معا)؛ أي: مقترنان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَرْضَا كِفَايَةٍ)**، حكمهما أنهما فرض كفاية، إذا قام بهما من يكفي، سقط الإثم عن الباقين، وإن تركه الكل، أثموا، والله جَلَّ وَعَلَا قال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران:١٠٤]، فإذا قام به من يكفي، سقط الإثم عن الباقين، وإذا لم يقم به أحد، فإن الجميع يأثمون، ويستحقون العقاب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فلابد من وجود الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(عَلَى مَنْ قَدْ وَعَا)**؛ أي: على من عنده معرفة بالمعروف ومعرفة بالمنكر، فلابد أن يكون من يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر صاحب علم وبصيرة، يعرف ما هي الأشياء التي يؤمر بها، والأشياء التي يُنهى عنها بدليل من الكتاب والسنة.

أما إذا كان جاهلًا، لا علم عنده، فإنه لا يصلح للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنه قد يأمر بمنكر، وينهى عن معروف، وقد يُحلل حرامًا، ويُحرم

حلالًا بسبب جهله، فلابد أن يكون عنده فقه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(عَلَى مَنْ قَدْ وَعَا)**؛ يعني: عرف ما هو المعروف وما هو المنكر، وكان عنده علم بذلك.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَإِنْ يَكُنْ ذَا وَاحِدًا تَعَيَّنَا * عَلَيْهِ لَكِنْ شَرْطُهُ أَنْ يَأْمَنَا)**، إذا لم يكن هناك من يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمن عنده أهلية، فإنه يكون فرض عين عليه، فإذا قيل لك: متى يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض عين؟ فتقول: إذا لم يقم به من يكفي، وكان عند الإنسان أهلية علمية بذلك، فإنه يكون فرض عين عليه.

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لَكِنْ شَرْطُهُ أَنْ يَأْمَنَا)**؛ أي: يأمن أن لا يترتب عليه ضرر؛ إما بقتل، أو بضرب، أو بغير ذلك، فإذا كان يترتب عليه ضرر، فإنه لايلزمه ذلك، إلا من باب الصبر والاحتساب، إذا أراد أن يقوم به، ولو جرى عليه ما يجري محتسبًا، أما إنه يجب عليه، فلا.

فَاصْبِرْ وَزِلْ بِالْيَدِ وَاللِّسَانِ   لِمُنْكَرٍ وَاحْذَرْ مِنَ النُّقْصَانِ

الشَّرْح

اصبر على ما ينالك في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن الذي يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر لابد أن يلاقي من الناس أذى، فعليه أن يصبر، ويحتسب الأجر؛ لأن الناس لن يمدحوه، ولا يرونه على الصواب، يريد الناس منه أن يسير على ما يهوون، وإلا فإنهم سيلومونه، ويتكلمون فيه، فيجب أن يصبر على ما يلقى، قال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر:١-٣]، فقوله: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ هذا هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر:٣]؛ أي: على ما ينالهم من جراء ذلك؛ لأن الذي يأمر وينهى لابد أن يصيبه شيء مما يكره، فعليه أن يصبر، قال لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان:١٧]، الذي ليس عنده صبر لا يستطيع أن يستمر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَزِلْ بِالْيَدِ وَاللِّسَانِ لِمُنْكَرٍ**)، مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بينها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا، فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ**»(١)،

(١) أخرجه مسلم (٧٨) (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فيجب إنكار المنكر على كل أحد، ولا يُعذر أحد، لكنه بحسب استطاعته. إن كان له سلطة، فإنه يزيل المنكر بيده، وإذا لم يكن له سلطة، وعنده القدرة على البيان للناس والموعظة والدعوة، فإنه ينكر بلسانه؛ بأن يعظهم، ويذكرهم، ويخوفهم بالله، ويبين لهم أن هذا أمر لايجوز، وإذا لم يكن عنده سلطة، ولا عنده علم و معرفة، أو كان عنده علم ومعرفة، لكن يترتب عليه ضرر لو أنكر أو تكلم، فإنه لا يجب عليه، بل يُنكره بقلبه.

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَاحْذَرْ مِنَ النُّقْصَانِ)**، احذر أن تنتقل من مرتبة إلى المرتبة التي بعدها، وأنت عندك قدرة على المرتبة التي انتقلت منها، إذا كان عندك قدرة باليد، لا يكفي اللسان، إن كان عندك قدرة باللسان، وليس عندك قدرة باليد، يجب عليك باللسان، إذا لم يكن عندك هذا ولا هذا، تنكره بقلبك، وهذا لا يعجز عنه أحد، وإذا أنكرته بقلبك، اعتزلت أهله، وابتعدت عنهم، أما أن تبقى مع العصاة ومع الأشرار، وتقول: (أنا أنكر بقلبي)، فهذا لا يجوز لك؛ لأنه لو كان عندك إنكار بقلبك، ما بقيت معهم.

وَمَنْ نَهَى عَمَّا لَهُ قَدِ ارْتَكَبْ ... فَقَدْ أَتَى مِمَّا بِهِ يُقْضَى الْعَجَبْ
فَلَوْ بَدَا بِنَفْسِهِ فَذَادَهَا ... عَنْ غَيِّهَا لَكَانَ قَدْ أَفَادَهَا

الشَّرْح

هذا مما يجب على الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر:

أولًا: عرفنا أنه يجب عليه أن يكون عالمًا بما يأمر به وما ينهى عنه.

ثانيًا: أن يكون فاعلًا لما يأمر به، متجنبًا لما ينهى عنه، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة:٤٤]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف:٢-٣]، وجاء في الحديث أن الذي يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ولا يعمل؛ أنه من أول من تُسعر بهم النار يوم القيامة، يُلقى في النار حتى تندلق أقتابه -يعني: تخرج أمعاؤه-، ويجتمع عليه أهل النار، فيقولون: «**أَيْ فُلَانُ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ**»(١)، فلا يليق بمسلم أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهو يخالف ذلك، بل أول ما يبدأ بنفسه.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٦٧)، ومسلم (٥١) (٢٩٨٩) عَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: قِيلَ لِأُسَامَةَ لَوْ أَتَيْتَ فُلَانًا فَكَلَّمْتَهُ، قَالَ: إِنَّكُمْ لَتُرَوْنَ أَنِّي لَا أُكَلِّمُهُ إِلَّا أُسْمِعُكُمْ، إِنِّي أُكَلِّمُهُ فِي السِّرِّ دُونَ أَنْ أَفْتَحَ بَابًا لَا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ، وَلَا أَقُولُ لِرَجُلٍ أَنْ كَانَ عَلَيَّ أَمِيرًا إِنَّهُ خَيْرُ النَّاسِ، بَعْدَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالُوا: وَمَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ: قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ،** =

لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ ... عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ
ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَانْهَهَا عَنْ غَيِّهَا ... فَإِذَا انْتَهَتْ فَأَنْتَ حَكِيمُ[١]

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فَلَوْ بَدَا بِنَفْسِهِ فَذَادَهَا * عَنْ غَيِّهَا لَكَانَ قَدْ أَفَادَهَا)**، نعم يبدأ بنفسه أولًا، ويذودها عن الشر والمنكر، ويكون قد أفاد نفسه، وأنقذها من عذاب الله.

وليس من شرط الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أن لا يقع منه مخالفة، وأن يكون كاملًا ولا مخالفة عنده. إذا كان عنده مخالفة، فإنه يتوب إلى الله، ولكن لا يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويقول: (أنا عندي كذا وكذا)، فيجمع بين جريمتين:

أولًا: الوقوع في المعصية.

وثانيًا: تركه للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فعليه أن يتوب مما عنده من النقص، ويقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإلا لو لم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، إلا إنسان كامل، لتعطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنه لا يوجد أحد كامل، لايوجد عنده نقص.

❁❁❁

=فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلَانُ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ».

(١) البيتان لأبي الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ، وَتُرْوَى لِلْعَرْزَمِيِّ. انظر: البيان والتبيين (١/ ١٧٣)، وجامع بيان العلم وفضله (١/ ٦٧٤)، والحماسة المغربية (٢/ ١٢٣٢).

الخاتمة

وَفِيهَا فَوَائِدُ نَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى حُسْنَ الْخَاتِمَةِ

الشَّرْح

(**الخَاتِمَةُ**)؛ يعني: خاتمة الكتاب وخاتمة النظم، وأما (**نَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى حُسْنَ الخَاتِمَةِ**)، فيراد بها خاتمة العمر؛ لأن الشيء بالشيء يُذكر؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ [البقرة:١٩٧]، لما أمر بأخذ الزاد في سفر الحج، أمر بأخذ الزاد لسفر الآخرة، وهو التقوى، ولما ذكر اللباس في سورة (الأعراف)، قال: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف:٢٦]، ذكر اللباس الحسي، ثم ذكر اللباس المعنوي، وهو التقوى، والشيء بالشيء يُذكر، كذلك الناظم لما ذكر خاتمة النظم، تذكر خاتمة العمر، ودعا الله سُبْحَانَهُ بحسن الخاتمة؛ لأن الأعمال بالخواتيم، فمن حسنت خاتمته، ومات على الإسلام، سعد في الدنيا والآخرة، ومن ساءت خاتمته -والعياذ بالله-، ومات على الكفر، خسر الدنيا والآخرة.

فالأعمال بالخواتيم، وأما قوله: (وَفِيهَا فَوَائِدُ)، هذا محل نظر؛ لأنه ذكر فيها قواعد المنطق وعلم الكلام، ذكر شيئًا لا مصلحة لنا فيه، ولا حاجة بنا إليها -ولله الحمد.

❀❀❀

فَالْحَدُّ وَهْوَ أَصْلُ كُلِّ عِلْمِ ... وَصْفٌ مُحِيطٌ كَاشِفٌ فَافْتَهِمِ
وشرطُهُ طَردٌ وعكسٌ وهْوَ إنْ ... أنْبَا عنِ الذَّواتِ فَالتَّامَ استَبِنِ
وإن يَكُنْ بِالْجِنسِ ثُمَّ الْخَاصَّهْ ... فذاكَ رَسمٌ فافهَمِ الْمُحاصَّه
وَكُلُّ مَعْلُومٍ بِحِسٍّ وَحِجَى جَهْلٌ قَبِيحٌ ... فَنُكْرُهُ وَكُلُّ مَعْلُومٍ بِحِسّ
فَإِنْ يَقُمْ بِنَفْسِهِ فَجَوْهَرُ ... أَوْ لَا فَذَاكَ عَرَضٌ مُفْتَقِرُ
وَالْجِسْمُ مَا أُلِّفَ مِنْ جُزْأَيْنِ ... فَصَاعِدًا فَاتْرُكْ حَدِيثَ الْمَيْنِ
ومُستحيلُ الذَّاتِ غيرُ مُمكِنِ ... وَضِدُّهُ مَا جَازَ فَاسْمَعْ زَكَنِي
وَالضِّدُّ وَالْخِلَافُ وَالنَّقِيضُ ... وَالْمِثْلُ وَالْغَيْرَانِ مُسْتَفِيضُ
وَكُلُّ هَذَا عِلْمُهُ مُحَقَّقُ ... فَلَمْ نُطِلْ بِهِ وَلَمْ نُنَمِّقْ

الشَّرْح

كل هذا في علم المنطق وعلم الكلام، ولا حاجة بنا إليه، ولكنه لما كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد وقع في علم الكلام وعلم المنطق، لم يتخلص منه، فجاء بهذه الأبيات في آخر النظم.

وَالْحَــمْــدُ لِلهِ عَلَـى التَّوْفِيقِ ... لِمَنْهَجِ الْحَــقِّ عَلَـى التَّحْقِيقِ

الشَّـرْح

أي: الحمد لله على ما منَّ به على معرفة العقيدة الصحيحة التي تضمنتها هذه المنظومة، وهي على منهج السلف، وإن كان قد وقع فيها بعض الأشياء مثل هذه الأبيات، ولكن هي في جملتها هي على منهج السلف، وقد قرأناها -والحمد لله-، ونسأل الله أن نكون قد استفدنا منها! والحمد يكون على النعم، وأجل النعم نعمة الإسلام، ونعمة العلم النافع، فالله جَلَّ وَعَلَا يُحمد على نعمه الظاهرة والباطنة، وأجلها نعمة الإسلام، ونعمة العلم النافع.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**لِمَنْهَجِ الحَقِّ**)، وهو مذهب أهل السنة والجماعة المأخوذ من الكتاب والسنة في باب الاعتقاد، فمن وفقه الله لمعرفة ذلك والعمل به، فقد تمت عليه النعمة، ووجب عليه الشكر، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، فهذا هو أجل النعم، وليس النعمة في المال، أو في المآكل والمشارب فقط، نعم هذه نعمة من الله، ولكن أجل النعم هو الإسلام وعقيدة التوحيد، التي بها النجاة في الدار الآخرة، هذه هي أجل النعم، فمن وفقه الله لمعرفتها، والعمل بها، والتمسك بها، فقد حصل له أكمل النعم، فيجب عليه أعظم الشكر؛ لأن النعم إذا شُكرت، استقرت، وزادت ونمت، وإذا كُفرت، زالت، وفرت، فالحمد هو قيد النعم، وهو ينميها، ويزيدها، ثم أيضًا ليس المقصود بالعلم -سواءً في العقيدة، أو في الأحكام الشرعية-، ليس المقصود به المباهاة أو التفاخر،

وإنما المقصود به العمل الصالح والاستقامة، ولا يغتر الإنسان بعلمه، فإن ما يجهله أكثر مما يعرفه: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٨٥]، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٧٦]، وعلى طالب العلم أن لا يقف عن حد، بل يستمر في طلب العلم إلى أن يموت؛ لأنه بحاجة إلى ذلك، ولا يقول: (أنا اكتفيت، أو أنا بلغت إلى حد يكفيني)، فإن هذا غرور وجهل، ولهذا يقول العلماء: (من قال: أنا عالم، فهو جاهل)؛ لأن العالم الحقيقي يرى أنه مقصر، وأن عنده قصور في علمه، وأنه يحتاج إلى زيادة، والله جَلَّ وَعَلَا قال لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤].

مُسَلِّمًا لِمُقْتَضَى الْحَدِيثِ وَالنَّصِّ فِي الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**مُسَلِّمًا**)، يقول: (أنا أسلم لمقتضى النص)، وهو القرآن والحديث، وهذا هو مصدر العقيدة الصحيحة؛ أن تسلم لما جاء في القرآن، وما جاء في السنة من الأدلة على العقيدة/ دون أن أتدخل في تأويلها، أو تحريفها، أو أن أعارضها بقول فلان أو علان، علامة الإيمان التسليم لما جاء عن الله وما جاء عن رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جميع أمور الدين، ولا سيما في أصل الدين، وهو العقيدة، أما الذي يعترض على النصوص، أو يؤولها على حسب مراده هو، أو يحرفها عن مواضعها، فهذا لم ينتفع بكلام الله ولا بكلام رسوله، وإنما اعتمد على فهمه أو على من يقلده، ويريد أن يخضع النصوص لما يعتقده هو، أو ما استقر بفكره هو، أو ما قاله فلان أو علان؛ أما أهل الحق، وأهل الاستقامة، فهم على العكس؛ يردون أقوالهم وأقوال غيرهم إلى النصوص، فما وافقها، أخذوا به، وما خالفها، ردوه، وما لم يتبين لهم، توقفوا فيه، ولا يتدخلون فيها بأفهامهم متأولين أو محرفين، وإنما ما استبان لهم، عملوا به، وهو -والحمد لله- كثير وبيّن، وما أشكل عليهم، توقفوا فيه، إلى أن يتبين، ولا يخوضون في كلام الله وكلام رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بغير علم وبغير هدى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**لِمُقْتَضَى الحَدِيثِ وَالنَّصِّ فِي الْقَدِيمِ وَالحَدِيثِ**)، كان الأصل أن يقول: (لمقتضى النص والحديث)، ولكن النظم اضطره إلى أن يقدم الحديث على النص، وهو القرآن، من أجل ضرورة الشعر، وإلا فلاشك أن النص -وهو القرآن- مقدم على الحديث.

لَا أَعْـتَـنِي بِـغَـيْرِ قَـوْلِ السَّلَفِ مُـوَافِـقًـا أَئِـمَّـتِي وَسَـلَـفِـي

الشَّرْح

لا يعتمد على غير قول السلف، والمراد بالسلف الصحابة والتابعون، ومن تبعهم بإحسان من القرون المفضلة، والأئمة المهديون يمشون على ما مشوا عليه، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠]، فإذا كنت تريد هذا الوعد من الله: ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، فاتبع السلف، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»(١)، فإذا أردت النجاة، وأردت السعادة، وأردت السلامة من الضلال، فعليك بمنهج السلف من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ والتابعين وأتباعهم، ومن اقتدى بهم من الأئمة المهديين؛ كالأئمة الأربعة -أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد-، وغيرهم من الأئمة -كسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وإسحاق بن راهويه-، وغيرهم من أئمة السلف، هؤلاء هم القدوة؛ لأنهم سائرون على الحق، وعلى ما كان عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، فعليك باللحاق بهم، والتمسك بآثارهم، والسير على منهجهم، وإياك والمناهج المحدثة، والمناهج الضالة التي حدثت

(١) سبق تخريجه (ص ٩٥).

بعد القرون المفضلة، أو منها ما حدث في القرون المفضلة؛ مثل: عقيدة الإرجاء، وعقيدة القدرية، وعقيدة الخوارج، وعقيدة المعتزلة، وعقيدة الشيعة، وغير ذلك من الفرق الضالة، عليك بتجنب هذه المناهج، ومن سار على نهجها في وقتنا الحاضر، فعليك بتجنبها والابتعاد عنها، والسير على ما كان عليه هؤلاء الأئمة من سلف الأئمة وأئمتها، ولاتلتفت إلى غيره، إلا بالرد والإبطال والرفض والابتعاد عنه، مهما زينوه، ومهما زخرفوه بالحجج المزورة، فإنه باطل، لاقيمة له.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**مُوَافِقًا أَئِمَّتِي**)؛ أي: أئمة الهدى، ومن سلف، السلف هم السابقون الذين سلفوا على الحق، هؤلاء هم السلف، من صدر هذه الأمة، سموا بالسلف لسبقهم في الزمان وسبقهم في العلم، والاعتقاد الصحيح.

وَلَـسْـتُ فِي قَـوْلِـي بِـذَا مُقَلِّدَا إِلَّا النَّبِيَّ الْمُصْطَفَى مُبْدِي الْهُدَى

الشَّرْح

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنا على منهج السلف، ولكن في أمر العقيدة أنا آخذ بمقتضى الكتاب والسنة؛ لأنهم هم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ يأخذون بمقتضى الكتاب والسنة، فالعقيدة ليست محلًا للتقليد، وإنما هي اتباع واقتداء، بخلاف الفقه ومسائل الفقه والأحكام العملية، فقد يكون فيها تقليد -كما يأتي-، أما العقيدة، فلا يدخل فيها التقليد؛ لأنها توقيفية، وليست محلًا للاجتهاد، وإنما هي توقيفية على ما جاء في الكتاب والسنة، وليس هناك أحد يجب الاقتداء به إلا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهؤلاء السلف كلهم مقتدون برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فهو قدوتهم وقدوتنا، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١]، ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (من قال: إن أحدًا يجب تقليده، أو الأخذ بقوله، يجب وجوبًا غير رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد ارتد عن الإسلام، يُستتاب، فإن تاب، وإلا قُتل)(١)؛ لأنه ليس هناك أحد يجب اتباعه إلا

(١) قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَمُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَبْعُوثٌ إِلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ: إِنْسِهِمْ وَجِنِّهِمْ، فَمَنْ اعْتَقَدَ أَنَّهُ يَسُوغُ لِأَحَدِ الْخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَتِهِ وَطَاعَتِهِ، فَهُوَ كَافِرٌ يَجِبُ قَتْلُهُ).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بَلْ هَذَا أَوْلَى بِالْحَقِّ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّنْ يَتَعَصَّبُ لِوَاحِدِ مُعَيَّنٍ غَيْرِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَمَنْ يَتَعَصَّبُ لِمَالِكِ، أَوْ الشَّافِعِيِّ أَوْ أَحْمَدَ أَوْ أَبِي حَنِيفَةَ، وَيَرَى أَنَّ قَوْلَ هَذَا الْمُعَيَّنِ هُوَ الصَّوَابُ الَّذِي يَنْبَغِي اتِّبَاعُهُ دُونَ قَوْلِ الْإِمَامِ الَّذِي خَالَفَهُ، فَمَنْ فَعَلَ هَذَا كَانَ جَاهِلًا ضَالًّا؛ بَلْ قَدْ يَكُونُ كَافِرًا؛ فَإِنَّهُ مَتَى اعْتَقَدَ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى النَّاسِ =

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولهذا كل الأئمة يوصون باتباع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإذا خالف اجتهادهم، أو خالف قولهم قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن قولهم يُترك، ويؤخذ بقول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيوصوننا بهذا، فلا يجب تقليد أحد إلا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه معصوم، ولا ينطق عن الهوى، أما من سواه، فإنه محل للخطأ، وليس بمعصوم، فما وافق قول الرسول من أقوال العلماء، أخذنا به، وما خالف، تركناه؛ كما قال الإمام الشافعي: (أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لم يكن له أن يدعها لقول أحد)[1]، لم يكن له أن يدع سنة الرسول لقول أحد من الناس، مهما بلغ من العلم والمنزلة؛ لأنه لا يُقتدى إلا بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هو قدوة الجميع.

❁❁❁

=اتِّبَاعُ وَاحِدٍ بِعَيْنِهِ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةِ دُونَ الْإِمَامِ الْآخَرِ، فَإِنَّهُ يَجِبُ أَنْ يُسْتَتَابَ، فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ). انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٤٢٢، ٢٢/ ٢٤٨-٢٤٩).

(١) انظر: إعلام الموقعين (٢/ ٢٨٢)، ومدارج السالكين (٢/ ٣٣٥).

صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ مَا قَطْرٌ نَزَلْ … وَمَا تَعَانَى ذِكْرَهُ مِنَ الأَزَلْ
وَمَا انْجَلَى بِهَدْيِهِ الدَّيْجُورُ … وَرَاقَتِ الأَوْقَاتُ وَالدُّهُورُ

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ)؛ أي: على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والصلاة من الله: ثناؤه على عبده في الملأ الأعلى[(١)]، والصلاة منا: الدعاء؛ ندعو له أن يصلي الله عليه[(٢)]، والصلاة من الملائكة: الاستغفار[(٣)]، هذا هو أصح الأقوال في تفسير الصلاة على المخلوق، والصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واجبة؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦]، فهي واجبة، وهذا من حقوقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أمته؛ أن يصلوا، ويسلموا عليه[(٤)].

---

(١) ذكره البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ معلقًا بصيغة الجزم عن أبي العَالِيَةِ قال: «صَلَاةُ اللهِ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ المَلَائِكَةِ، وَصَلَاةُ المَلَائِكَةِ الدُّعَاءُ». انظر: صحيح البخاري (٦/ ١٢٠). وانظر: كتاب (جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام): (ص٢٥٣- ٢٧٦)، و(بدائع الفوائد): (١/ ٤٤ - ٤٧) لابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) انظر في معنى الصلاة: تهذيب اللغة (١٢/ ١٦٥)، والمحكم والمحيط الأعظم (٨/ ٣٧٢)، ومختار الصحاح (١/ ١٥٤).

(٣) كما في المسند عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**المَلَائِكَةُ تُصَلي على أَحَدِكُمْ مَا دَامَ في مُصَلَّاهُ الَّذِى صَلى فِيهِ تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ**». أخرجه أحمد في مسنده (١/ ١٤٤)، وأخرجه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ البخاري (٦٥٩)، ومسلم (٦٤٩).

(٤) انظر أقوال العلماء في وجوب الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أحكام القرآن) للجصاص (٥/ ٢٤٣)، و(أحكام القرآن) لابن العربي (٣/ ٦٢٣)، و(منهاج السنة النبوية) (٤/ ٥٩٥- ٥٩٨)، و(الصواعق المرسلة) (٢/ ٥٨٣، ٥٨٤)، و(تفسير ابن كثير) (٣/ ٥٠٩- ٥١٣).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**مَا قَطْرٌ نَزَلْ**)؛ يعني: صلى الله على محمد بعدد القطر الذي ينزل، ومن يحصي عدد القطر، إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَمَا تَعَانَى ذِكْرَهُ**)؛ يعني: ما تقدم ذكر الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (**مِنَ الْأَزَلْ**) قبل أن يُبعث عليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قبل أن يولد، فإن ذكره موجود، وخبر بعثته موجود قبل وجوده صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن الله أخذ الميثاق على النبيين بأنه إذا بُعث محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأحد منهم حي أن يتبعه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عمران:٨١]، هذا هو محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران:٨١]، فأخذ الله الميثاق على النبيين بأنهم إذا بُعث محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأحد منهم حي أن يتبعه.

وأيضًا ذكره الله في التوراة عند بني إسرائيل: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ﴾ [الأعراف:١٥٧]، هذا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ﴾ [الأعراف:١٥٧]، لابد من الإيمان به، ومن لم يؤمن به، فهو كافر -من اليهود، أو من النصارى، أو من غيرهم-، من لم يؤمن بالرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو كافر: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ﴾، التعزير: التوقير، فلابد من نصرته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونصرة دينه، ونصرة ما جاء به: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ [الأعراف:١٥٧]، لابد من

الاتباع، ولابد من الإيمان والنصرة و الاتباع لهذا الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا أخذه الله على بني إسرائيل، وهو في كتابهم في التوراة، يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة التي نزلت على موسى، وفي الإنجيل الذي نزل على عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فذكر هذا النبي سابق لبعثته في الكتب السابقة -في التوراة والإنجيل-، وأهل الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، ولكنه لما بُعث، ورأوا أنه من العرب، حسدوه؛ لأنهم يريدون أن تكون الرسالة في بني إسرائيل، ولما كان من ذرية إسماعيل، حسدوه، وتكبروا، وهم يعلمون أنه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مذكور في التوراة والإنجيل، ولهذا بشر به عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦]، أحمد ومحمد اسمان له، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له أسماء كثيرة، راجعوا كتاب (جلاء الأفهام) لابن القيم، تجدوا أسماء الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مذكورة في هذا الكتاب وفي غيره.

الشاهد من هذا: أن عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بشَّر أنه يأتي من بعده، ولم يأتِ بعد عيسى إلا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد جاء على النعت والوصف المذكور في التوراة والإنجيل، هذا هو محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فذكره سابق لولادته وبعثته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أما الذين يقولون: (إنه مخلوق من قبل آدم)، فهذا من الخرافة والكذب؛ لأن الخرافيين الذين يغلون في الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -من القبوريين، والصوفية، وغيرهم- يقولون: (إن محمدًا مخلوق قبل آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ)، وأيضًا يقولون: (هو مخلوق من نور، وليس بشرًا)، هذا من الغلو والإفراط، نسأل

الله العافية، فهو لم يخلق إلا في وقته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخُلق من أبوين من أب وأم كبني آدم، أما إنه مخلوق قبل آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فكيف يكون من بني آدم، وهو مخلوق قبل آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ؟! بل يقولون: (إن السماوات والأرض والدنيا ما خلقت إلا من أجل محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، هذا من الغلو -والعياذ بالله- والإفراط والضلال، وهذا يعتقده الصوفية، ويعتقده القبوريون، ويعتقده كثير ممن ينتسبون إلى الإسلام، وهو باطل وضلال.

أما أنه مذكور في الكتب السابقة، ومتقدم ذكره على بعثته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا حق؛ ففرق بين الأمرين.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: **(وَمَا انْجَلَى بِهَدْيِهِ الدَّيْجُورُ * وَرَاقَتِ الْأَوْقَاتُ وَالدُّهُورُ)**، وصلى عليه الله (وَمَا انْجَلَى بِهَدْيِهِ الدَّيْجُورُ)، الديجور: هو الظلام[1]؛ لأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جلى الله به الظلمات -ظلمات الشرك والكفر والضلال-، وأنار الكون برسالته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٦]، فهو سراج أضاء الله به ظلمات الشرك والكفر والضلال، وأعاد به الهدي والحق بعدما انطمست آثاره، وعمت الجاهلية بظلامها، بعث الله جَلَّ وَعَلَا محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نورًا ساطعًا في هذا الكون؛ فاستنار به أهل الحق.

(١) انظر: العين (٦/ ٧٥)، وتهذيب اللغة (١٠/ ٣٣٦)، والصحاح (٢/ ٦٥٥)، ومقاييس اللغة (٢/ ٣٢٩).

وَآلِـهِ وَصَحْبِـهِ أَهْلِ الْوَفَا مَعَادِنِ التَّقْوَى وَيَنْبُوعِ الصَّفَا

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَهْلِ الْوَفَا**)، وكذلك صلى الله على آله، وهم قرابته وأتباعه على دينه، كلهم يسمون آل محمد، فيصلى عليهم بعد الصلاة عليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَصَحْبِهِ**)، وخص من آله صحبه، هذا من التخصيص بعد العموم، فمن أخص آل محمد صحابته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، والصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ: جمع صحابي، وهو من لقي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمنًا به ومات على ذلك[(١)]؛ يعني: ومات على الإيمان به، هذا هو الصحابي، يخرج بذلك من آمن بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يلقه، هذا لا يسمى صحابيًّا، ويخرج بذلك من لقيه، ولم يؤمن به؛ لأن مجرد اللقاء لا يكسب الصحبة، ولذلك لقيه من المشركين والكفار من لقيه، ولكنهم لما لم يؤمنوا به، لم يكونوا صحابة، وخرج بذلك من لقيه مؤمنًا به، ثم ارتد، ومات على الردة، فهذا تبطل صحبته، وتبطل جميع أعماله، ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢١٧].

---

(١) انظر: في تعريف الصحابي: تدريب الراوي للسيوطي (ص٢٨٨، ٢٨٩)، وفتح المغيث للعراقي (ص٣٤٢)، وفتح المغيث للسخاوي (٣/ ٧٨، ٧٩)، والإصابة لابن حجر (١/ ٤، ٥).

لاشك أن هذه أوصاف الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ أنهم أهل الوفاء، فهم أوفى الناس، وأصدق الناس، وأعلم الناس؛ لأنهم أخذوا العلم عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهم أغزر الناس علمًا؛ كما وصفهم عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بكونهم أغزر الناس علمًا، وأقلهم تكلفًا، اختارهم الله لصحبة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(مَعَادِنِ التَّقْوَى وَيَنْبُوعِ الصَّفَا)**؛ لأنهم أتقى الناس وأفضل القرون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي**»(٢)، فهم خير القرون وأتقاهم لله عَزَّ وَجَلَّ، وأصفاهم عقيدة وأصفاهم سريرة، وأنصحهم، يكفيك أنهم نشروا دين الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المشارق والمغارب، وبذلوا دماءهم وأموالهم، وتفرقوا في البلاد؛ لأجل الجهاد في سبيل الله، هجروا الأوطان، وسافروا في البلدان، وأصابهم القتل والجراح، تفرقوا في الأرض، وماتوا، ودفنوا في شتى الأقطار، كل هذا في سبيل الله عَزَّ وَجَلَّ، فهم الذين نصروا الدين وثبتوه، وهم الذين ورثوه لمن بعدهم، فهم الواسطة بيننا وبين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من أين جاءنا القرآن؟ من أين جاءتنا السنة والأحاديث؟ كلها عن طريق الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، نحن ما حضرنا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا سمعنا منه، ولكن صحابته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم الذين بلغونا عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا القرآن، وهذه السنة المطهرة، وهذا العلم، هذا كله إنما جاءنا بواسطة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٣٥).

(٢) سبق تخريجه (ص٩٥).

وَتَــابِــعٍ وَتَــابِــعٍ لِـلـتَّـابِـعِ   خَـيْرُ الْـوَرَى حَقًّا بِـنَـصِّ الشَّارِعِ

الشَّـرْح

والقرن الثاني قرن التابعين، الذين هم تلاميذ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، الذين أخذوا عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأثنى عليهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: « ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»؛ يعني: التابعين، وأتباع التابعين الذين أخذوا عن التابعين، الذين هم أهل القرن الثالث، الذين أثنى عليهم رسول الله بقوله: «ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»، ثلاثة مرات، ثلاثة قرون، والقرن الرابع اختلفت فيه الرواية.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**خَيْرُ الْوَرَى حَقًّا**)، أهل هذه القرون الثلاثة هم خير الخلق (**بِنَصِّ الشَّارِعِ**)، وهو الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»[(١)]، هؤلاء هم خير القرون، وهم القدوة لمن جاء بعدهم، وهم السلف الصالح.

ذِكْرُ أَئِمَّةِ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ
وَرَحْمَةُ اللَّهِ مَعَ الرِّضْوَانِ وَالْبِرِّ وَالتَّكْرِيمِ وَالْإِحْسَانِ

تُهْدَى مَعَ التَّبْجِيلِ وَالْإِنْعَامِ ... مِنِّي لِمَثْوَى عِصْمَةِ الْإِسْلَامِ
أَئِمَّةِ الدِّينِ هُدَاةِ الْأُمَّةِ ... أَهْلِ التُّقَى مِنْ سَائِرِ الْأَئِمَّةِ
لَا سِيَّمَا أَحْمَدَ وَالنُّعْمَانِ ... وَمَالِكٍ وَمُحَمَّدٍ الصِّنْوَانِ

الشَّرْح

ولما فرغ من ذكر القرون المفضلة، انتقل إلى ذكر الأئمة الذين جاءوا من بعدهم -كالأئمة الأربعة وإخوانهم ممن عاصروهم-، أو جاؤوا من بعدهم من أئمة الهدى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**لَا سِيَّمَا**)، يقصد جميع الأئمة الذين جاؤوا بعد أتباع التابعين من الأئمة، الذين ورثوا العلم عمن سبقهم من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، وفيهم الأئمة الأربعة:

أولهم: أبو حنيفة، وهو أقدم الأئمة، وعاصر التابعين، وروى عن بعض الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ -على قول-، فهو من أقدم الأئمة، وهو من أتباع التابعين، هذا هو الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت رَحِمَهُ ٱللَّهُ، صاحب المذهب المعروف المشهور بالفقه، والمشهور بالورع والتقى والزهد والصلاح والاستقامة، ثم من بعده الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ إمام دار الهجرة عالم الحديث والفقه، ثم

الإمام الشافعي: محمد بن إدريس الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثم الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

هؤلاء هم الأئمة الأربعة، الذين بقيت مذاهبهم في الناس مدروسة ومحررة ومتوارثة، وأما غيرهم، فاندرست مذاهبهم، ولم يبق لهم مذهب محرر، ولكن بقيت أقوالهم في بطون كتب الفقه والمراجع، وكتب التفسير وشروح الحديث والموسوعات الفقهية.

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَمُحَمَّدٍ الصِّنْوَانِ)**؛ يعني: محمد بن إدريس الشافعي، صنوان: يعني أنه من قرابة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه من أهل البيت، ونسب إلى الشافعي؛ لأن جده اسمه شافع.

مَـنْ لَازِمٌ لِـكُـلِّ أَرْبَــابِ الْعَمَلِ   تَقْلِيدُ حَبْرٍ مِنْهُمُ فَاسْمَعْ تَخَلْ

الشَّرْح

يقول: (إن تقليد هؤلاء الأئمة الأربعة، والسير على مذاهبهم أمر سائغ)، ولذلك انتشرت المذاهب الأربعة -الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي-؛ لأنهم بقيت مذاهبهم، ودُرِّست، وحُررت، وتوارثها الناس، ودرسوها، فتقليدهم في هذه الأمور تقليد سائغ، لا يُنكر على الحنفي أن يقول: (أنا حنفي)، ولا على الشافعي، ولا على المالكي أن يقول: (أنا مالكي)، ولا على الحنبلي، لا يُنكر هذا، ولكن يُنكر التعصب، وإلا مجرد الانتساب للمذهب لا يُنكر، ولكن يُنكر التعصب؛ كأن يقول: (أنا لا آخذ إلا ما يقوله الإمام أبو حنيفة)، أو الحنبلي الذي يقول: (لا آخذ إلا ما قاله الإمام أحمد)، والشافعي الذي يقول: (لا آخذ إلا ما قاله الشافعي).

أما العقيدة، فهي ليست محل تقليد، ولكن في مسائل الفقه العملية فمجرد الانتساب إلى مذهب من المذاهب الأربعة فيها لا بأس به، ولكن لا يتعصب، بل إذا تبين الدليل، فإنه يجب الأخذ به، ولو خالف مذهب إمامه الذي ينتسب إليه، وإذا كان الدليل مع الحنبلي، يجب على بقية المذاهب أن تأخذ به، وإذا كان الدليل مع الحنفي، يجب على الحنابلة والشافعية والمالكية أن يأخذوا به، فالمدار على الدليل إذا تبين، أما الذي يتعصب، ويقول: (أنا آخذ بقول الإمام، ولو خالف الدليل؛ لأنه أعلم مني)، نقول: هذا لا يجوز؛ لأنه تعصب.

هذا في حق التقليد، هذا في حق الذي ليس عنده مدارك الاجتهاد المطلق، أما الذي عنده مسوغات الاجتهاد المطلق، فلا يجوز له أن يقلد أحدًا، بل يأخذ باجتهاده، أما الذي ليس عنده مدارك ومؤهلات الاجتهاد المطلق، فهذا يُقلد، ولكن من غير تعصب، بل متى تبين له الدليل، يتبعه مع من كان من الأربعة أو غيرهم، هذا هو الإنصاف والعدل والحق، أما التعصب، فإنه مذموم.

وَمَــنْ نَحَـا لِسُبْلِهِمْ مِـنَ الْـوَرَى ... مَـا دَارَتِ الْأَفْـلَاكُ أَوْ نَجْـمٌ سَرَى

الشَّرْح

أي: والصلاة والسلام على (**مَنْ نَحَا لِسُبْلِهِمْ**)؛ لسبل هؤلاء الأئمة، (**مِنَ الْوَرَى**) من الناس (**مَا دَارَتِ الْأَفْلَاكُ**)، الأفلاك: جمع فَلك، وهو الشيء المستدير؛ مثل: فلكة المغزل[1]، والله جَلَّ وَعَلَا جعل النجوم في أفلاك مستديرة، تسير فيها كل نجم في فلكه، كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [الأنبياء:٣٣]، فجميع النجوم في أفلاك، تسير في أفلاكها، الشمس في فلك، والقمر في فلك، والنجوم كل نجم في فلك، يسير في هذا الفلك، ولا يختلف، ولا يختل، إلى أن ينتهي الأجل الذي قدره الله لهذه الدنيا، فحينئذٍ تنتثر النجوم، وتسقط الأفلاك؛ لأن هذه الدار انتهت، وسينتقل العالم إلى دار أخرى، وهي دار الآخرة.

---

(١) انظر: العين (٥/ ٣٧٤)، وتهذيب اللغة (١٠/ ١٤٢)، والصحاح (٤/ ١٦٠٤)، ومقاييس اللغة (٤/ ٤٥٢).

هَـدِيَّـةٌ مِـنِّي لِأَرْبَـابِ السَّلَفْ مُجَانِبًا لِلْخَوْضِ مِنْ أَهْلِ الْخَلَفْ

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(هَدِيَّةٌ)**؛ أي: هذه الصلاة هدية من الناظم لأهل السلف -أتباع السلف-؛ تقديرًا لهم على ما هم فيه من الاتباع والاقتداء والهدى، فأهدى لهم هذه الصلاة، وهي الدعاء لهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(مُجَانِبًا)** لما خاض فيه الخلف، والخلف: من ليسوا على منهج السلف، ولو كانوا متقدمين في الزمان، فما داموا ليسوا على مذهب السلف، فإنهم خلوف؛ كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِن بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ**»[(١)]، فهؤلاء خلوف، لايجوز تقليدهم، ولا يجوز الاقتداء بهم، ما داموا مخالفين لمنهج السلف الذي جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيجب أن تجتنب أقوالهم ومذاهبهم.

ويدخل في هذا سائر الفرق الضالة -الثنتين والسبعين فرقة-، ولايبقى إلا فرقة واحدة، وهي الثالثة والسبعين، التي هي على ما كان عليه الرسول

---

(١) أخرجه مسلم (٨٠) (٥٠) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ، وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ**».

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ(١)، فهذه هي الفرقة الناجية(٢)، وما عداها، فهو ضال، وضلاله يختلف؛ إما أن يصل إلى الكفر، وإما أن يكون غير ذلك.

(١) كما في حديث الافتراق المشهور، الذي سبق تخريجه (ص٥٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٤١)، ومسلم (١٩٢٠) من حديث معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقد أخرجاه من حديث جابر وثوبان والمغيرة بن شعبة وسعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بألفاظ متقاربة.

خُذْهَا هُدِيتَ وَاقْتَفِي نِظَامِي ... تَفُزْ بِمَا أَمَّلْتَ وَالسَّلَامِ

الشَّرْح

خذ هذه المنظومة بمعانيها ومدلولاتها، **(خُذْهَا)** بمعنى: احفظها، واعمل بها، وسر على نهجها من أجل أن تصل إلى السلامة. **(تَفُزْ)** بأمرين: **(بِمَا أَمَّلْتَ)** من الخير، وتفز بـ**(السَّلَامِ)**؛ يعني: السلامة من الضلال والسلامة من النار؛ لأن هذا منهج السلف، الذين قال فيهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»[(١)]، فهم الذين يسلمون من النار، الفرقة الناجية والسالمة هم من كان على منهج السلف.

بهذا نكون قد انتهينا من التعليق على هذا الكتاب، وفق الله الجميع لطاعته، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه.

(١) سبق تخريجه (ص٥٥).

فهرس المراجع

* الإبانة الكبرى لابن بطة، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.
* الإبانة في اللغة العربية، المؤلف: سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصُحاري، المحقق: د. عبد الكريم خليفة - د. نصرت عبد الرحمن - د. صلاح جرار - د. محمد حسن عواد - د. جاسر أبو صفية، الناشر: وزارة التراث القومي والثقافة - مسقط - سلطنة عمان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ٤.
* إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، المؤلف: أحمد بن محمد ابن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ، شهاب الدين الشهير بالبناء (المتوفى: ١١١٧هـ)، المحقق: أنس مهرة، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان، الطبعة: الثالثة، ٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ، عدد الأجزاء: ١.
* اجتماع الجيوش الإسلامية، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: عواد عبد الله المعتق، الناشر: مطابع الفرزدق التجارية – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، عدد الأجزاء: ٢ (الجزء الأول دراسة من المحقق).
* الآحاد والمثاني، المؤلف: أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)، المحقق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، الناشر: دار الراية – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩١، عدد الأجزاء: ٦.

- أحكام القرآن، المؤلف: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد صادق القمحاوي - عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تاريخ الطبع: ١٤٠٥هـ.
- أحكام القرآن، المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء:٤.
- الإحكام في أصول الأحكام، المؤلف: أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفى: ٦٣١هـ)، المحقق: عبد الرزاق عفيفي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان، عدد الأجزاء: ٤.
- الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، المؤلف: عبد القادر شيبة الحمد، سنة النشر: ١٤٣٣ - ٢٠١٢، عدد المجلدات: ١، رقم الطبعة: ٤، عدد الصفحات: ٢٦٢.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة: الأولى،١٤١٨هـ - ١٩٩٨ م، عدد الأجزاء: ٥ (بترقيم واحد متسلسل).

- أساس البلاغة، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ٢.
- الاستذكار، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ابن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ - ٢٠٠٠، عدد الأجزاء: ٩.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، سنة النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م، عدد الأجزاء: ٨ (٧ ومجلد فهارس).
- الأسماء والصفات للبيهقي، مكتبة السوادي، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، عدد الأجزاء: ٢
- الإشارة في أصول الفقه، المؤلف: أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (المتوفى:٤٧٤هـ)، المحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء:١.

- اشتقاق أسماء الله، المؤلف: عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (المتوفى: ٣٣٧هـ)، المحقق: د. عبد الحسين المبارك، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، عدد الأجزاء: ١.
- الإصابة في تمييز الصحابة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ، عدد الأجزاء: ٨.
- أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي، مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤١٥هـ.
- الاعْتِصَام، المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ) تحقيق ودراسة: الجزء الأول: د. محمد بن عبد الرحمن الشقير، الجزء الثاني: د سعد بن عبد الله آل حميد، الجزء الثالث: د هشام بن إسماعيل الصيني، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، عدد الأجزاء: ٣.
- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.
- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر ابن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب

الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، المحقق: علي سامي النشار، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ١.

- الإعجاز والإيجاز، المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، الناشر: مكتبة القرآن - القاهرة، عدد الأجزاء: ١.
- إعراب القرآن للأصبهاني، المؤلف: إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: ٥٣٥هـ)، قدمت له ووثقت نصوصه: الدكتورة فائزة بنت عمر المؤيد، الناشر: غير معروف (فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض)، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، عدد الأجزاء: ١.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، تحقيق محمد محيي الدين، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ.
- الأعلام، المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.
- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية.
- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم

ابن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ٢.

- ألفية ابن مالك، المؤلف: محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: ٦٧٢هـ)، الناشر: دار التعاون، عدد الأجزاء: ١.
- إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، المؤلف: ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى ابن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين اليمني (المتوفى: ٨٤٠هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٨٧م، عدد الأجزاء: ١.
- الإيضاح في علوم البلاغة، المؤلف: محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ)، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر: دار الجيل - بيروت، الطبعة: الثالثة، عدد الأجزاء: ٣.
- الإيمان الأوسط، المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني أبو العباس تقي الدين، المحقق: محمود أبو سن أبو يحيى، الناشر: دار طيبة، سنة النشر: ١٤٢٤، عدد المجلدات: ١، رقم الطبعة: ١.
- الإيمان، المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني تقي الدين، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، سنة النشر: ١٤١٦-١٩٩٦، عدد المجلدات: ١، رقم الطبعة: ٥.

- البحر المحيط في أصول الفقه، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد ابن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، الناشر: دار الكتبي، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، عدد الأجزاء: ٨.
- البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي ابن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.
- البدء والتاريخ، المؤلف: المطهر بن طاهر المقدسي (المتوفى: نحو ٣٥٥هـ)، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، عدد الأجزاء: ٦.
- البداية والنهاية، لعماد الدِّين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة السادسة ١٤٠٥هـ.
- بدائع التفسير، ابن القيم، دار ابن الجوزي.
- بدائع الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، عدد الأجزاء: ٤.
- البرهان في أصول الفقه،المؤلف: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـ)، المحقق: صلاح بن محمد بن عويضة، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ٢.

- بغية الطلب في تاريخ حلب، المؤلف: عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم (المتوفى: ٦٦٠هـ)، المحقق: د. سهيل زكار، الناشر: دار الفكر، عدد الأجزاء: ١٢.
- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ.
- البيان والتبيين، المؤلف: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ)، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر: ١٤٢٣ هـ، عدد الأجزاء: ٣.
- تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
- تاريخ الإسلام، شمس الدين الذهبي، تحقيق عمر تدمري، طبعة ١٤٠٩هـ.
- تاريخ الطبري، لأبي جعفر بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت.
- تاريخ بغداد، اسم المؤلف: أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

- تاريخ مدينة دمشق ـ ابن عساكر ـ دار الفكر ـ بيروت.
- التبصرة في أصول الفقه، المؤلف: أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (المتوفى: ٤٧٦هـ)، المحقق: د. محمد حسن هيتو، الناشر: دار الفكر - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣، عدد الأجزاء: ١.
- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، المؤلف: ثقة الدين، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٤، عدد الأجزاء: ١.
- التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، المؤلف: علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، المحقق: د. عبد الرحمن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراح، الناشر: مكتبة الرشد - السعودية / الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٨.
- تحرير ألفاظ التنبيه، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، المحقق: عبد الغني الدقر، الناشر: دار القلم - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨، عدد الأجزاء: ١.
- تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، المؤلف: القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، المحقق: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، عام النشر: ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م، عدد الأجزاء: ٣.

- تحفة المحتاج في شرح المنهاج، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، روجعت وصححت: على عدة نسخ بمعرفة لجنة من العلماء، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى بمصر لصاحبها مصطفى محمد، عام النشر: ١٣٥٧ هـ - ١٩٨٣ م، (ثم صورتها دار إحياء التراث العربي - بيروت، بدون طبعة وبدون تاريخ)، عدد الأجزاء: ١٠.
- التحقيق والبيان في شرح البرهان في أصول الفقه، المؤلف: علي بن إسماعيل الأبياري (المتوفى ٦١٦ هـ)، (تنبيه) / ورد على الغلاف عام الوفاة ٦١٨ لكن المحقق رجح في المقدمة أن الوفاة عام ٦١٦، المحقق: د. علي بن عبد الرحمن بسام الجزائري، أصل التحقيق: أطروحة دكتوراة للمحقق، الناشر: دار الضياء - الكويت (طبعة خاصة بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - دولة قطر)، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م، عدد الأجزاء: ٤.
- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، حققه: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، الناشر: دار طيبة، عدد الأجزاء: ٢.
- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق ودراسة: الدكتور: الصادق بن محمد بن إبراهيم، الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ، عدد الأجزاء: ١

- التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
- التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- تعظيم قدر الصلاة، محمد بن نصر المروزي، تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
- تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ٢٦ مجلد ٢٤ مجلد ومجلدان فهارس.
- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن ابن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩هـ.
- تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٨.

- تفسير القرآن، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
- تفسير عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
- تقريب الوصول إلي علم الأصول (مطبوع مع: الإشارة في أصول الفقه)، المؤلف: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١ هـ)، المحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ١.
- تلبيس إبليس، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
- التمثيل والمحاضرة، المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، المحقق: عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: الدار العربية للكتاب، الطبعة: الثانية، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، عدد الأجزاء: ١.
- التمهيد في أصول الفقه، المؤلف: محفوظ بن أحمد بن الحسن أَبُو الخطاب الكَلْوَذَاني الحنبلي (المتوفى: ٥١٠ هـ)، المحقق: مفيد محمد أبو عمشة

(الجزء ١ - ٢) ومحمد بن علي بن إبراهيم (الجزء ٣ - ٤)، الناشر: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي - جامعة أم القرى (٣٧)، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م، عدد الأجزاء: ٤.

- التمهيد، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف، المغرب، طبعة ١٣٨٧هـ.
- تنبيه الرجل العاقل على تمويه الجدل الباطل، المؤلف: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨ هـ)، المحقق: علي بن محمد العمران - محمد عزير شمس، الناشر: دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، شوال ١٤٢٥ هـ، عدد الأجزاء: ٢.
- تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ٨.
- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن حمد بن محمد بن حمد بن عبد الله بن عيسى (المتوفى: ١٣٢٧هـ)، المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٦، عدد الأجزاء: ٢.

- التوضيح لشرح الجامع الصحيح، المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)، المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر: دار النوادر، دمشق - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، عدد الأجزاء: ٣٦ (٣٣ و ٣ أجزاء للفهارس).
- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكَلِم، لابن رجب الحنبلي، تحقيق: طارق عوض الله، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية١٤٢٠هـ.
- جامع المسائل، المؤلف: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨ هـ)، تحقيق: محمد عزير شمس، إشراف: بكر ابن عبد الله أبو زيد، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع - مكة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ
- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، عدد الأجزاء: ٢٠ جزءًا (في ١٠ مجلدات).
- جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، المؤلف: محمد ابن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط،

الناشر: دار العروبة - الكويت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ - ١٩٨٧، عدد الأجزاء: ١.

- جمهرة اللغة، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م، عدد الأجزاء: ٣.
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: د. علي حسن ناصر، دار العاصمة الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار المعرفة - المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ١
- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، المؤلف: عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي (المتوفى: ٧٧٥هـ)، الناشر: مير محمد كتب خانه - كراتشي، عدد الأجزاء: ٢.
- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مطبعة المدني، القاهرة، عدد الأجزاء: ١.
- حَاشِيةُ اللبَّدِي على نَيْل المَآرِبِ، المؤلف: عبد الغني بن ياسين بن محمود ابن ياسين بن طه بن أحمد اللَّبَدي النابلسي الحنبلي (المتوفى: ١٣١٩هـ)،

تحقيق وتعليق: الدكتور محمد سليمان الأشقر، الناشر: دار البشائر الإسلاميّة للطبَاعَة وَالنشرَ والتوَزيع، بَيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٢.

- حجة القراءات، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (المتوفى: حوالي ٤٠٣هـ)، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، عدد الأجزاء: ١، الناشر: دار الرسالة.

- الحجة في القراءات السبع، المؤلف: الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب - جامعة الكويت، الناشر: دار الشروق - بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠١ هـ، عدد الأجزاء: ١.

- الحجة للقراء السبعة، المؤلف: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي (المتوفى: ٣٧٧هـ)، المحقق: بدر الدين قهوجي - بشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف الدقاق، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، عدد الأجزاء: ٧.

- الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، المؤلف: زكريا بن محمد بن أحمد ابن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: ٩٢٦هـ)، المحقق: د. مازن المبارك، الناشر: دار الفكر المعاصر - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١، عدد الأجزاء: ١.

* الحدود في الأصول (مطبوع مع: الإشارة في أصول الفقه)، المؤلف: أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (المتوفى: ٤٧٤ هـ)، المحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ١.
* حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ثم صورتها عدة دور منها، ١ - دار الكتاب العربي - بيروت. ٢ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت. ٣- دار الكتب العلمية- بيروت (طبعة ١٤٠٩هـ بدون تحقيق)، عدد الأجزاء: ١٠.
* الحماسة المغربية، مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب، أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجرّاوي التادلي (المتوفى: ٦٠٩هـ)، المحقق: محمد رضوان الداية، الناشر: دار الفكر المعاصر - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩١م، عدد الأجزاء: ٢
* روضة الناظر، لابن قدامة المقدسي، تحقيق عبد العزيز عبد الرحمن السعيد، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ.
* خلق أفعال العباد، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، المحقق: د. عبد الرحمن عميرة، الناشر: دار المعارف السعودية - الرياض، عدد الأجزاء: ١.

- الدر الفريد وبيت القصيد، المؤلف: محمد بن أيدمر المستعصمي (٦٣٩هـ - ٧١٠ هـ)، المحقق: الدكتور كامل سلمان الجبوري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م، عدد الأجزاء: ١٣ (آخر جزئين فهارس).
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق، عدد الأجزاء: ١١.
- الدر المنثور، عبد الرحمن بن جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٩٩٣م.
- درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، دار الكنوز الذهبية، الرياض، طبعة ١٣٩١هـ.
- دَرْجُ الدُّرر في تَفِسيرِ الآيِ والسُّوَر، المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ)، دراسة وتحقيق: (الفاتحة والبقرة) وَليد بِن أحمد بن صَالِح الحُسَيْن، (وشاركه في بقية الأجزاء): إياد عبد اللطيف القيسي، الناشر: مجلة الحكمة، بريطانيا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، عدد الأجزاء: ٤ (في ترتيب مسلسل واحد).

- الدعاء للطبراني، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٣، عدد الأجزاء: ١.
- دقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات، المؤلف: منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى (المتوفى: ١٠٥١هـ)، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، عدد الأجزاء: ٣.
- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، المؤلف: أحمد بن الحسين ابن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٠٥هـ، عدد الأجزاء: ٧.
- دلائل النبوة، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: د. عبد المعطي قلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، الطبعة: الأولى - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، عدد الأجزاء: ٧.
- ديوان ابن الرومي، المؤلف: علي بن العباس بن جريج ابن الرومي، المحقق: أحمد حسن بسج، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة النشر: ١٤٢٣ - ٢٠٠٢، عدد المجلدات: ٣، رقم الطبعة: ٣، عدد الصفحات: ١٦٤٠.

- ذم الكلام وأهله، المؤلف: أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي (المتوفى: ٤٨١هـ)، المحقق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ٥.
- ذم الهوى، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: مصطفى عبد الواحد، مراجعة: محمد الغزالي، عدد الأجزاء: ١.
- ذيل طبقات الحنابلة، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الناشر: مكتبة العبيكان - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م، عدد الأجزاء: ٥.
- الرد على المنطقيين، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، عدد الأجزاء: ١.
- الرسالة الماتريدية، رسالة ماجستير للشيخ شمس الدين الأفغاني بالجامعة الإسلامية.
- رسالة في أصول الفقه، المؤلف : أبو علي الحسن بن شهاب الحسن العكبري الحنبلي، الناشر : المكتبة المكية - مكة المكرمة، الطبعة الأولى،

١٤١٣هـ-١٩٩٢م، تحقيق : د.موفق بن عبد الله بن عبد القادر، عدد الأجزاء : ١.

- رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار، المؤلف: محمد بن إسماعيل ابن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٠٥ هـ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، عدد الأجزاء: ١.
- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ١
- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ)، المحقق: عمر عبد السلام السلامي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر: مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: ٢.

- زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة الرابعة عشر ١٤٠٧هـ.
- الزاهر في معاني كلمات الناس، المؤلف: محمد بن القاسم بن محمد ابن بشار، أبو بكر الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ)، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ -١٩٩٢، عدد الأجزاء: ٢.
- زهر الآداب وثمر الألباب، المؤلف: إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري القيرواني (المتوفى: ٤٥٣هـ)، الناشر: دار الجيل، بيروت، عدد الأجزاء: ٤.
- سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، المؤلف: محمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى: ٩٤٢هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، عدد الأجزاء: ١٢.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم،

الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف)، عدد الأجزاء:٦.

- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، المؤلف: محمد خليل بن علي بن محمد بن محمد مراد الحسيني، أبو الفضل (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، الناشر: دار البشائر الإسلامية، دار ابن حزم، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، عدد الأجزاء: ٤.
- السنة لابن أبي عاصم، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.
- السنة، المؤلف: أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخَلَّال البغدادي الحنبلي (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: د. عطية الزهراني، الناشر: دار الراية - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، عدد الأجزاء: ٧.
- سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
- سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.
- سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا. مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤ هـ.
- سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث، بيروت.

- سنن الدارقطني، المؤلف: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي ابن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ)، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبداللطيف حرز الله، أحمد برهوم، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، عدد الأجزاء:٥.
- سنن الدارمي، تحقيق فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
- السنن الصغرى للبيهقي، تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
- السنن الصغرى للنسائي (المجتبى)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.
- السنن الكبرى للنسائي، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- سنن سعيد بن منصور، اسم المؤلف: سعيد بن منصور الخراساني، دار النشر: الدار السلفية - الهند - ١٤٠٣هـ -١٩٨٢م، الطبعة: الأولى، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.
- سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ.

❁ سير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني، المؤلف: إسماعيل ابن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: ٥٣٥هـ)، تحقيق: د. كرم بن حلمي بن فرحات بن أحمد، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، عدد الأجزاء: ١.

❁ سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، المؤلف: محمد بن إسحاق ابن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: ١٥١هـ)، تحقيق: سهيل زكار، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، عدد الأجزاء: ١.

❁ السيرة النبوية - ابن هشام - مكتبة المنار - الأردن - ١٤٠٦هـ.

❁ السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، عام النشر: ١٣٩٥هـ - ١٩٧٦م.

❁ شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

❁ شرح (التبصرة والتذكرة = ألفية العراقي)، المؤلف: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: ٨٠٦هـ)، المحقق: عبد اللطيف الهميم - ماهر ياسين

فحل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، عدد الأجزاء: ٢.

- شرح [مختصر المنتهى الأصولي للإمام أبي عمرو عثمان ابن الحاجب المالكي (المتوفى ٦٤٦ هـ)]، المؤلف: عضد الدين عبد الرحمن الإيجي (المتوفى: ٧٥٦ هـ)، وعلى المختصر والشرح/ حاشية سعد الدين التفتازاني (المتوفى: ٧٩١ هـ) وحاشية السيد الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦ هـ)، وعلى حاشية الجرجاني/ حاشية الشيخ حسن الهروي الفناري (المتوفى: ٨٨٦ هـ)، وعلى المختصر وشرحه وحاشية السعد والجرجاني/ حاشية الشيخ محمد أبو الفضل الوراقي الجيزاوي (المتوفى: ١٣٤٦ هـ)، المحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، عدد الأجزاء:٣.
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، المؤلف: علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأُشْمُوني الشافعي (المتوفى: ٩٠٠هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ٤.
- شرح السنة، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، عدد الأجزاء: ١٥.

- شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة١٣٩١هـ.
- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ(الكاشف عن حقائق السنن)، المؤلف: شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ)، المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض)، عدد الأجزاء: ١٣ (١٢ ومجلد للفهارس) (في ترقيم مسلسل واحد)، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- شرح العقيدة الطحاوية، المؤلف: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ، عدد الأجزاء: ١.
- شرح الكوكب المنير، المؤلف: تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي (المتوفى: ٩٧٢هـ)، المحقق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة: الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ مـ.
- الشرح الممتع على زاد المستقنع، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، دار النشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ - ١٤٢٨ هـ، عدد الأجزاء: ١٥.

- شرح قطر الندى وبل الصدى، المؤلف: عبد الله بن يوسف بن أحمد ابن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)، المحقق: محمد محيى الدين عبد الحميد، الناشر: القاهرة، الطبعة: الحادية عشرة، ١٣٨٣، عدد الأجزاء: ١.
- شرح مختصر الروضة، المؤلف: سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين (المتوفى: ٧١٦هـ)، المحقق: عبد الله ابن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م، عدد الأجزاء: ٣.
- الشريعة، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، الناشر: دار الوطن - الرياض / السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ٥.
- شعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
- شعب الإيمان، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي - الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ١٤ (١٣، ومجلد للفهارس).

- الشعر والشعراء، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، الناشر: دار الحديث، القاهرة، عام النشر: ١٤٢٣هـ، عدد الأجزاء: ٢.
- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، المؤلف: نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ١١ مجلد (في ترقيم مسلسل واحد)، ومجلد للفهارس.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المؤلف: أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (المتوفى: ٨٢١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، عدد الأجزاء: ١٥.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، عدد الأجزاء: ٦.
- صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.
- صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت.

- صفة الصفوة، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: أحمد بن علي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، مصر، الطبعة: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٢.
- الصفدية، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق محمد رشاد سالم، الطبعة الثانية١٤٠٦هـ.
- الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: علي بن محمد الدخيل الله، الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ، عدد الأجزاء: ٤.
- طبقات الشافعية الكبرى، المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ، عدد الأجزاء: ١٠.
- الطبقات الكبرى لابن سعد، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.
- العدة في أصول الفقه، المؤلف: القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين ابن محمد بن خلف ابن الفراء (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وعلق عليه وخرج نصه: د أحمد بن علي بن سير المباركي، الأستاذ المشارك في كلية الشريعة بالرياض - جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الثانية ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، عدد الأجزاء: ٥ أجزاء في ترقيم مسلسل واحد.

- العقد الفريد، المؤلف: أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (المتوفى: ٣٢٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ، عدد الأجزاء: ٨.
- العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، الناشر: مكتبة أضواء السلف - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، عدد الأجزاء: ١
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، عدد الأجزاء:٢٥.
- العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، عدد الأجزاء: ٨.
- غاية المرام في علم الكلام، المؤلف: أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفى: ٦٣١هـ)، المحقق: حسن محمود عبد اللطيف، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة، عدد الأجزاء: ١.

- غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، المؤلف: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ)، الناشر: مؤسسة قرطبة - مصر، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣م، عدد الأجزاء: ٢.
- غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة، المؤلف: أبو إسحق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي المعروف بالوطواط (المتوفى: ٧١٨هـ)، ضبطه وصححه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: ابراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، عدد الأجزاء: ١.
- الفتاوى الكبرى لابن تيمية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، عدد الأجزاء: ٦.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، عناية محب الدين الخطيب، وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي. دار المعرفة، بيروت.
- فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي، المؤلف: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، المحقق: علي حسين علي، الناشر: مكتبة السنة - مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ٤.

* الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، المؤلف: عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الإسفراييني، أبو منصور (المتوفى: ٤٢٩هـ)، الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٧٧م، عدد الأجزاء: ١.
* الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، حققه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق، عام النشر: ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، عدد الأجزاء: ١.
* الفروق اللغوية، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد ابن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، عدد الأجزاء: ١.
* فضائح الباطنية، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، المحقق: عبد الرحمن بدوي، الناشر: مؤسسة دار الكتب الثقافية - الكويت، عدد الأجزاء: ١.
* الفقيه والمتفقه، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، الناشر: دار ابن الجوزي - السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢١هـ، عدد الأجزاء: ٢.

- الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، المؤلف: عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف، الناشر: مكتبة ابن تيمية، الكويت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- القاديانية دراسات وتحليل، المؤلف: إحسان إلهي ظهير، حالة الفهرسة: غير مفهرس، الناشر: إدارة ترجمان السنة - باكستان، سنة النشر: ١٤٠٤ - ١٩٨٤، عدد المجلدات: ١، رقم الطبعة: ١٦، عدد الصفحات: ٣٢٨.
- القاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، عدد الأجزاء: ١.
- القيامة الكبرى، المؤلف: عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة: السادسة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، عدد الأجزاء: ١
- الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي، تحقيق يحيى مختار غزاوي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ.
- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عَزَّوَجَلَّ، المؤلف: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، الناشر:

مكتبة الرشد - السعودية - الرياض، الطبعة: الخامسة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، عدد الأجزاء: ٢.

- كرامات الأولياء للالكائي - من كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، المؤلف: أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (المتوفى: ٤١٨هـ)، تحقيق: أحمد بن سعد ابن حمدان الغامدي، الناشر: دار طيبة - السعودية، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ١ (هو الجزء التاسع من كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة).
- كشف اللثام شرح عمدة الأحكام، المؤلف: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨ هـ)، اعتنى به تحقيقًا وضبطًا وتخريجًا: نور الدين طالب، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، دار النوادر - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، عدد الأجزاء: ٧.
- الكفاية في علم الرواية، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد ابن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: أبو عبدالله السورقي، إبراهيم حمدي المدني، الناشر: المكتبة العلمية - المدينة المنورة، عدد الأجزاء: ١.
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المؤلف: أيوب ابن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، عدد الأجزاء: ١.

- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني (المتوفى: ٧٨٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، طبعة أولى: ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م، طبعة ثانية: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، عدد الأجزاء: ٢٥.
- اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، المؤلف: شمس الدين البِرْماوي، أبو عبد الله محمد بن عبد الدائم بن موسى النعيمي العسقلاني المصري الشافعي (المتوفى: ٨٣١ هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م، عدد الأجزاء: ١٨ (١٧ جزءا ومجلد للفهارس).
- اللباب في علوم الكتاب، المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي ابن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ٢٠.
- لسان العرب، لابن منظور جمال الدِّين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي ثمّ المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.
- اللمع في العربية، المؤلف: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، المحقق: فائز فارس، الناشر: دار الكتب الثقافية - الكويت، عدد الأجزاء: ١.

- لمعة الاعتقاد، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، عدد الصفحات: ٤٦، عدد الأجزاء: ١.
- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، المؤلف: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ)، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها - دمشق، الطبعة: الثانية - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، عدد الأجزاء: ٢.

- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، المؤلف: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ)، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها - دمشق، الطبعة: الثانية - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، عدد الأجزاء: ٢.

- المبدع في شرح المقنع، المؤلف: إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين (المتوفى: ٨٨٤هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م، عدد الأجزاء:٨.

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المؤلف: ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (المتوفى: ٦٣٧هـ)، المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ـ القاهرة، عدد الأجزاء: ٤.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث، القاهرة، وبيروت.

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث، القاهرة، وبيروت.

- مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، المحقق: عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
- المجموع شرح المهذب «مع تكملة السبكي والمطيعي»، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار الفكر.
- محاسبة النفس لابن أبي الدنيا، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، تحقيق: المسعتصم بالله أبي هريرة مصطفى بن علي بن عوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، عدد الأجزاء: ١.

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق ابن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.
- المحكم في نقط المصاحف، المؤلف: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، المحقق: د. عزة حسن، الناشر: دار الفكر - دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧، عدد الأجزاء: ١.
- المحكم والمحيط الأعظم، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ١١ (١٠ مجلد للفهارس).
- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، طبعة ١٤١٥هـ.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد ابن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م، عدد الأجزاء:٢.
- المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد بدران (المتوفى: ١٣٤٦هـ)، المحقق:

د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠١، عدد الأجزاء: ١.

- مذكرة في أصول الفقه، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الخامسة، ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ١.
- المراسيل، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير ابن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨، عدد الأجزاء: ١.
- المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- المستصفى، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، عدد الأجزاء:١.
- مسند أبي داود الطيالسي، لسليمان بن داود بن الجارود الطيالسي، دار المعرفة، بيروت.
- مسند أبي يعلى، المؤلف: أبو يعلى أحمد بن علي بن المُثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ)، المحقق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ - ١٩٨٤، عدد الأجزاء: ١٣.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ابن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- مسند الإمام الشافعي، المؤلف: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، رتبه على الأبواب الفقهية: محمد عابد السندي، عرف للكتاب وترجم للمؤلف: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، تولى نشره وتصحيحه ومراجعة أصوله على نسختين مخطوطتين: السيد يوسف علي الزواوي الحسني، السيد عزت العطار الحسيني، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، عام النشر: ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١م، عدد الأجزاء: ٢
- مسند البزار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
- مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، المؤلف: أبو محمد عبد الله ابن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ٤.

- مسند الشاميين، أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- مسند الشهاب، اسم المؤلف: محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٦، الطبعة: الثانية، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي.
- مسند عبد بن حميد، تحقيق صبحي البدري ومحمود محمد خليل، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- المسودة في أصول الفقه، المؤلف: آل تيمية [بدأ بتصنيفها الجدّ: مجد الدين عبد السلام بن تيمية (ت: ٦٥٢هـ)، وأضاف إليها الأب: عبد الحليم بن تيمية (ت: ٦٨٢هـ)، ثم أكملها الابن الحفيد: أحمد بن تيمية (٧٢٨هـ)]، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الكتاب العربي، عدد الأجزاء: ١.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ٢ (في مجلد واحد وترقيم مسلسل واحد).
- مصرع التصوف وهو كتابان: تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي، وتحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، المحقق: عبدالرحمن الوكيل، الناشر: عباس أحمد الباز - مكة المكرمة، عدد الأجزاء: ١.

- مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
- المصنف، المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي- الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣، عدد الأجزاء: ١١.
- المطلع على ألفاظ المقنع، المؤلف: محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، أبو عبد الله، شمس الدين (المتوفى: ٧٠٩هـ)، المحقق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ١.
- المطلع على ألفاظ المقنع، المؤلف: محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، أبو عبد الله، شمس الدين (المتوفى: ٧٠٩هـ)، المحقق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ١.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ٨.

- المعجم الأوسط، أبو القاسم الطبراني، تحقيق طارق بن عوض الله وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، طبعة ١٤١٥هـ.
- معجم الفروق اللغوية، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل ابن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ(قم)، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ، عدد الأجزاء: ١.
- المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.
- المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.
- معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، عدد الأجزاء: ٦.
- معرفة السنن والآثار، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي، الناشرون: جامعة الدراسات الإسلامية

(كراتشي - باكستان)، دار قتيبة (دمشق -بيروت)، دار الوعي (حلب - دمشق)، دار الوفاء (المنصورة - القاهرة)، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، عدد الأجزاء: ١٥.

- معرفة الصحابة، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق ابن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: عدد الأجزاء: ٧ (٦ أجزاء ومجلد فهارس).
- المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ)، عنى بتصحيحه: هلموت ريتر، الناشر: دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا)، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، عدد الأجزاء: ١.
- الملل والنحل، المؤلف: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ)، المحقق: محمد سيد كيلاني، الناشر: مؤسسة الحلبي، عدد الأجزاء: ٣.

- منار السبيل في شرح الدليل، المؤلف: ابن ضويان، إبراهيم بن محمد ابن سالم (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: السابعة ١٤٠٩ هـ-١٩٨٩م، عدد الأجزاء: ٢.
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، عدد الأجزاء: ١٩.
- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، عدد المجلدات: ٩.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢، عدد الأجزاء: ١٨ (في ٩ مجلدات)
- المواقف، المؤلف: عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، الناشر: دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧، تحقيق: د.عبد الرحمن عميرة، عدد الأجزاء: ٣.

- موطأ الإمام مالك، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، مصر.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين الذهبي، تحقيق علي عوض، وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى١٩٩٥م.
- النبوات، لشيخ الإسلام ابن تيمية، المطبعة السلفية، القاهرة، طبعة١٣٨٦هـ.
- نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر (مطبوع ملحقا بكتاب سبل السلام)، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: عصام الصبابطي - عماد السيد، الناشر: دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الخامسة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ١.
- النَّظْمُ المُسْتَعْذَبُ فِي تفْسِير غريبِ ألْفَاظِ المهَذّبِ، المؤلف: محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان بن بطال الركبي، أبو عبد الله، المعروف ببطال (المتوفى: ٦٣٣هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: د. مصطفى عبد الحفيظ سَالِم، الناشر: المكتبة التجارية، مكة المكرمة، عام النشر: ١٩٨٨ م (جزء ١)، ١٩٩١ م (جزء ٢)، عدد الأجزاء: ٢.
- نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤلف: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد ابن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى: ٧٣٣هـ)، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ، عدد الأجزاء: ٣٣.

- النهاية في الفتن والملاحم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد أحمد عبد العزيز، الناشر: دار الجيل، بيروت - لبنان، الطبعة: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، عدد الأجزاء: ٢
- النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، عدد الأجزاء: ٥.
- نيل الأوطار، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، الناشر: دار الحديث، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، عدد الأجزاء:٨
- الوافي بالوفيات، المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٢٩.
- الورع، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، رواية: أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج المروزي (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: سمير بن أمين الزهيري، الناشر:

دار الصميعي - الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ١.

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الجزء: ١ - الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٢ - الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٣ - الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٤ - الطبعة: ١، ١٩٧١، الجزء: ٥ - الطبعة: ١، ١٩٩٤، الجزء: ٦ - الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٧ - الطبعة: ١، ١٩٩٤، عدد الأجزاء: ٧.

فهرس الموضوعات

تم بحمد الله